

الآفاق في علوم القرآن

للمحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

(١) يقول سيدنا وشيخنا الإمام العالم العلامة البحر الفهامة ، الرُّحلة جلال الدين ، مجل سيدنا الإمام العالم العلامة كمال الدين السيوطي الشافعي ، فسح الله في مدته (١) .

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ، تبصرة لأولى الألباب ، وأودعه من فنون العلوم والحكم العجَب العَجاب ، وجعله أجلّ الكتب قدراً ، وأغزرها علماً ، وأعذبها نظماً وأبلغها في الخطاب ، قرآناً عربياً غير ذي عوجٍ ، ولا مخلوقٍ ؛ لا شبهة (٢) فيه .
ولا ارتياب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ربّ الأرباب ، الذي عنت لقيوميته تلوجه وخضعت لعظمته الرقاب .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث من أكرم الشعوب وأشرف الشُعاب ، إلى خير أمة بأفضل كتاب ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الأنجاب ، صلاة وسلاماً دائماً إلى يوم المآب .

وبعد ، فإن العلم بحر زخار ، لا يدرك له من قرار ، وطودٌ شامخ لا يسلك إلى قفّته ولا يُبصار ، مَنْ أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولاً ، ومن رام الوصول إلى إحصائه لم يجدْ إلى ذلك سبيلاً ، كيف وقد قال تعالى مخاطباً خلقه : ﴿ وَمَا أُنْتَبِئُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (٣) . وإن كتابنا القرآن هو مفجر العلوم ومنبعها ، ودائرة شمسها ومطلعها ،

(١ - ١) كذا في الأصل ، وفي ط : « قال الشيخ الإمام العالم العلامة ، البحر الفهامة ، المحقق المدقق الحجة المحافظ المجتهد شيخ الإسلام والمسلمين ، وارث علوم سيد المرسلين ، جلال الدين ، أوحد المجتهدين ، أبو الفضل عبد الرحمن بن سيدنا الشيخ المرحوم كمال الدين ، عالم المسلمين ، أبو الناقب أبو بكر السيوطي الشافعي » .

(٢) ط : « ولا شبهة »

(٣) سورة الإسراء ٨٥ .

أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء ، وأبان فيه كل هدي وغى ، فترى كل ذي فن منه يستمد وعليه يعتمد ، فالفقيه يستنبط منه الأحكام ، ويستخرج حكم الحلال والحرام ، والنحوي يبنى منه قواعد إعرابه ، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه ، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام ، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام . وفيه من التخصيص والأخبار ما يذكر أولي الأبصار ، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار ، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها . هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب ، تبهير العقول وتسلب القلوب ، وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا اعلام الفيوب .

ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب من المتقدمين إذ لم يدونوا كتاباً في أنواع علوم القرآن ؛ كل وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ، فسمعت شيخنا أستاذ الأستاذين ، وإنسان عين الناظرين ، خلاصة الوجود علامة الزمان ، نجر العصر وعين الأوان ، أبا عبد الله محي الدين الكافيجي^(١) — مدت أظني أجله ، وأسمع عليه ظله — يقول : قد دونت في علوم التفسير كتاباً لم أشبق إليه ؛ فكتبته عنه فإذا هو صغير الحجم جداً ، وحاصل ما فيه بابان : الأول في ذكر معنى التفسير والتأويل والقرآن والسورة والآية ، والثاني في شروط القول فيه بالرأى ، وبمدى خاتمة في آداب العالم والمتعلم ؛ فلم يشف لي ذلك غليلاً ، ولم يهدني إلى المقصود سبيلاً .

ثم أوقفني شيخنا شيخ مشايخ الإسلام قاضي القضاة وخالصة الأنام حامل لواء المذهب الطلبي علم الدين البلقيني رحمه الله تعالى ، على كتاب في ذلك لأخيه قاضي القضاة جلال الدين^(٢) . سماه مواقع العلوم من مواقع النجوم ، فرأيتُه تأليفاً لطيفاً ، ومجموعاً

(١) هو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي ، من كبار العلماء بالقرنات ، لازمه السيوطي أكثر من ١٤ عاماً ، وعرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافة في النحو ، وولى وظائف عصر ، منها مشيخاً للقاه الشيخونية وانتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر . توفي سنة ٨٧٩ - شذرات الذهب ٧ : ٣٢٦ .

(٢) هو عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكنتاني المسقلاني ، أبو الفضل جلال الدين ، من علماء الحديث بمصر ، وإليه انتهت رئاسة الفتوى ، وولى القضاء بالديار المصرية مراراً ، مات بالقاهرة سنة ٨٢٤ - سلك الدرر ٢ : ٣٠٨ . وفي حاشية الأصل : «البلقيني ، بضم الباء وسكون اللام وكسر القاف ، ضبطه كذلك في كتابه الموضوع في الأنساب ، وقد سمعته منه .»

ظريفاً ، ذا ترتيبٍ وتقرير ، وتنويعٍ وتحبير . قال في خطبته :

قد اشتهرت عن الإمام الشافعي رضي الله عنه مخاطبةُ لبعض خلفاء بني العباس ، فيها ذكر بعض أنواع القرآن ، يحصل منها المقصدنا الاقتباس . وقد صنّف في علوم الحديث جماعة في القديم والحديث ، وتلك الأنواع في سنده دون متنه ، وفي مُسنديه^(١) وأهل قنّه ، وأنواع القرآن شاملةٌ وعلومه كاملة . فأردت أن أذكر في هذا التصنيف ما وصل إلى علي ؛ مما حواه القرآن الشريف ، من أنواع علمه المنيف ، وينحصر في أمور :

(الأول) : مواطن النزول وأوقاته ووقائعه ، وفي ذلك اثنا عشر نوعاً : المكي ، والمدني ، السفري ، الحضري الليلي ، النهاري ، الصيفي ، الشتائي ، القرشي ، أسباب النزول ، أول ما نزل ، آخر ما نزل .
(الأمر الثاني) : السند ، وهو ستة أنواع : للتواتر ، الأحاد ، الشاذ ، قراءات النبي صلى الله عليه وسلم ، الرواة ، الحفاظ .

(الأمر الثالث) : الأداء ، وهو ستة أنواع : الوقف ، الابتداء ، الإمالة ، اللذ ، تخفيف الهمزة ، الإدغام .

(الأمر الرابع) : الألفاظ ، وهو سبعة أنواع : الغريب ، المرعب ، الحجاز . المشترك ، المترادف ، الاستعارة ، التشبيه .

(الأمر الخامس) : المعاني المتعلقة بالأحكام ، وهو أربعة عشر نوعاً : العام الباقي على عمومه ، العام المخصوص : للعام الذي أريد به المخصوص ، ما خصّ فيه الكتاب السنة ، ما خصّصت فيه السنة الكتاب ، المجل ، المبين^(٢) ، المسأول ، المفهوم ، المطلق ، التقييد ، الناسخ ، المنسوخ ، نوع من الناسخ والمنسوخ ، وهو ما عمل به من الأحكام مدة معينة والعمل به واحد من المكلفين .

(الأمر السادس) : المعاني المتعلقة بالألفاظ ، وهو خمسة أنواع : الفصل ، الوصل ، الإيجاز ، الإطناب ، القصر .

(٢) حاشية الأصل من نسخة : « الظاهر » :

(١) ط : « أو مسنده » .

وبذلك تكملت الأنواع خمسين . ومن الأنواع ما لا يدخل تحت المحصر : الأسماء ،
الكنى ، الألقاب ، المبهمات .
فهذا نهاية ما حصر من الأنواع .

هذا آخر ما ذكره القاضي جلال الدين في الخطبة ؛ ثم تكلم في كل نوع منها بكلام
مختصر يحتاج إلى تحرير وتتمات وزوائد مهمات . فصنفت في ذلك كتاباً سمّيته «التحجير
في علوم التفسير» ، ضمنته ما ذكره البلقيني من الأنواع مع زيادة مثلها ، وأضفت إليه فوائد
سمحت القريحة بنقلها ، وقلت في خطبته :

أما بعد فإن العلوم وإن كثرت عددها ، وانتشر في الخافقين مددُها ، فغابيتها بحرٌ قعره
لا يدرك ، ونهايتها طَوْدٌ شامخ لا يستطيع إلى ذروته أن يسلك ، وهذا يفتح لعالم بعد آخر
من الأبواب ، ما لم يتطرق إليه من المتقدمين الأسباب . وإن مما أهمل^(١) المتقدمون تدوينه
حتى تحلّى في آخر الزمان بأحسن زينة ، علم التفسير الذي هو كمصطلح الحديث ، فلم يدونه
أحدٌ لا في القديم ولا في الحديث ، حتى جاء شيخ الإسلام وعمدة الأنام ، علامة العصر ،
قاضي القضاة جلال الدين البلقيني رحمه الله تعالى ، فعمل فيه كتابه «مواقع العلوم من
مواقع النجوم» ، فتقحه وهدّبه ، وقسم أنواعه ورتبه ، ولم يسبق إلى هذه المرتبة ، فإنه جعله
نيفاً وخمسين نوعاً ، منقسمة إلى ستة أقسام ، وتكلم في كل نوعٍ منها بالتين من الكلام ،
فكان كما قال الإمام أبو السعادات ابن الأثير في مقدمة نهايته : كل مبتدئ لشيء لم يسبق
إليه ، ومبتدع أمر^(٢) لم يتقدم فيه عليه ، فإنه يكون قليلاً ثم يكثر ، وصغيراً ثم يكبر^(٣) .

فظهر لي استخراج أنواع لم يسبق إليها ، وزيادة مهمات لم يستوف الكلام عليها ،
فجرت الهمة إلى وضع كتاب في هذا العلم ، وأجمع به إن شاء الله تعالى شوارده ، وأضمت
إليه فوائده ، وأنظمت في سلكه فرائده ؛ لأكون في إيجاد هذا العلم ثانياً اثنين ، وواحداً

(١) ط : « أهل » تحريف

(٢) النهاية لأمر .

(٣) نهاية ابن الأثير : ١ .

في جمع الثنيت منه كالف أو كالفين، ومصير أفني التفسير والحديث في استكمال التقاسيم
ألفين. وإذ برز نوز كاهه وفاح، وطلع بدر كاله ولاح، وأذن فجره بالصباح، ونادى داعيه
بالفلاح، سميته بالتحبير في علوم التفسير. وهذه فهرست الأنواع بعد المقدمة :

- النوع الأول والثاني: المسكى والمدنى .
- الثالث والرابع : الحضري والسفري .
- الخامس والسادس : النهاري والليلي .
- السابع والثامن : الصيفي والشتائي .
- التاسع والعاشر : القراشي والنومي .
- الحادي عشر : أسباب النزول .
- الثاني عشر : أول ما نزل .
- الثالث عشر : آخر ما نزل .
- الرابع عشر : ما عرف وقت نزوله .
- الخامس عشر : ما أنزل فيه ولم ينزل على أحد من الأنبياء .
- السادس عشر : ما أنزل منه على الأنبياء .
- السابع عشر : ما تكرر نزوله .
- الثامن عشر : ما نزل مفرداً .
- التاسع عشر : ما نزل جمعاً .
- العشرون : كيفية إنزاله . وهذه كلها متعلقة بالنزول .
- الحادي والعشرون : المتواتر .
- الثاني والعشرون : الأحاد .
- الثالث والعشرون : الشاذ .
- الرابع والعشرون : قراءات النبي صلى الله عليه وسلم .

الخامس والسادس والعشرون	: الرواة والحفاظ
السابع والعشرون	: كيفية التحمل
الثامن والعشرون	: العالي والنازل
التاسع والعشرون	: المسلسل . وهذه متعلقة بالسند
الثلاثون	: الابتداء
الحادي والثلاثون	: الوقف
الثاني والثلاثون	: الإمامة
الثالث والثلاثون	: المد
الرابع والثلاثون	: تخفيف الحمزة
الخامس والثلاثون	: الإدغام
السادس والثلاثون	: الإخفاء
السابع والثلاثون	: الإقلاب
الثامن والثلاثون	: مخارج الحروف . وهذه متعلقة بالأداء
التاسع والثلاثون	: الغريب
الأربعون	: العرب
الحادي والأربعون	: المجاز
الثاني والأربعون	: المشترك
الثالث والأربعون	: المترادف
الرابع والخامس والأربعون	: المحكم والتشابه
السادس والأربعون	: المشكل
السابع والثامن والأربعون	: المحتمل واليتم

: الاستعارة .	التاسع والأربعون
: التشبيه .	الخمسون
: الكناية والتعريض .	الحادي والثاني والخمسون
: العام الباقى على عمومته .	الثالث والخمسون
: العام المخصوص .	الرابع والخمسون
: العام الذى أريد به المخصوص .	الخامس والخمسون
: ما خصّ فيه الكتاب السنة .	السادس والخمسون
: ما خصت فيه السنة الكتاب .	السابع والخمسون
: المأول .	الثامن والخمسون
: المفهوم .	التاسع والخمسون
: المطلق والمقيد .	الستون والحادي والستون
: الناسخ والمنسوخ .	الثاني والثالث والستون
: ما عمل به واحد ثم نسخ .	الرابع والستون
: ما كان واجباً على واحد .	الخامس والستون
: الإيجاز والإطناب والمساواة .	السادس والسابع والثامن والستون
: الأشباه .	التاسع والستون
: الفصل والوصل .	السبعون والحادي والسبعون
: القصر .	الثاني والسبعون
: الاحتباك .	الثالث والسبعون
: القول بالموجب .	الرابع والسبعون
: المطابقة والمناسبة والمجانسة .	الخامس والسادس والسابع والسبعون
: التورية والاستخدام .	الثامن والتاسع والسبعون
: اللف والنثر .	الثمانون

الحادى والثمانون	: الالتفات .
الثانى والثمانون	: الفواصل والغايات .
الثالث والرابع والخامس والثمانون	: أفضل القرآن وفاضله ومفضوله .
السادس والثمانون	: مفردات القرآن .
السابع والثمانون	: الأمثال .
الثامن والتاسع والثمانون	: آداب القارئ والمقرئ .
التسعون	: آداب المفسر .
الحادى والتسعون	: من يقبل تفسيره ومن يرد .
الثانى والتسعون	: غرائب التفسير .
الثالث والتسعون	: معرفة المفسرين .
الرابع والتسعون	: كتابة القرآن .
الخامس والتسعون	: تسمية السور .
السادس والتسعون	: ترتيب الآى والسور .
السابع والثامن والتاسع والتسعون	: الأسماء والكنى والألقاب .
المائة	: المهمات .
الأول بعد المائة	: أسماء من نزل فيهم القرآن .
الثانى بعد المائة	: التاريخ .

وهذا آخر ما ذكرته فى خطبة «التحويو» . وقد تم هذا الكتاب والله الحمد من سنة اثنتين وسبعين ، وكتبه من هوفى طبقة أشياخى من أولى التحقيق . ثم خطر لى بعد ذلك أن أولف كتاباً مبسوطاً ، ومجموعاً مبسوطاً ، أسلك فيه طريق الإحصاء ، وأمشى فيه على منهاج الاستقصاء . هذا كله وأنا أظن أنى متفرد بذلك ، غير مسبوق بالخوض فى هذه المسالك ، فبينما أنا أجيل فى ذلك فكراً ، أقدم رجلاً وأوخر أخرى ، إذ بلغنى أن الشيخ الإمام بدر

الدين محمد بن عبد الله الزركشي^(١)، أحد متأخري أصحابنا الشافعيين، ألف كتاباً في ذلك حافلاً، يسمى «البرهان في علوم القرآن»، فتطلبته حتى وقفت عليه، فوجدته، قال في خطبته :
لما كانت علوم القرآن لا تحصى، ومعانيه لا تستقصى، وجبت العناية بالقدر الممكن .
ومافات المتقدمين، وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث؛ فاستخرت الله تعالى—وله الحمد—في وضع كتاب في ذلك، جامع لما تكلم الناس في فنونه، وخاضوا في نُكته وعبونه، وضمنته من المعاني الأنيقة، والحكم الرشيقة، ما بهر القلوب مجباً^(٢)، ليكون مفتاحاً لأبوابه، عنواناً على كتابه، مميّناً للمفسر على حقائقه، مطلقاً على بعض أسرارهِ ودقائقهِ، وسميته «البرهان في علوم القرآن»؛
وهذه فهرست أنواعه :

التنوع الأول : معرفة سبب النزول .

الثاني : معرفة المناسبة^(٣) بين الآيات .

الثالث : معرفة الفواصل .

الرابع : معرفة الوجوه والنظائر .

الخامس : علم التشابه .

السادس : علم المبهات ..

السابع : في أسرار الفواتح .

الثامن : في خواتم السور .

التاسع : في معرفة المكي والمدني .

العاشر : في معرفة أول ما نزل .

(١) هو الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ولد بالقاهرة سنة ٧٤٥، وتوفي بمذهب الشافعي، ولازم جمال الدين الإسكندر رئيس الشافعية عصره، وتخرج على الشيخ سراج الدين البلقيي والمافظ مغلطاي، وألف في الحديث والفقهاء الشافعية والأصول. وتوفي سنة ٧٩٤. حسن المحاضرة ١ : ٦٨٥ .

(٢) البرهان : « ما بهز القلوب طرباً ، وبهز العقول عجباً » .

(٣) البرهان : « المناسبات » .

- الحادى عشر : معرفة على كم لغة نزل .
الثانى عشر : فى كيفية إنزاله .
الثالث عشر : فى بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة .
الرابع عشر : معرفة تسميمه .
الخامس عشر : معرفة أسمائه .
السادس عشر : معرفة ما وقع فيه من غير لغة الحجاز .
السابع عشر : معرفة ما فيه من غير لغة العرب .
الثامن عشر : معرفة غريبه .
التاسع عشر : معرفة التصريف .
العشرون : معرفة الأحكام .
الحادى والعشرون : معرفة كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح .
الثانى والعشرون : معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص .
الثالث والعشرون : معرفة توجيه القرآن .
الرابع والعشرون : معرفة الوقف .
الخامس والعشرون : علم مرسوم الخط .
السادس والعشرون : معرفة فضائله .
السابع والعشرون : معرفة خواصه .
الثامن والعشرون : هل فى القرآن شيء أفضل من شيء؟
التاسع والعشرون : فى آداب تلاوته .
الثلاثون : فى أنه هل يجوز فى التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن ؟
الحادى والثلاثون : معرفة الأمثال الكامنة فيه .

- والثاني والثلاثون : معرفة أحكامه .
الثالث والثلاثون : معرفة جده .
الرابع والثلاثون : معرفة ناسخه ومنسوخه .
الخامس والثلاثون : معرفة مؤم^(١) المختلف .
السادس والثلاثون : معرفة المحكم من المشابه .
السابع والثلاثون : في حكم الآيات للمتشابهات الواردة في الصفات .
الثامن والثلاثون : معرفة إيجازه .
التاسع والثلاثون : معرفة وجوب متواتره .
الأربعون : في بيان معاضدة السنة الكتاب .
الحادي والأربعون : معرفة تفسيره .
الثاني والأربعون : معرفة وجوه المخاطبات .
الثالث والأربعون : بيان حقيقته ومجازه .
الرابع والأربعون : في الكنايات والتعريض .
الخامس والأربعون : في أقسام معنى الكلام .
السادس والأربعون : في ذكر ماتيسر من أساليب القرآن .
السابع والأربعون : في معرفة الأدوات .
واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه لاستفرغ
حمره ثم لم يحكم أمره ، ولكن اقتصرنا من كل نوع على أصوله ، والرمز إلى بعض
خصوله ، فإن الصناعة طويلة والعمر قصير ، وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير^(١) ؟
هذا آخر كلام الزركشي في خطبته .

(٢) بعدما في البرهان هذا البيت :

(١) البرهان : « نوم » .

قالوا خذ العَيْن من كُلِّ فَقَلْتُ لَهُمْ فِي الْعَيْنِ فَضْلًا وَلَكِنْ نَاطَرَ الْعَيْنِ

ولما وقفتُ على هذا الكتاب ، ازدددت به سروراً ، وحمدتُ الله كثيراً ، وقوى العزم على إبراز ما أضمرتُهُ ، وشددت الحزم في إنشاء التصنيف الذي قصدتُهُ ، فوضعت هذا الكتاب العليّ الشأن ، الجليّ البرهان ، الكثير الفوائد والإتقان ، ورتبتُ أنواعهُ ترتيباً أنسب من ترتيب البرهان ، وأدججت بعض الأنواع في بعض ، وفصلت ما حقه أن يُبان ، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد ، والقواعد والشوارد ، ما يشتف الأذان ، وسميته بالإتقان في علوم القرآن . وسدري في كل نوع منه إن شاء الله تعالى ما يصلح أن يكون بالتصنيف مفرداً ، وسدروى من مناهله العذبة ريباً لا ظمأ بعده أبداً . وقد جعلته مقدمة للتفسير الكبير الذي شرعت فيه ، وسميته بمجمع البحرين ، ومطلع البدرين ، الجامع لتحرير الرواية ، وتقرير الدرابة ، ومن الله استمد التوفيق والهداية ، والمعونة والرعاية ؛ إنه قريب مجيب ، وماتوفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب . وهذه فهرست أنواعه :

النوع الأول : معرفة المكي والمدني .

الثاني : معرفة الحضري والسفري .

الثالث : النهاري والليلي .

الرابع : الصيفي والشتائي .

الخامس : الفرائضي والنومي .

السادس : الأرضي والسماوي .

السابع : أول ما نزل .

الثامن : آخر ما نزل .

التاسع : أسباب النزول .

العاشر : ما نزل على لسان بعض الصحابة .

الحادي عشر : ما تكرر نزوله .

الثاني عشر : ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه .

- الثالث عشر : معرفة ما نزل مفترقا وما نزل جمعا .
الرابع عشر : ما نزل مشيعا وما نزل مفردا .
الخامس عشر : ما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل
النبي صلى الله عليه وسلم .
السادس عشر : في كيفية إنزاله .
السابع عشر : في معرفة أسمائه وأسماء سُورِهِ .
الثامن عشر : في جمعه وترتيبه .
التاسع عشر : في عدد سورهِ وآيَاتِهِ وكلماتهِ وحروفهِ .
العشرون : في حُفَاظِهِ ورواياتهِ .
الحادي والعشرون : في العالى والنازل .
الثاني والعشرون : معرفة المتواتر .
الثالث والعشرون : في المشهور .
الرابع والعشرون : في الأحاد .
الخامس والعشرون : في الشاذ .
السادس والعشرون : الموضوع .
السابع والعشرون : المدرج .
الثامن والعشرون : في معرفة الوقف والابتداء .
التاسع والعشرون : في بيان الموصول لفظاً المفصول معنى .
الثلاثون : في الإمالة والفتح وما بينهما .
الحادي والثلاثون : في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب .
الثاني والثلاثون : في المد والقصر .
الثالث والثلاثون : في تخفيف الهمزة .
الرابع والثلاثون : في كيفية تحمله .
الخامس والثلاثون : في آداب تلاوته .

- السادس والثلاثون : في معرفة غريبه .
السابع والثلاثون : فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز .
الثامن والثلاثون : فيما وقع فيه بغير لغة العرب .
التاسع والثلاثون : في معرفة الوجوه والنظائر .
الأربعون : في معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر .
الحادي والأربعون : في معرفة إعرابه .
الثاني والأربعون : في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها .
الثالث والأربعون : في المحكم والمتشابه .
الرابع والأربعون : في مقدمه ومؤخره .
الخامس والأربعون : في خاصه وعامه .
السادس والأربعون : في مجمله ومبينه .
السابع والأربعون : في ناسخه ومنسوخه .
الثامن والأربعون : في مشككه وموهم الاختلاف والتناقض .
التاسع والأربعون : في مطلقه ومقيده .
الخمسون : في منطوقه ومفهومه .
الحادي والخمسون : في وجوه مخاطباته .
الثاني والخمسون : في حقيقته ومجازيه .
الثالث والخمسون : في تشبيهه واستعارته .
الرابع والخمسون : في كناياتيه وتعريضه .
الخامس والخمسون : في الحصر والاختصاص .
السادس والخمسون : في الإيجاز والإطناب .
السابع والخمسون : في الخبر والإنشاء .
الثامن والخمسون : في بدائع القرآن .

- التاسع والخمسون : في فواصل الآي .
الستون : في فوائج السور .
الحادي والستون : في خواتم السور .
الثاني والستون : في مناسبة الآيات والسور .
الثالث والستون : في الآيات المشبهات .
الرابع والستون : في إيجاز القرآن .
الخامس والستون : في العلوم المستنبطة من القرآن .
السادس والستون : في أمثاله .
السابع والستون : في أقسامه .
الثامن والستون : في جدله .
التاسع والستون : في الأسماء والكُنَى والألقاب .
السبعون : في مبهمات .
الحادي والسبعون : في أسماء من نزل فيهم القرآن .
الثاني والسبعون : في فضائل القرآن .
الثالث والسبعون : في أفضل القرآن وفاضله .
الرابع والسبعون : في مفردات القرآن .
الخامس والسبعون : في خواصه .
السادس والسبعون : في رسوم الخط وآداب كتابته .
السابع والسبعون : في معرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحاجة إليه .
الثامن والسبعون : في شروط المفسر وآدابه .
التاسع والسبعون : في غرائب التفسير .
الثمانون : في طبقات المفسرين .

فهذه ثمانون نوعاً على سبيل الإدماج، ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها؛ لزادت على

الثلاثمائة ، وغالب هذه الأنواع فيها تصانيف مفردة ، وقفت على كثير منها .
ومن المصنفات في مثل هذا النمط — وليس في الحقيقة مثله ولا قريباً منه وإنما هي
طائفة يسيرة ونبذة قصيرة — فنون الأفنان في علوم القرآن لابن الجوزي ، وجمال القراء
للشيخ علم الدين السخاوي ، والمرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز لأبي شامة ،
والبرهان في مشكلات القرآن لأبي المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيدلة ؛ وكلها بالنسبة
إلى نوع من هذا الكتاب كحبة رمل في جنب رمل عاج ، ونقطة قطري في حبال بحر زاخر .

* * *

وهذه أسماء الكتب التي نظرتها على هذا الكتاب ، ولخصته منها .
فن الكتب النقليّة :

تفسير ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وأبي الشيخ بن حيان ، والغرياني ،
وعبد الرزاق ، وابن المنذر ، وسعيد بن منصور — وهو جزء من سننه — والحاكم — وهو
جزء من مستدركه — وتفسير الحافظ عماد الدين بن كثير ، وفضائل القرآن لأبي عبيد ،
وفضائل القرآن لابن الضريس ، وفضائل القرآن لابن أبي شبة ، المصاحف لابن أبي داود ،
المصاحف لابن أشتة ، الرد على من خالف مصحف عثمان لأبي بكر بن الأنباري ، أخلاق
حملة القرآن للأجري ، التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ، شرح البخاري لابن حجر .
ومن جوامع الحديث والمسانيد ما لا يحصى .

ومن كتب القراءات وتعلقات الأداء :

حamal القراء للسخاوي ، النشر والتقرير لابن الجزري ، الكامل للهذلي ، الإرشاد في القراءات
العشر للواسطي ، الشواذ لابن غابون ، الوقف والابتداء لابن الأنباري ولاسجاو ندي وللنحاس ،
وللداني وللمعاني ولابن النكزاي ، قرة العين في الفتح والإمالة بين اللقطين لابن القاسم .
ومن كتب اللغات والغريب والعربية والإعراب :

مفردات القرآن للراغب ، غريب القرآن لابن قتيبة وللعزيزي ، الوجوه والنظائر
للنيسابوري ولابن عبد الصمد ، الواحد والجمع في القرآن لأبي الحسن الأخفش الأوسط ،

الزاهر لابن الأنباري ، شرح التسهيل والارتشاف لأبي حيان ، المغني لابن هشام ، الجني
الداني في حروف المعاني لابن أم قاسم ، إعراب القرآن لأبي البقاء وللسفاحي
ولمتجب الدين ، المحتسب في توجيه الشواذ لابن جني ، الخصائص له ، الخاطريات له ،
ذوقه ، أمالي ابن الحاجب ، المعرب للجو اليقي ، مشكل القرآن لابن قتيبة ، اللغات
التي نزل بها القرآن للقاسم بن سلام ^(١) . الغرائب والعجائب للكرماني ، قواعد في
التفسير لابن نعيمة .

ومن كتب الأحكام وتعلقاتها :

أحكام القرآن لإسماعيل القاضي ولبكر بن العلاء ولأبي بكر الرازي وللسكيا
الهراسي ولابن العربي ، ولابن القزويني ولابن خوزيمندا . الناسخ والمسنوخ لمكي
ولابن الحصار وللمتميدي ولأبي جعفر النحاس ولابن العربي ولأبي داود السجستاني ،
ولأبي عبيد القاسم بن سلام ^(٢) ولأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي . الإمام في
أدلة الأحكام للشيخ عز الدين بن عبد السلام .

ومن الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة :

إعجاز القرآن للخطابي وللمرمان ولابن سُرارة وللقاضي أبي بكر الباقلاني ولعبد القاهر
الجرجاني وللإمام نضر الدين ، ولابن أبي الإصبع — واسمه البرهان — وللمرمان — واسمه
البرهان أيضا — ومختصره له — واسمه المجيد — مجاز القرآن لابن عبد السلام ، الإعجاز في الحجاز لابن
القيم ، نهاية التأميل في أسرار التنزيل للمرمان ، التبيان في البيان له ، المنهج المفيد في أحكام
التوكيد ، بدائع القرآن لابن أبي الإصبع ، التحبير له ، الخواطر السوانح في أسرار الفوائض
له ، أسرار التنزيل للشرف البارزي ، الأقصى القريب للتونخي ، منهاج البلاغ لحازم ،
العمدة لابن رشيق ، الصناعتين للمسكري ، الصباح لبدر الدين بن مالك ، التبيان للطبي

(١) في الأصول : « لأبي القاسم محمد بن عبد الله » وهو خطأ به عليه مصحح ط ، قال : « وكذا
أول النوع السابع والأربعون ، وهو صاحب كتاب الغريب المصنف » .
(٢) : « رسلان » ، وصوابه من الأصل .

الكنايات للجرجاني ، الإغريض في الفرق بين الكفاية والتعريض للشيخ تقي الدين السبكي ، الاقتناص في الفرق بين المحصر والاختصاص له ، عروس الأفراح لولده بهاء الدين ، روض الأنفهام في أقسام الاستفهام للشيخ شمس الدين بن الصائغ ، نشر العمير في إقامة الظاهر مقام الضمير له ، المقدمة في سرّ الألفاظ انقدّمة له ، أحكام الراي في أحكام الآي له ، مناسبات ترتيب السور لأبي جعفرين الزبير ، فواصل الآيات للطوفي ، المثل السائر لابن الأثير ، الفلك الدائر على المثل السائر^(١) ، كنز البراعة لابن الأثير ، شرح بديع قدامة للموفق عبد اللطيف .
ومن الكتب فيما سوى ذلك من الأنواع :

البرهان في مشابه القرآن للكرماني ، درة التزويل وغرّة التأويل في المشابه لأبي عهد الله الرازي ، كشف المعاني في المشابه ، المثاني للقاضي بدر الدين بن جماعة ، أمثال القرآن للماوردي ، أقسام القرآن لابن القيم ، جواهر القرآن للغزالي ، التعريف والإعلام فيما وقع في القرآن من الأسماء والأعلام للسهلي ، الذيل عليه لابن عساكر ، التبيان في مبهمات القرآن للقاضي بدر الدين بن جماعة ، أسماء من نزل فيهم القرآن لإسماعيل الضرير ، ذات الرشد في عدد الآي وشرحها للموصلي ، شرح آيات الصفات لابن اللبان ، الهدى لتنظيم في منافع القرآن العظيم للياقبي .

ومن كتب الرسم :

المقنع للدائمي ، شرح الرائية للسجاوي^(٢) ، شرحها لابن جبارة .

ومن الكتب الجامعة :

بدائع القوائد ، لابن القيم ، كنز القوائد للشيخ عز الدين بن عبد السلام ، الفرر والدرر شريف المرتضى ، تذكرة البدر بن صاحب ، جامع الفنون لابن شبيب الحنبلي ، النفيس بن الجوزي ، البستان لأبي الليث السمرقندي .

(١) لابن أبي الحديد .

(٢) الرائية ، هي التصديّة المسماة : «عقيلة أترابه الصاندي أسنى المقامد» . فرسم للمصحف ، نظم باسم فيرة الشاطبي . كشف الظنون .

ومن تفاسير غير المحدثين :

الكشاف وحاشيته للطَّيْبِيّ ، تفسير الإمام نجر الدين ، تفسير الإصمباني والحوفي ،
 وأبي حيان وابن عطية ، والتَّشِيرِيّ ، والمرسي ، وابن الجوزي ، وابن عقيل ، وابن رزّين ،
 والواحدي والكواشي ، والماوردي ، وسالم الرازي ، وإمام الحرمين ، وابن بُرْجَان ،
 وابن بزيمة ، وابن المنبِّر . أمالي الرافعيّ على الفاتحة ، مقدّمة تفسير ابن التقيب .

وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود .

التنوع الأول

في معرّفه المكي والمدني

أفرده بالتصنيف جماعة، منهم مكي والعزّ الديري. ومن فوائد معرفة ذلك، العلم بالتأخر، فيكون ناسخاً أو مخصّصاً، على رأى من يرى تأخير المخصّص.

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن: من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته،^(١) وترتيب ما نزل بمكة والمدينة،^(٢) وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكي في المدني وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلاً، وما نزل نهاراً، وما نزل مشيماً^(٣)، وما نزل مفرداً، والآيات المدنيات في السور المكية، والآيات المكيات في السور المدنية، وما حل من مكة إلى المدينة، وما حل من المدينة إلى مكة، وما حل من المدينة إلى أرض الحبشة، وما نزل مجللاً، وما نزل مفسّراً، وما اختلفوا فيه، فقال بعضهم مدني وبعضهم مكي. فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها ويميّز بينها لم يحلّ له أن يتكلم في كتاب الله تعالى^(٤). انتهى.

قلت: وقد أشبعت الكلام على هذه الأوجه، فمنها ما أفردته بنوع، ومنها ما تكلمت عليه في ضمن بعض الأنواع.

وقال ابن العربي في كتابه الناسخ والمنسوخ: الذي علمناه على الجملة من القرآن أن منه مكياً ومدنياً، وسفرياً وحضرياً، وليلياً ونهارياً وسماثياً وأرضياً، وما نزل بين السماء والأرض، وما نزل تحت الأرض في القار.

(١-١) البرهان: «وترتيب ما نزل بمكة ابتداءً ووسطاً وانتهاءً وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك».

(٢) المشيع: ما نزل وشيعته الملائكة، وأورد منه الزركشي سورة الأعام، وفاتحة الكتاب، وآية الكرسي وسورة يونس. البرهان ١: ١٩٩.

(٣) قاله صاحب البرهان في ١: ١٩٢.

وقال ابن التقيب^(١) في مقدمة تفسيره : المنزل من القرآن على أربعة أقسام : مكّي ، ومدني ، وما بعهه مكّي وبعضه مدني ، وما ليس بمكّي ولا مدني .

اعلم أن للناس في المكّي والمدني اصطلاحات ثلاثة :

(أشهرها) : أن المكّي منازل قبل الهجرة ، والمدني منازل بعدها ؛ سواء نزل بمكة أم بالمدينة ، عام الفتح أو عام حجة الوداع ، أم بسفر من الأسفار . أخرج عثمان بن سعد الرازي بسنده إلى يحيى بن سلام ، قال : منازل بمكة ومنازل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فهو من المكّي ، ومنازل على النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني ؛ وهذا أثر لطيف يؤخذ منه أن منازل في سفر الهجرة مكّي اصطلاحاً .

(الثاني) : أن المكّي منازل بمكة ولو بعد الهجرة ، والمدني منازل بالمدينة . وعلى هذا تثبت الوسطة ، فمنازل بالأسفار لا يطلق عليه مكّي ولا مدني . وقد أخرج الطبراني في الكبير من طريق الوليد بن مسلم ، عن عفير بن معدان ، عن ابن عامر عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة : مكة ، والمدينة ، والشام » قال الوليد : يعني بيت المقدس . وقال الشيخ عماد الدين بن كثير : بل تفسيره : بتبوك أحسن . قلت : ويدخل في مكة ضواحيها كالمنازل بمكة وعرفات والحديبية ، وفي المدينة ضواحيها كالمنازل بيدر وأحد وسلع .

(الثالث) : أن للمكّي ما وقع خطاباً بالأهل مكة ، والمدني ما وقع خطاباً بالأهل المدينة . ومحمل على هذا قول ابن مسعود الآتي .

قال القاضي أبو بكر في الانتصار : إنما يرجع في معرفة المكّي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين ، ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك قول ، لأنه لم يؤمر به ، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة ، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ النسخ والنسخ ، فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول . انتهى

وقد أخرج البخاري عن ابن مسعود أنه قال : «والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وأين نزلت » .
وقال أيوب : سأل رجل عكرمة عن آية من القرآن فقال : نزلت في سفح ذلك الجبل — وأشار إلى سلع^(١) . أخرجه أبو نعيم في الحلية .
وقد ورد عن ابن عباس وغيره عد المسكي والمدني . وأنا أسوق ما وقع لي من ذلك ، ثم أعقبه بتحرير ما اختلف فيه .

قال ابن سعد في الطبقات : أنبأنا الواقدي ، حدثني قدامة بن موسى ، عن أبي سلمة الحضرمي ، سمعت ابن عباس قال : سألت أبي بن كعب عما نزل من القرآن بالمدينة ؟ فقال : نزل بها سبع وعشرون سورة ، وسأثرها بمكة .

وقال أبو جعفر النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ^{*} : حدثني يموت بن المزرع ، حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ، أنبأنا أبو عبيدة معمر بن المثنى ، حدثنا يونس بن حبيب ، سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : سألت مجاهدًا عن تلخيص آي القرآن ، المدني من المسكي فقال : سألت ابن عباس عن ذلك ، فقال : سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة فهي مكية ، إلا ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنبَلُ... ﴾^(٣) إلى تمام الآيات الثلاث ، وما تقدم من السور مدنيات . ونزلت بمكة سورة الأعراف ويونس وهود ويوسف والرحمة وإبراهيم والحجر والنحل — سوى ثلاث آيات من آخرها فإنهن نزلن بين مكة والمدينة ، في منصرفه من أحد — وسورة بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج — سوى ثلاث آيات ﴿ هَذَانِ خَصَّانٍ... ﴾^(٤) إلى تمام الآيات الثلاث ، فإنهن نزلن بالمدينة — وسورة المؤمنين والفرقان وسورة الشعراء — سوى خمس آيات من آخرها نزلن بالمدينة : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ... ﴾^(٥) إلى آخرها . وسورة النمل والقصاص والعنكبوت والروم ولقمان — سوى ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَاءَ الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ... ﴾^(٦) إلى تمام

(١) سلع : جبل بسوق المدينة . (٢) كذا في الأصل ، وفي ط : « غوث نزرع » .

(٣) سورة الأنعام ١٥١ — ١٥٣ . (٤) سورة الحج ١٩ — ٢١ .

(٥) سورة الشعراء ٢٢٤ . (٦) سورة لقمان ٢٧ .

الآيات— وسورة السجدة، سوى ثلاث آيات: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا...﴾^(١) إلى تمام الآيات الثلاث . وسورة سبأ وفاطرويس والصفات وص والزمر، سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشى قاتل حمزة: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا...﴾^(٢) إلى تمام الثلاث آيات. والحواميم السبعوق والذاريات والطور والنجم والقمر والرحمن والواقعة والصف والتغابن إلا آيات من آخرها نزلن بالمدينة. والملك ون والحاقة وسأل وسورة نوح والجن والمزمل إلا آيتين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ...﴾^(٣). والمدثر إلى آخر القرآن إلا إذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، فإنهن مدينيات . ونزل بالمدينة سورة الأتقال وبراءة والنور والأحزاب وسورة محمد والفتح والحجرات والحديد وما بعدها إلى التحريم .

هكذا أخرجه بطوله، وإسناده جيد، رجاله كلهم ثقات من علماء العربيّة المشهورين .

* * *

وقال البيهقي في دلائل النبوة : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو محمد بن زياد العدل ، حدثنا محمد بن اسحاق ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا أحمد بن نصر بن مالك الخزازي ، حدثنا علي بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، حدثني يزيد النحوي ، عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن قالوا : أنزل الله من القرآن بمكة : اقرأ باسم ربك ، ون ، والمزمل ، والمدثر ، وتبت يدا أبي لهب ، وإذا الشمس كورت ، وسبح اسم ربك الأعلى ، والليلة إذا بغشى ، والفجر ، والضحى ، وألم نشرح ، والعصر ، والعاديات ، والكواثر ، وألهاكم التكاثر ، وأرأيت ، وقل يا أيها الكافرون ، وأصحاب الفيل ، والفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، وقل هو الله أحد ، والنجم ، وعبس ، وإنا أنزلناه ، والشمس وضحاها ، والسماء ذات البروج ، والتين ، والزيتون ، وإيلاف قریش ، والقارعة ، ولأقسم بيوم القيامة ، والهزجة ، والمرسلات ، وق ، ولأقسم بهذا البلد ، والسماء والطارق ، واقتربت الساعة ، وص ، والجن ، ويس ، والفرقان ،

(١) سورة السجدة ١٨ .

(٢) سورة الزمر ٥٣ .

(٣) سورة المزمل ٢٠ .

والملائكة ، وطه ، والواقعة ، وطسّم ، وطس ، وطسّم ، وبنى إسرائيل ، والتاسعة ، وهود ، ويوسف ، وأصحاب الحجر ، والأنعام ، والصفّات ، وتعمان ، وسبأ ، والزمر ، وحّم المؤمن ، وحّم الدخان ، وحّم السجدة ، وحّمسق ، وحّم الزخرف ، والجاثية ، والأحقاف ، والذاريات ، والفاشية ، وأصحاب الكهف ، والنحل ، ونوح ، وإبراهيم ، والأنبياء ، والمؤمنون ، وآلم السجدة ، والطور ، وتبارك ، والحاقة ، وسأل ، وعم يتساءلون ، والنازعات ، وإذا السماء انشقت ، وإذا السماء انفطرت ، والروم ، والعنكبوت .

وما نزل بالمدينة : ويل للمطففين ، والبقرة ، وآل عمران ، والأنفال ، والأحزاب ، والمائدة ، والمتعفة ، والنساء ، وإذا زلزلت ، والحديد ، ومحمد ، والرعد ، والرحمن ، وهل أتى على الإنسان ، والطلاق ، ولم يكن ، والحشر ، وإذا جاء نصر الله ، والنور ، والحج ، والمنافقون ، والمجادلة ، والحجرات ، وبأيهما النبي لم تحرم ، والصف ، والجمعة ، والتغابن ، والفتح ، وبرادة .
قال البيهقي : والتاسعة ، يريد بها سورة يونس . قال : وقد سقطت من هذه الرواية : الفاتحة والأعراف ، وكهيعص ، فيما نزل بمكة .

* * *

قال : وقد أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصغار ، حدثنا محمد بن الفضل ، حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن ذرارة الرقي ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الرحمن القرشي ، حدثنا خفيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، أنه قال : إن أول ما نزل الله على نبيه من القرآن : اقرأ باسم ربك ؛ فذكر معنى هذا الحديث ، وذكر السور التي سقطت من الرواية الأولى في ذكر ما نزل بمكة ، وقال : ولا حديث شاهد في تفسير مقاتل وغيره مع المرسل الصحيح الذي تقدم .

* * *

وقال ابن الضريس^(١) في فضائل القرآن : حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الرازي ، أنبأنا عمرو ابن هارون ، حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كانت إذا أنزلت فاتحة الكتاب بمكة كتبت بمكة ، ثم يزيد الله فيها ما شاء ، وكان أول ما أنزل من القرآن اقرأ باسم ربك ،

(١) هو محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس ، ذكره في تذكرة الحفاظ ٢ : ٥٩٢ .

ثم ن ، ثم بأيها المزمّل ، ثم بأيها المدثر ، ثم تبت يد أبي لهب ، ثم إذا الشمس كورت ، ثم سبح
اسم ربك الأعلى ، ثم والليل إذا يفتنى ، ثم والفجر ، ثم والضحى ، ثم ألم نشرح ، ثم والعصر ،
ثم والعاديات ، ثم إنا أعطيناك ، ثم ألهامك التكاثر ، ثم رأيت الذى يكذب ، ثم قل بأيها
الكافرون ، ثم ألم تر كيف فعل ربك ، ثم قل أعوذ بربّ الفلق ، ثم قل أعوذ برب
الناس ، ثم قل هو الله أحد ، ثم والنجم ، ثم عبس ، ثم إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، ثم والشمس
وضحاها ، ثم والسماء ذات البروج ، ثم والثنين ، ثم لإيلاف قريش ، ثم القارعة ، ثم لأقسم
بيوم القيامة ، ثم ويل لكل همزة ، ثم والمرسلات ، ثم ق ، ثم لأقسم بهذا البلد ، ثم والسماء
والطارق ، ثم اقتربت الساعة ، ثم ص ، ثم الأعراف ، ثم قل أوحى ، ثم يس ، ثم الفرقان ، ثم
الملائكة ، ثم كهيعص ، ثم طه ، ثم الواقعة ، ثم طه الشعراء ، ثم طس ، ثم القصص ، ثم بنى إسرائيل ،
ثم يونس ، ثم هود ، ثم يوسف ، ثم الحجر ، ثم الأنعام ، ثم الصافات ، ثم لقمان ، ثم سبأ ، ثم
الزمر ، ثم حم المؤمن ، ثم حم السجدة ، ثم حمصق ، ثم حم الزخرف ، ثم الدخان ، ثم الجاثية ،
ثم الأحقاف ، ثم الذاريات ، ثم الفاشية ، ثم الكهف ، ثم النحل ، ثم إنا أرسلنا نوحا ، ثم
سورة إبراهيم ، ثم الأنبياء ، ثم المؤمنين ، ثم تنزيل السجدة ، ثم الطور ، ثم تبارك الملك ، ثم
الحاقة ، ثم سأل ، ثم عم يتساءلون ، ثم النازعات ، ثم إذا السماء انفطرت ، ثم إذا السماء
انشقت ، ثم الروم ، ثم العنكبوت ، ثم ويل للمطففين . فهذا ما أنزل الله بمكة

ثم أنزل بالمدينة: سورة البقرة ، ثم الأنفال ، ثم آل عمران ، ثم الأحزاب ، ثم المتحنة ،
ثم النساء ، ثم إذا زلزلت ، ثم الحديد ، ثم القتال ، ثم الرعد ، ثم الرحمن ، ثم الإنسان ،
ثم الطلاق ، ثم لم يكن ، ثم الحشر ، ثم إذا جاء نصر الله ، ثم النور ، ثم الحج ، ثم المناقون ، ثم
المجادلة ثم الحجرات ، ثم التحريم ، ثم الجمعة ، ثم التغابن ، ثم الصف ، ثم المائدة ثم براءة

وقال أبو عبيد فى فضائل القرآن: حدثنا عبد الله بن صالح ومعاوية بن صالح ، عن علي بن أبي
طلحة ، قال: نزلت بالمدينة سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء والمائدة ، والأنفال ، والتوبة ، والحج

والنور ، والأحزاب ، والذين كفروا ، والفتح ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والمنتحنة ،
والحواريين - يريد الصف - والتغابن ، وبآياتها النبي إذ أطاقت النساء ، وبآياتها النبي لم تحرم ، والفجر ،
والليل ، وإنا أنزلناه في ليلة القدر ، ولم يكن ، وإذا زلزلت ، وإذا جاء نصر الله . وسائر ذلك بمكة .

وقال أبو بكر بن الأنباري : حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، حدثنا حجاج بن
منهال ، نبأنا هشام عن قتادة ، قال : نزل في المدينة من القرآن : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ،
والمائدة ، وبراءة ، والزعد ، والنحل ، والحج ، والنور ، والأحزاب ، ومحمد ، والفتح ، والحجرات ،
والحديد ، والرحمن ، والمجادلة ، والحشر ، والمنتحنة ، والصف ، والجمعة ، والمناقون ،
والتغابن ، والطلاق ، وبآياتها النبي لم تحرم ، إلى رأس العشر ، وإذا زلزلت ، وإذا جاء
نصر الله . وسائر القرآن نزل بمكة .

وقال أبو الحسن بن الحصار في كتابه النسخ والمنسوخ : المدني باتفاق عشرون سورة ،
والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة وما عدا ذلك مكي باتفاق ثم نظم في ذلك أبياتا قال :

باسائلي عن كتاب الله مجتهدا	وعن ترتب ما يتلى من السور
وكيف جاء بها المختار من مضر	صلى الإله على المختار من مضر
وما تقدم منها قبل هجرته	وما تأخر في بدو وفي حضر
ليعلم النسخ والتخصيص مجتهد	يؤيد الحكم بالتاريخ والنظر
تعارض النقل في أم الكتاب وقد	توولت الحجر تنبيها لمعتبر
أم القران وفي أم القرى نزلت	ما كان للخمس قبل الحمد من أثر (١)
وبعد هجرة خير الناس قد نزلت	عشرون من سور القرآن في عشر

(١) في حاشية الأصل بعد هذا البيت :

لو كان ذلك لكان النسخ أولها ولم يقل بصريح النسخ من بشر

فان : ورد هذا البيت في التجر ، فآخر لما ذأ سقط هنا ، وقد بينت معنى هذا البيت بما مش أن تعبير ، فراجع .

فَأَرْبَعٌ مِنْ طَوَالِ السَّبْعِ أَوَّلُهَا
وَتُوبَةُ اللَّهِ إِنْ عُدَّتْ فَسَادَةٌ
وَسُورَةُ لِنَبِيِّ اللَّهِ مُحْكَمَةٌ
ثُمَّ الْحَدِيدُ وَيَتْلُوهَا مُجَادِلَةٌ
وَسُورَةٌ فَضَحَ اللَّهُ النَّفَاقَ بِهَا
وَاللِّطْلَاقَ وَالتَّحْرِيمَ حَكْمَهُمَا
هَذَا الَّذِي اتَّفَقَتْ فِيهِ الرَّوَاةُ لَهُ
فَالرَّعْدُ مُخْتَلَفٌ فِيهَا مَتَى نَزَلَتْ
وَمِثْلُهَا سُورَةُ الرَّحْمَنِ شَاهِدُهَا
وَسُورَةٌ لِلْحَوَارِيِّينَ قَدْ عَلِمَتْ
وَلِيْلَهُ الْقَدْرُ قَدْ خُصَّتْ بِمِلَّتِنَا
وَقُلُّهُ هُوَ اللَّهُ مِنْ أَوْصَافِ خَالِقِنَا
وَذَا الَّذِي اخْتَلَفَتْ فِيهِ الرَّوَاةُ لَهُ
وَمَا سِوَى ذَلِكَ مَكِّيٌّ تَنْزَلُهُ
فَلَيْسَ كُلُّ خِلَافٍ جَاءَ مَعْتَبَرًا

وخامس الحس في الأنفال ذى العبر
وسورة النور والأحزاب ذى الذكر
والفتح والحجرات الفر في غرر
والحشر ثم امتحان الله للبشر
وسورة الجمع تذكرا لمد كبر (١)
والنصر والفتح تنبيها على العمر
وقد تعارضت الأخبار في آخر
وأكثر الناس قالوا الرعد كالعمر
تأ تضمن قول الجن في الخبر
ثم التغابن والتطيف ذوالنذر
ولم يكن بعدها الزلزال فاعتبر
وعودتان ترد البأس بالقدر
وربما استثنيت آي من السور
فلا تكن من خلاف الناس في حصر
الإخلاف له حظ من النظر

(١) خاتمة الأصل : قوله : « سورة اجمع ، أراد بها سورة الجمعة ، لحذف التاء الضرورة النظم ، فلا يقال : إن مراده بسورة الجمع سورة التغابن لقوله تعالى فيها :

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾

أعنى سورة الجمع - فيخالف هذا ما يأتي بعد في النظم من جعله التغابن من لختلف فيه ، *
القول : ثم التغابن والتطيف * .

فصل

في تحرير السور المختلف فيها

(سورة الفاتحة) : الأكثرون على أنها مكية ، بل ورد أنها أول ما نزل كما سيأتي في النوع الثامن ، واستدل لذلك بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ . (١)
وقد قسرها صلى الله عليه وسلم بالفاتحة كما في الصحيح . وسورة الحجر مكية باتفاق ، وقد امتن على رسوله فيها بها ، فدل على تقدم نزول الفاتحة عليها ، اذ يبعد أن يمتن عليه بما لم ينزل بعد ، وبأنه لا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة ، ولم يحفظ أنه كان في الإسلام صلاة بغير الفاتحة . ذكره ابن عطية وغيره .

وقد روى الواحدى والثعلبى من طريق العلاء بن المسيب ، عن الفضل بن عمرو ، عن علي بن أبي طالب ، قال : نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش .

واشتهر عن مجاهد القول بأنها مدنية ، أخرجه الفريابي (٢) في تفسيره ، وأبو عبيد في الفضائل بسند صحيح عنه . قال الحسين بن الفضل : هذه هفوة من مجاهد ، لأن العلماء على خلاف قوله ، وقد نقل ابن عطية القول بذلك عن الزهرى وعطاء وسودة بن زياد وعبد الله بن عبيد بن عمير .

وورد عن أبي هريرة باسناد جيد ، قال الطبرانى فى الأوسط : حدثنا عبيد بن غنم ، نبأنا أبو بكر بن أبي شيبة ، نبأنا أبو الأحوص ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي هريرة ، أن إبليس رن حين أنزلت فاتحة الكتاب ، وأنزلت بالمدينة . ويحتمل

(١) سورة الحجر ٨٧

(٢) ط : « الفريابي » تصحيف ، فيه عليه مصحح ط في المستدرک ، قال : الفريابي المحدث نسبة الى بلد تسمى فرياب . وقال ياقوت : فرياب : بلدة من نواحي بلخ .

أن الجملة الأخيرة مدرجة من قول مجاهد .

وذهب بعضهم إلى أنها نزلت مرتين ؛ مرة بمكة ومرة بالمدينة ؛ مبالغة في تشریفها .
وفيها قول رابع ، أنها نزلت نصفين ، نصفها بمكة ونصفها بالمدينة ، حكاه أبو الليث
السمرقندی .

(سورة النساء) : زعم النحاس أنها مكية مستنداً إلى إن قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ...﴾^(١)
الآية نزلت بمكة اتفاقاً في شأن مفتاح الكعبة ، وذلك مستنداً واه ، لأنه لا يلزم من نزول
آية أو آيات من سورة طويلة نزل معظمها بالمدينة أن تكون مكية ، خصوصاً أن الأرجح
أن ما نزل بعد الهجرة مدني ؛ ومن راجع أسباب نزول آياتها عرف الرد عليه . ومما يرد
عليه أيضاً ما أخرجه البخاري عن عائشة قالت : « ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا
عنده » ، ودخولها عليه كان بعد الهجرة اتفاقاً . وقيل : نزلت عند الهجرة .

(سورة يونس) : المشهور أنها مكية ، وعن ابن عباس روايتان ، فتقدم في الآثار السابقة
عنها أنها مكية . وأخرجه ابن مردويه من طريق العوفي عنه ، ومن طريق ابن جريج عن
عطاء عنه ، ومن طريق خصيف ، عن مجاهد ، عن ابن الزبير .

وأخرج من طريق عثمان ابن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس أنها مدنية ، ويؤيد
المشهور ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال : لما بعث الله محمداً رسولاً
أنكرت العرب ذلك - أو من أنكر ذلك منهم - فقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله
بشراً ، فأنزل الله تعالى : ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا...﴾^(٢) الآية .

(سورة الرعد) : تقدم من طريق مجاهد ، عن ابن عباس وعن علي بن أبي طلحة .
أنها مكية ، وفي بقية الآثار أنها مدنية .

وأخرج أبو الشيخ مثله ، عن قتادة وأخرج الأول عن سعيد بن جبير .

وقال سعيد بن منصور في سننه : حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر - قال :

سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالى : ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ...﴾^(٣) ، أهو عبد الله

(٢) سورة يونس ٢

(١) سورة النساء ٥٨

(٣) سورة الرعد ٤٣

ابن سلام؟ فقال : كيف وهذه السورة مكية ! ويؤيد القول بأنها مدنية ما أخرجه الطبراني وغيره عن أنس ، أن قوله الله : ﴿ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْتَى ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴾ ، نزل في قصة أربد بن قيس وعامر بن الطفيل حين قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . والذي يجمع به بين الاختلاف ، أنها مكية إلا آيات منها .

(سورة الحج) : تقدم من طريق مجاهد ، عن ابن عباس ، أنها مكية إلا الآيات التي استثناها ، وفي الآثار الباقية أنها مدنية .

وأخرج ابن مردويه من طريق العوفي : عن ابن عباس ، ومن طريق ابن جريج وعثمان ، عن عطاء عن ابن عباس ، ومن طريق مجاهد عن ابن الزبير : أنها مدنية ، قال ابن الفريسي (١) في أحكام القرآن : وقيل إنها مكية إلا : ﴿ هَذَا خِطْمَانٍ ... ﴾ الآيات . وقيل : إلا عشر آيات . وقيل : مدنية إلا أربع آيات : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ﴾ إلى ﴿ عَقِيمٍ ﴾ . قاله قتادة وغيره . وقيل : كلها مدنية ، قاله الضحاك وغيره . وقيل : هي مختلطة ، فيها مدني ومكي ، وهو قول الجمهور . انتهى

ويؤيد مانسبه إلى الجمهور أنه ورد في آيات كثيرة ، منها أنه نزل بالمدينة كما حذرناه في أسباب النزول .

- (سورة الفرقان) : قال ابن الفريسي : الجمهور على أنها مكية . وقال الضحاك مدنية .
(سورة يس) : حكى أبو سليمان الدمشقي له قولاً إنها مدنية ، قال : وليس بالشهور .
(سورة ص) : حكى الجعبري قولاً إنها مدنية ، خلاف حكاية جماعة الإجماع على أنها مكية .
(سورة محمد) : حكى النسفي قولاً غريباً إنها مكية .
(سورة الحجرات) : حكى قولاً شاذاً إنها مكية .

(١) ابن الفريسي ، بالعين المعجمة ، هو عبد النعم بن الفريسي ، من فقهاء الحنفية ، كما ذكره في المستدرک .

(سورة الرحمن): الجمهور على أنها مكّية، وهو الصواب، وبدل له ما رواه الترمذى
مواالحاكم عن جابر، قال: لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه سورة الرحمن
حتى فرغ، قال: مالي أراكم سكوتنا! للجن كانوا أحسن منكم رداً، ما قرأت عليهم من
حزرة: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك
الحمد. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين؛ وقصة الجن كانت بمكة.
وأصرحُ منه في الدلالة ما أخرجه أحمد في مسنده بسند جيد، عن أسماء بنت أبي بكر،
قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر،
والمشركون يسمعون: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ وفي هذا دليل على تقدم نزولها
على سورة الحجر.

(سورة الحديد): قال ابن الفرس: الجمهور على أنها مدنية، وقال قوم: إنها مكّية،
ولا خلاف أن فيها قرآناً مدنياً، لكن يشبه صدرها أن يكون مكّياً.
قلت: الأمر كقال، ففي مسند البزار وغيره عن عمر، أنه دخل على أخته قبل أن يسلم،
فإذا صحيفة فيها أول سورة الحديد، فقرأها، وكان سبب إسلامه.

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود، قال: لم يكن شيء بين إسلامه وبين أن نزلت
هذه الآية يعاتبهم الله بها إلا أربع سنين: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ آوَتْوا الْكِتَابَ مِنْ
حَبْلِ قِطَالٍ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ...﴾ (١) الآية.

(سورة الصف): المختار أنها مدنية، ونسبها ابن الفرس إلى الجمهور ورجحه،
حويدل له ما أخرجه الحاكم وغيره عن عبدالله بن سلام، قال: قعدنا نفر من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم، فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله لعلناه، فنزل
الله سبحانه: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يأتها الذين
آمنوا لم يقولوا مالا يفعلون... (٢)، حتى ختمها، قال عبدالله: فقرأها علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى ختمها.

(٢) سورة الصف ١، ٢

(٣) — الإتيان ج (١)

(١) سورة الحديد ١٦

(سورة الجمعة): الصحيح أنها مدنية لما روى البخاري عن أبي هريرة، قال: «كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل عليه سورة الجمعة: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَاءٍ يَلْحَقُوا بِهِمْ...﴾^(١) قلت: من هم يارسول الله؟!... الحديث. ومعلوم أن إسلام أبي هريرة بعد الهجرة بمدة. وقوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾^(٢) خطاب لليهود، وكانوا بالمدينة. وآخر السورة نزل في انفضاضهم حال الخطبة لما قدمت العير، كما في الأحاديث الصحيحة، فثبت أنها مدنية كلها.

(سورة التغابن): قيل مدنية، وقيل مكية إلا آخرها.

(سورة الملك): فيها قول غريب إنها مدنية.

(سورة الإنسان): قيل مدنية، وقيل مكية إلا آية واحدة: ﴿وَلَا تَطْعَمُ مِنْهُمْ آتَمًا أَوْ كَفُورًا﴾^(٣).

(سورة المطففين): قال ابن الفرس: قيل إنها مكية لذكر الأساطير فيها، وقيل: مدنية لأن أهل المدينة كانوا أشد الناس فساداً في النكيل: وقيل: نزلت بمكة إلا قصة التطفيف، وقال قوم: نزلت بين مكة والمدينة. انتهى.

قلت: أخرج النسائي وغيره بسند صحيح عن ابن عباس، قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل.

(سورة الأعلى): الجمهور على أنها مكية، قال ابن الفرس: وقيل إنها مدنية لذكر صلاة العيد وزكاة الفطر فيها.

قلت: ويردّه ما أخرجه البخاري عن البراء بن عازب، قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مُصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلنا يُقرآننا

القرآن، ثم جاء عمارو بلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم، فأرأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، فاجاء حتى قرأت «سبح اسم ربك الأعلى» في سورة مثلها.

(سورة الفجر): فيها قولان، حكاهما ابن العَرَس. قال أبو حيان: والجمهور على أنها مكية.

(سورة البلد): حكى ابن العَرَس فيها أيضا قولين، وقوله: ﴿هَذَا الْبَلَدُ﴾ يرد القول بأنها مدنية.

(سورة الليل): الأشهر أنها مكية، وقيل مدنية لما ورد في سبب نزولها من قصة النخلة

كما أخرجناه في أسباب النزول^(١). وقيل: فيها مكي ومدني.

(١) حاشية الأصل: « قوله كما أخرجناه في أسباب النزول، قال رحمه الله في كتابه أسباب النزول من قصة النخلة مانصه: أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، أن رجلا كانت له نخلة، فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، فكان الرجل إذا جاء فدخل الدار فصعد إلى النخلة ليأخذ منها التمر، فربما تقع ثمرة فيأخذها صبيان الفقير، فيترنل من نخله حتى يأخذ الثمرة من أيديهم، وإن وجدها في فم أحدهم أدخل لاصبعه حتى يخرج الثمرة من فيه، فشكا ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: اذهب. ولقي صلى الله النبي عليه وسلم صاحب النخلة، فقال له: أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان، ولك بها نخلة في الجنة، فقال الرجل: لقد أعطيت وإن لي نخلا كثيرا، وما فيه نخلة أعجب لي ثمرة منها. ثم ذهب الرجل ولقي رجلا كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحب النخلة، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أنهطيني يارسول الله ما أعطيت الرجل إذا أنا أخذتها؟ قال: نعم، فذهب الرجل فلقى صاحب النخلة ولكليها نخلة، فقال له صاحب النخلة: أشعرت أن محمدا صلى الله عليه وسلم أعطاني بنختي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة! فقلت له: لقد أعطيت ولكن يجيني ثمرها، ولي نخل كثير، ما فيه نخلة أعجب لي ثمرة منها: فقال له الآخر: أتريد بيعها؟ فقال: لا، إلا أن أعطني بها ما أريد، ولا أظن أن أعطني. قال: فكم منك فيها؟ قال: أربعمون نخلة، قال: لقد جئت بأمر عظيم، ثم سكت عنه، فقال له: أنا أعطيك أربعمون نخلة فأشهد لي إن كنت صادقا، فدعا قومه فأشهد له، ثم ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: يارسول الله، إن النخلة قد صارت لي، وهي لك، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صاحب الدار، فقال: النخلة لك وإيالك، فأترنل الله: « واللبليل إذا يفضى ... »، إلى آخر السورة. قال ابن كثير: غريب جدا. وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو أن أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلمهم يذب في الله وفيه نزلت: « وسيجنبها الأتقى ... » إلى آخر السورة.

وأخرج الحاكم عن غامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال: قال أبو قحافة لأبي بكر أراك تتفق آرقابا ضعفا، فلو أنك أعتقت رجلا جلدا، بمنعوك ويقومون دونك! فقال: يا أباي، إنني أريد ما عند الله، فنزلت هذه الآية فيه: « فأما من أعطى واتق. وصدق بالحسنى ... »، إلى آخر السورة =

(سورة القدر): فيها قولان ، والأكثر أنها مكية ويستدلّ لكونها مدنية بما أخرجه الترمذى والحاكم ، عن الحسن بن عليّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم رأى بنى أمية على منبره ، فساء ذلك ، فنزلت ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ، ونزلت ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ...﴾ الحديث ، قال المزنيّ : وهو حديث منكر .

(سورة لم يكن) : قال ابن القيس : الأشهر أنها مكية .

قلت : ويدلّ لمقابلته ما أخرجه أحمد عن أبي حنيفة البدرى قال : لما نزلت ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾ إلى آخرها : قال جبريل : يا رسول الله ، إن ربك يأمرك أن تقرّها آيياً ... الحديث . وقد جزم ابن كثير بأنّها مدنية واستدلّ به .

(سورة الزلزلة) : فيها قولان ، ويستدلّ لكونها مدنية بما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدرى ، قال : لما نزلت : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ...﴾ الآية قلت : يا رسول الله ، إنى لراء على ... الحديث . وأبو سعيد لم يكن إلا بالمدينة ولم يبلغ إلا بعد أحد .

(سورة العاديات) : فيها قولان .

ويستدلّ لكونها مدنية بما أخرجه الحاكم وغيره عن ابن عباس : قال : «بث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلاً ، فابنت شهر الا يأتيه منها خبر ، فنزلت «والعاديات...» ، الحديث .

(سورة الماكم) : الأشهر أنها مكية ، ويدلّ لكونها مدنية - وهو المختار - ما أخرجه ابن أبي حاتم ، عن ابن مبريدة ، أنها نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار تفاخروا ... الحديث .

وأخرج عن قتادة أنها نزلت في اليهود .

= وأخرج البراء عن ابن الزبير ، قال : نزلت هذه الآية : «وما لأحد عنده من نعمة تجزي...» إلى آخرها ، في أبي بكر الصديق رضى الله عنه .

هذا حاصل ما ذكره في كتابه أسباب النزول من قصته النخلة . وانظره في ٢ : ١٣٣

وأخرج البخاري عن أبي بن كعب قال: كنا نرى هذا من القرآن - يعني « لو كان لابن آدم واد من ذهب » - حتى نزلت: « ألهاكم التكاثر » .

وأخرج الترمذي ، عن عليّ قال : مازلنا نشكّ في عذاب القبر حتى نزلت في وعذاب القبر لم يذكر إلا بالمدنية كما في الصحيح في قصة اليهودية .

(سورة أذابت): فيها قولان ، حكاهما ابن الفرس .

(سورة الكوثر) : الصواب أنها مدنية، ورجحه النووي في شرح مسلم لما أخرجه

مسلم عن أنس ، قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، إذ أغفى إغفاءً ، فرفع رأسه متبسماً ، فقال : أنزلت عليّ آتفا سورة ، فقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ، إنا أعطيناك الكوثر... ﴿ حتى ختمها... الحديث .

(سورة الإخلاص) : فيها قولان ، لحديثين في سبب نزولها متعارضين . وجمع بعضهم

بيهما بتسكرر نزولها ، ثم ظهر لي بعد ترجيح أنها مدنية ، كما بينته في أسباب النزول (١) .

(المعوذتان) : المختار أنهما مدنيتان ، لأنهما نزلتا في قصة سحر كبيد بن الأصم ، كما

أخرجه البيهقي في الدلائل .

فصل

قال البيهقي في الدلائل: في بعض السور التي نزلت بمكة آيات نزلت بالمدينة فألحقت بها . وكذا قال ابن الحصار: وكل نوع من المكي والمدني منه آيات مستثناة؛ قال: إلا أن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل .

فصل

في ذكر ما استثنى من المكي والمدني

وقال ابن حجر في شرح البخاري: قد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكية. قال: وأما عكس ذلك، وهو نزول شيء من سورة بمكة، تأخر نزول تلك السورة إلى المدينة، فلم أراه إلا نادراً .

قلت: وهأنا أذكر ما وقفتُ على استثنائه من النوعين، مستوعباً ما رأيت من ذلك على الاصطلاح الأول دون الثاني، وأشير إلى أدلة الاستثناء لأجل قول ابن الحصار السابق، ولا أذكر الأدلة بلفظها اختصاراً وإحالةً على كتابنا أسباب النزول .

(الفأخرة): تقدم قول أن نصفها نزل بالمدينة، والظاهر أنه النصف الثاني، ولادليل لهذا القول .

(البقرة): استثنى منها آيتان: ﴿ فَأَعْمُوا وَأَصْفَحُوا ﴾ ^(١)، و﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ ^(٢) . (الأنعام): قال ابن الحصار: استثنى منها تسع آيات، ولا يصح به نقل، خصوصاً قد ورد أنها نزلت جملة .

قلت: قد صح النقل عن ابن عباس استثناء: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا... ﴾ ^(٣) الآيات الثلاث كما تقدم، والبواقي: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ^(٤) . لما أخرجه ابن أبي حاتم أنها

نزلت في مالك بن الصيف، وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا...﴾ (١) الآيتين،
نزلتافي مُسَيْلِمَةَ. وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ (٢)، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ
آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (٣).

وأخرج أبو الشيخ عن الكلبي، قال: نزلت الأنعام كلها بمكة إلا آيتين نزلتا
بالمدينة في رجل من اليهود وهو الذي قال: ﴿مَا نَزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٤).

وقال الفريابي: حدثنا سُفْيَانُ، عن إيث عن بشر، قال: الأنعام مكية إلا ﴿قُلْ
تَعَالَوْا أَنبُلُكُمْ﴾ والآية التي بعدها.

(الأعراف): أخرج أبو الشيخ بن حيان عن قتادة قال: الأعراف مكية الآية
﴿وَأَسْأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ (٥). وقال غيره: من هنا إلى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ
مِنْ بَنِي آدَمَ...﴾ (٦) مدن.

(الأفال): استثنى منها: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ (٧) الآية، قال
مقاتل: نزلت بمكة.

قلت: يردّه ماصح عن ابن عباس أنّ هذه الآية بعينها نزلت بالمدينة كما أخرجناه
في أسباب النزول، واستثنى بعضهم قوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ...﴾ (٨) الآية،
وصحّحه ابن العربي وغيره.

قلت: يؤيده ما أخرجه البزار، عن ابن عباس أنها نزلت لما أسلم عمر.
(براءة): قال ابن العرس: مدنية إلا آيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ...﴾ (٩)
إلى آخرها.

قلت: غريب، كيف وقد ورد أنها آخر منازل! واستثنى بعضهم: ﴿مَا كَانَ

(٣) آية ١١٤

(٢) آية ٢٠

(١) آية ٢١، ٢٢

(٦) آية ١٧٢

(٥) آية ١٦٣

(٤) آية ٩١

(٩) آيات ١٢٨، ١٢٩

(٨) آية ٦٤

(٧) آية ٣٠

تَلَنَّبِيَّ .. ﴿ (١) الآية ، مَا وَرَدَ أَنَهَا نَزَلَتْ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَبِي طَالِبٍ :
«لَا اسْتَغْفِرُونَ لَكَ مَا لَمْ أَنَا عَنْكَ» .

(يونس) : اسْتَفْتَنِي مِنْهَا : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ .. ﴾ (٢) الآيتين ، وقوله : ﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ
يُؤْمِنُ بِهِ .. ﴾ (٣) الآية . قيل : نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ . وقيل : من أولها إلى رأس أربعين مكى والباقي
مدنى ، حكاه ابن الفرس والسخاوى فى جمال القراء .

(هود) : اسْتَفْتَنِي مِنْهَا ثَلَاثَ آيَاتٍ : ﴿ فَلَمَّا تَارَكَ .. ﴾ (٤) ، ﴿ أَقَمْنَاكَ عَلَى بَيْتِنَا
مِنْ رَبِّهِ .. ﴾ (٥) ، ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ .. ﴾ (٦) .

قلت : دليل الثالثة ماصح من عدة طرق أمّا نزلت بالمدينة فى حق أبى اليسر .
(يوسف) : اسْتَفْتَنِي مِنْهَا ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ أَوْلَاهَا ، حَكَاهُ أَبُو حِيَّانٍ ، وَهُوَ وَاهٍ جَدًّا
لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ .

(الرعد) : أَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : سُورَةُ الرَّعْدِ مَدْنِيَّةٌ الْآيَةُ ، قَوْلُهُ : ﴿ وَلَا يَزَالُ
الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ .. ﴾ (٧) وَعَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهَا مَكِّيَّةٌ ، يَسْتَفْتِي
قَوْلُهُ : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ شَدِيدِ الْجَحَالِ .. ﴾ (٨) كَمَا تَقَدَّمَ وَالْآيَةُ آخِرُهَا ، فَقَدْ
أَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويه عَنْ جُنْدَبٍ ، قَالَ : جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ حَتَّى أَخَذَ بَعْضَادَتِي بَابَ
الْمَسْجِدِ ، قَالَ : أَنْشِدْكُمْ بِاللَّهِ أَى قَوْمٍ ، أَتَمَلُّونَ أُنَى الَّذِى أَنْزَلْتُمْ فِيهِ : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ
الْكِتَابِ ﴾ (٩) ؟ قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ .

(إبراهيم) : أَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ مَكِّيَّةٌ غَيْرُ آيَتَيْنِ مَدْنِيَّتَيْنِ :
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ إِلَى ﴿ وَبَشِّرِ الْقَرَارُ .. ﴾ (١٠) .

٤٠ آية (٣)

١١٤ آية (٦)

٩٥، ٩٤ آية (٢)

١٧ آية (٥)

١٣ — ٨ آيات (٨)

١٩، ٢٨ آية (١٠)

١١٣ آية (١)

١٤ — ١٢ آية (٤)

٣١ آية (٧)

٤٣ آية (٩)

(الحجر) : استثنى بعضهم منها: ﴿وَأَقْدَمْنَا آيَاتِكَ سُبْحًا...﴾ الآية (١) .
قلت : وينبغي استثناء قوله : ﴿وَأَقْدَمْنَا السُّتْقَمِينَ...﴾ (٢) ، الآية ، لما أخرجه
الترمذى وغيره فى سبب نزولها ، وأنها فى صفوف الصلاة .

(النحل) : تقدّم عن ابن عباس أنه استثنى آخرها ، وسيأتى فى السّفرى ما يؤيده .
وأخرج أبو الشّيخ عن الشعبي ، قال : نزلت النحل كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات : ﴿وَإِنْ
عَاقَبْتُمْ...﴾ (٣) إلى آخرها .

وأخرج عن قتادة ، قال : سورة النحل من قوله : ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ
مَا ظَلَمُوا...﴾ (٤) إلى آخرها مدنى ، وما قبلها إلى آخر السورة مكي ، وسيأتى فى أول ما نزل
عن جابر بن زيد أن النحل نزل منها بمكة أربعون ، وباقية بالمدينة . ويرد ذلك ما أخرجه
أحمد عن عثمان بن أبي العاص فى نزول ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (٥) ،
وسيأتى فى نوع الترتيب .

(الإسراء) : استثنى منها : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾ (٦) الآية ، لما أخرجه
البخارى عن ابن مسعود أنها نزلت بالمدينة فى جواب سؤال اليهود عن الروح .
واستثنى منها أيضا : ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ إلى قوله : ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ
زَهُوقًا﴾ (٧) ، وقوله : ﴿قُلْ لَيْسَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ...﴾ (٨) الآية ، وقوله : ﴿وَمَا
جَعَلْنَا الرُّؤْيَا...﴾ (٩) الآية ، و﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ (١٠) لما أخرجه فى
فى أسباب النزول .

(الكهف) : استثنى من أوّلها إلى ﴿جُرْرًا﴾ (١١) ، وقوله : ﴿وَاصْبِرْ﴾

- | | |
|-------------------------|---|
| (٢) سورة الحجر ٢٤ | (١) سورة الحجر ٨٧ |
| (٤) سورة النحل ٤١ | (٣) سورة النحل ١٢٦ |
| (٦) سورة الإسراء ٨٥ | (٥) سورة النحل ٩٠ |
| (٨) سورة الإسراء ٨٨ | (٧) سورة الإسراء ٧٣ - ٨١ |
| (١١) سورة الكهف ١ - ٨ | (٩) سورة الإسراء ٦٠ (١٠) سورة الإسراء ١٠٧ |

تَفْسِكَ... ﴿١﴾ الآية، و﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ ﴿٢﴾ إلى آخر السورة.

(مریم): استثنى منها آية السجدة، وقوله ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ﴿٣﴾

(طه): استثنى منها: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ...﴾ ﴿٤﴾ الآية.

قلت: ينبغي أن يستثنى آية أخرى فقد أخرج البزار وأبو يعلى عن أبي رافع قال: أضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيقاً فأرسلني إلى رجل من اليهود: أن أسلفني دقيقاً إلى هلال رجب، فقال: لا إلا برهن، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته: فقال: «أما والله إني لأدين في السماء أمين في الأرض»، فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَمَّنَّا بِهِ أَرْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ ﴿٥﴾.

(الأنبياء): استثنى منها: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ...﴾ ﴿٦﴾ الآية.

(الحج): تقدم ما استثنى منها.

(المؤمنين): استثنى منها: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾، إلى قوله: ﴿مُبْلِسُونَ﴾ ﴿٧﴾.

(الفرقان): استثنى منها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ﴾ إلى ﴿رَحِيمًا﴾ ﴿٨﴾.

(الشعراء): استثنى ابن عباس منها: ﴿وَالشُّعْرَاءُ﴾ ﴿٩﴾ إلى آخرها كما تقدم. زاد

غيره قوله: ﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿١٠﴾، حكاه ابن الفرس.

(القصص): استثنى منها: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ إلى قوله: ﴿الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١١﴾،

فقد أخرج الطبراني، عن ابن عباس أنها نزلت هي وآخر الحديد في أصحاب النجاشي

الذين قدموا وشهدوا واقعة أحد، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ...﴾ ﴿١٢﴾

الآية لما سيأتي.

(٢) سورة الكهف ١٠٧
(٤) سورة طه ١٣٠
(٦) سورة الأنبياء ٤٤
(٨) سورة الفرقان ٦٨ - ٧٠
(١٠) سورة الشعراء ١٩٧
(١٢) سورة القصص ٨٥

(١) سورة الكهف ٢٨
(٣) سورة ص ٧١
(٥) سورة طه ١٣١
(٧) سورة المؤمن ٦٤ - ٧٧
(٩) سورة الشعراء ٢٢٤ - ٢٢٧
(١١) سورة القصص ٥٢ - ٥٥

(المنكيات): استثنى من أولها إلى ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ (١) ، لما أخرجه ابن جرير في سبب نزولها .

(قلت): ويضم إليه: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ ذَا بِيَةٍ...﴾ (٢) الآية، لما أخرجه ابن أبي حاتم في سبب نزولها .

(لقمان): استثنى منها ابن عباس: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَاءِي الْأَرْضِ...﴾ (٣) الآيات الثلاث كما تقدم .

(السجدة): استثنى منها ابن عباس: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا...﴾ (٤) الآيات الثلاث كما تقدم، وزاد غيره: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ (٥) ويدل له ما أخرجه البزار عن بلال، قال: كنا نجلس في المسجد، وناس من الصحابة يصلون بعد المغرب إلى العشاء، فنزلت .

(سبأ): استثنى منها: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ...﴾ (٦) الآية . وروى الترمذي عن قروة بن مسيك المرادي، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، ألا أقاتل من أدبر من قومي ... الحديث، وفيه: «وأُنزل في سبأ ما أنزل، فقال رجل: يا رسول الله، وما سبأ؟ ... الحديث .

قال ابن الحصار: هذا يدل على أن هذه القصة مدنية لأن مهاجرة قروة بعد إسلام تقيف سنة تسع .

قال: ويحتمل أن يكون قوله: «وأُنزل» حكاية عما تقدم نزوله قبل هجرته .

(يس): استثنى منها: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى...﴾ (٧) الآية، لما أخرجه الترمذي

والحاكم عن أبي سعيد، قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية . قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن آتاكم تسكتب»، فلم

(٢) سورة المنكيات ٦٠

(٤) سورة السجدة ١٨ — ٢٠

(٦) سورة سبأ ٦

(١) سورة المنكيات ١١

(٣) سورة لقمان ٢٧ — ٢٩

(٥) سورة السجدة ١٦

(٧) سورة يس ١٢

يقتولوا. واستثنى بعضهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا...﴾ (١) الآية، قيل: نزلت في المنافقين. (الزمر): استثنى منها: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ...﴾ (٢) الآيات الثلاث كما تقدم عن ابن عباس.

وأخرج الطبراني من وجه آخر عنه أنها نزلت في وحشى قاتل حمزة، وزاد بعضهم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ...﴾ (٣) الآية، ذكره السخاوى في جمال القراء، وزاد غيره: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ...﴾ (٤) الآية، وحكاه ابن الجزرى.

(غافر): استثنى منها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥)، وقد أخرج ابن أبى حاتم عن أبى العالية وغيره، أنها نزلت في اليهود كما ذكره والدجال، وأوضحته في أسباب النزول.

(شورى): استثنى منها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى﴾ إلى قوله: ﴿بَصِيرٌ﴾ (٦).

قلت: بدلالة ما أخرجه الطبراني والحاكم في سبب نزولها، فإنها نزلت في الأنصار. وقوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ...﴾ (٧) الآية نزلت في أصحاب الصفة. واستثنى بعضهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ (٨)، حكاه ابن العرس.

(الزخرف): استثنى منها: ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا...﴾ (٩) الآية، قيل: نزلت بالمدينة وقيل: في السماء.

(الجمانية): استثنى منها: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا...﴾ (١٠) الآية، حكاه في جمال القراء عن قتادة.

(الأحقاف): استثنى منها: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...﴾ (١١) الآية، وقد

(٢) الزمر ٥٣ — ٥٥
(٤) سورة الزمر ٢٣
(٦) سورة الشورى ٢٤ — ٢٧
(٨) سورة الشورى ٣٩ ، ٤٠
(١٠) سورة الجمانية ١٤

(٢) سورة يس ٧
(٣) سورة الزمر ١٠
(٥) سورة غافر ٥٦ ، ٥٧
(٧) سورة الشورى ٢٧
(٩) سورة الزخرف ٤٥
(١١) سورة الأحقاف ١٠

أخرج الطبراني بسند صحيح ، عن عوف بن مالك الأشجعي ، أنها نزلت بالمدينة في قصة إسلام عبد الله بن سلام ؛ وله طرق أخري ، لكن أخرج ابن أبي حاتم عن مسروق ، قال : أنزلت هذه الآية بمكة ، إنما كان إسلام ابن سلام بالمدينة ، وإنما كانت خصومة خاص بها محمداً صلى الله عليه وسلم .

وأخرج عن الشعبي قال : ليس بعبد الله بن سلام ، وهذه الآية مكية . واستثنى بعضهم : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ ... ﴾ ^(١) الآيات الأربع ، وقوله : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَّرَ أُولُو الْقُرْآنِ ... ﴾ ^(٢) الآية ، حكاة في جمال القراء .

(ق) : استثنى منها : ﴿ وَآتَيْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمْنَاكَ مَا نَحْنُ بِمُعْتَبِرِينَ ﴾ ، ﴿ وَإِلَى الْعُقُوبِ ﴾ ^(٣) ، فقد أخرج الحاكم وغيره أنها نزلت في اليهود .

(النجم) : استثنى منها : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ ﴾ ^(٤) إلى ﴿ آتَى ﴾ . وقيل : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي سَوَّى ... ﴾ ^(٥) الآيات التسع .

(القمر) استثنى منها : ﴿ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ ... ﴾ ^(٦) الآية : هو مردود لما سيأتي في النوع الثاني عشر . وقيل : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ... ﴾ ^(٧) الآيتين .

(الرحمن) : استثنى منها : ﴿ يَسْأَلُهُ ﴾ ^(٨) ، حكاة في جمال القراء .

(الواقعة) : استثنى منها : ﴿ نُفِثْنَا مِنَ الْأُولَى * وَنُفِثْنَا مِنَ الْآخِرِينَ ﴾ ^(٩) وقوله : ﴿ فَلَا تَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ ، إلى ﴿ تَكْذِبُونَ ﴾ ^(١٠) ، لما أخرجه مسلم في سبب نزولها .

(١) سورة الأحقاف ١٥

(٢) سورة الأحقاف ٣٥

(٣) سورة النجم ٣٢

(٤) سورة القمر ٥٥

(٥) سورة الرحمن ٢٩

(٦) سورة الواقعة ٧٥ - ٨٢

(٣) سورة ق ٢٨

(٥) سورة النجم ٣٣ وما بعدها

(٧) سورة القمر ٥٤ ، ٥٥

(٩) سورة الواقعة ١٣ ، ١٤

(الحدید): استثنى منها على القول بأنها مكية آخرها .

(المجادلة): استثنى منها: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ... ﴾^(١) الآية، حكاه ابن

الفرس وغيره .

(التغابن): استثنى منها على أنها مكية آخرها، لما أخرجه الترمذى والحاكم فى

سبب نزولها .

(التحریم): تقدم عن قتادة أن اللذنى منها إلى رأس العشر، والباقي مكى .

(تبارك): أخرج جوبير فى تفسيره عن الضحاک، عن ابن عباس: قال: أنزلت الملك

فى أهل مكة إلا ثلاث آيات .

(ب): استثنى منها: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاكُمْ ﴾، إلى ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾^(٢)، ومن: ﴿ فَاصْبِرْ ﴾

إلى ﴿ الصَّالِحِينَ ﴾^(٣) فإنه مدنى؛ حكاه السخاوى فى جمال القراء .

(الزمل): استثنى منها: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ... ﴾^(٤) الآيتين، حكاه الأصبهاني،

وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ ... ﴾^(٥) إلى آخر السورة. حكاه ابن الفرس، ويرده ما أخرجه

الحاكم عن عائشة أنه نزل بعد نزول صدر السورة بسنة، وذلك حين فرض قيام الليل فى

أول الإسلام قبل فرض الصلوات الخمس .

(الإنسان): استثنى منها: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾^(٦) .

(المرسلات): استثنى منها: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾^(٧) .

حكاه ابن الفرس وغيره .

(١) سورة المجادلة ٧

(٢) سورة ن ١٧ - ٢٣

(٤) سورة الزمل ١٠ ، ١١

(٦) سورة الإنسان ٢٤

(٣) سورة ن ٤٨ - ٥٠

(٥) سورة الزمل ٣٠

(٧) سورة المرسلات ٤٨

(للطفقين): قيل: مكية إلا ست آيات من أولها .
(البلد) : قيل: مدنية إلا أربع آيات من أولها .
(الليل) : قيل: مكية إلا أولها .

ضوابط

في المكي والمدني

(أرأيت) : نزل ثلاث آيات من أولها بمكة ، والباقي بالمدينة .
أخرج الحاكم في مستدرّكه والبيهقي في الدلائل والبخاري في مسنده من طريق الأعمش ،
عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : ما كان « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » أنزل بالمدينة ،
وما كان « يَا أَيُّهَا النَّاسُ » فبمكة .

وأخرجه أبو عبيد في الفضائل عن علقمة مرسلًا .

وأخرج عن ميمون بن مهران ، قال : ما كان في القرآن « يَا أَيُّهَا النَّاسُ » أو
« يَا بَنِي آدَمَ » ، فإنه مكي ، وما كان « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » فإنه مدني .
قال ابن عطية وابن العرس وغيرهما : هو في « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » صحيح وأما « يَا أَيُّهَا
النَّاسُ » فقد أتى في المدني .

وقال ابن الحصّار : قد اعتنى المتشاغلون بالنسخ بهذا الحديث ، واعتمدوه على
ضعفه ، وقد اتفق الناس على أن النساء مدنيه وأولها « يَا أَيُّهَا النَّاسُ » ، وعلى أن الحج
مكية ، وفيها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾^(١) .

وقال غيره : هذا القول إن أخذ على إطلاقه ، فيه نظر فإن سورة البقرة مدنية ،
وفيها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم ﴾^(٢) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ ﴾^(٣) .
وسورة النساء مدنية ، وأولها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ .

(٢) سورة البقرة ٢١

(١) سورة الحج ٧٧

(٣) سورة البقرة ١٦٨

وقال مكي: هذا إنما هو في الأكثر، وليس بعام، وفي كثير من السور المكية
« يا أيها الذين آمنوا » .

وقال غيره: الأقرب حمله على آتة خطاب، المقصود به — أو جل المقصود به —
أهل مكة أو المدينة.

وقال القاضي: إن كان الرجوع في هذا إلى النقل فسأم، وإن كان السبب فيه حصول
المؤمنين بالمدينة على الكثرة دون مكة فضعيف، إذ يجوز خطاب المؤمنين بصفتهم
وباسمهم وجنسهم ويؤمر غير المؤمنين بالعبادة كما يؤمر المؤمنون بالاستمرار عليها والازدياد
منها. نقله الإمام نجر الدين في تفسيره .

وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق يونس بن بكير، عن هشام بن عروة، عن أبيه،
قال: كل شيء نزل من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون، فإتاما نزل بمكة، وما كان من
القرائض والسنن فإتاما نزل بالمدينة .

وقال الجعبري: لمعرفة السكي وللذني طريقان: سماعي وقياسي، فالسماعي ما وصل
إلينا نزوله بأحدهما، والقياسي كل سورة فيها « يا أيها الناس » فقط، أو « كلاً »، أو أولها
حرف هج، سوى الزهراوين والرعد، أو فيها قصة آدم وإبليس، سوى البقرة فهي مكية .
وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فریضة أو حد؛ فهي
مدنية . انتهى .

وقال مكي: كل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية؛ زاد غيره: سوى العنكبوت .
وفي كامل الهدى: كل سورة فيها سجدة فهي مكية .

وقال الدررني رحمه الله:

وما نزلت كلاً ييثر فاعلمن * ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى
وحكمة ذلك أن نصفه الأخير نزل أكثره بمكة، وأكثرها جبارة، ففكرت
فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم، والإنكار عليهم، بخلاف النصف الأول، وما نزل

منه في اليهود لم يحتج إلى إيراد هافيه^(١) لذاتهم وضعفهم؛ ذكره العناني .

فائدة

أخرج الطبراني ، عن ابن مسعود : نزل النصف بمكة فكنا حججا قرؤه ، لا ينزل غيره .

تفسيه

قد تبين بما ذكرناه من الأوجه التي ذكرها ابن حبيب المكي والمدني وما اختلف فيه وترتيب نزول ذلك ، والآيات المدنيات في السورة المكية والآيات المكيات في السور المدنية ، وبقي أوجه تتعلق بهذا النوع ذكر هو أمثاتها فنذكره .

مثال ما نزل بمكة وحكمه مدني : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ... ﴾^(٢) الآية ، نزل بمكة يوم الفتح ، وهي مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة . وقوله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾^(٣) كذلك .

قلت : وكذا قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا... ﴾^(٤) في آيات أخر .

ومثال ما نزل بالمدنية وحكمه مكي سورة المتحنة ، فإنها نزلت بالمدنية مخاطبة لأهل مكة . وقوله في النحل : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا... ﴾^(٥) إلى آخرها ، نزل بالمدنية مخاطبة أهل مكة ، وصدر براءة نزل بالمدنية خطابا لمشركي أهل مكة .

ومثال ما يشبه تنزيل المدني في السور المكية قوله في النجم : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ

(١) كفا في الأمل ، ووط : « هافيه » .

(٢) سورة المائدة ٢

(٣) سورة النحل ٤١

(٤) سورة الحجرات ١٣

(٥) سورة النساء ٥٨

كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ ﴿١﴾؛ فَإِنَّ الْفَوَاحِشَ كُلَّ ذَنْبٍ فِيهِ حَدٌّ وَالْكَبَائِرُ كُلُّ ذَنْبٍ عَاقِبَتُهُ النَّارُ، وَاللَّمَمُ مَا بَيْنَ الْحَدَّيْنِ مِنَ الذَّنُوبِ، وَلَمْ يَكُنْ بِمَكَّةَ حَدٌّ وَلَا نَحْوُهُ .
ومثال ما يشبه تنزيل مكة في السور المدنية قوله: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾، وقوله في الأنفال: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ...﴾ ﴿٢﴾ الآية .

ومثال ما حُجِّلَ من مكة إلى المدينة سورة يوسف والإخلاص .

قلت : وسبِّح، كما تقدم في حديث البخارى .

ومثال ما حُجِّلَ من المدينة إلى مكة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ ﴿٣﴾ وآية الربا، وصدر براءة، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ...﴾ ﴿٤﴾ الآيات .

ومثال ما حُجِّلَ إلى الحبشة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ...﴾ ﴿٥﴾ الآيات .

قلت : صحَّ حملها إلى الروم .

وينبغى أن يمثَّلَ لما حُجِّلَ إلى الحبشة بسورة مريم، فقد صحَّ أن جمفر بن أبى طالب قرأها على النجاشي .؛ وأخرجه أحمد في مسنده .

وأما منازل بالجحفة والطائف وبيت المقدس والحديبية، فسيأتى في النوع الذى يلي هذا، ويضمُّ إليه ما نزل بمبى وعرفات وعسفان وتبوك وبدر وأحد وحراء وحمراء الأسد .

(٢) سورة الأنفال ٣٢

(٤) سورة النساء ٩٧

(١) سورة النجم ٣٢

(٣) سورة البقرة ٢١٧

(٥) سورة آل عمران ٦٤

النوع الثاني في معرزة الحضري والسيدي

أمثلة الحضري كثيرة، وأما السيدي فله أمثلة تتبعتها، منها: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (١) نزلت بمكة عام حجة الوداع، فأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر قال: لما طاف النبي صلى الله عليه وسلم قال له عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: قال: نعم، قال: أفلا نتخذُه مصلى؟ فنزلت.

وأخرج ابن مردويه عن طريق عمرو بن ميمون، عن عمر بن الخطاب، أنه مر بمقام إبراهيم فقال: يا رسول الله، أليس تقوم مقام خليل ربنا؟ قال: بلى، قال: أفلا نتخذُه مصلى! فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزلت.

وقال ابن الحصار: نزلت إماماً في عُمره القضاء أو في غزوة الفتح أو في حجة الوداع. ومنها: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا...﴾ (٢) الآية، روى ابن جرير عن الزهري أنها نزلت في عُمره الحديبية. وعن السدي أنها نزلت في حجة الوداع.

ومنها: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (٣) فأخرج ابن أبي حاتم عن صفوان بن أمية قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم منضج بالزعفران، عليه جبة، فقال: كيف تأمرني في عمرتي؟ فنزلت، فقال: أين السائل عن العمرة؟ ألقى عنك ثيابك ثم اغتسل... الحديث.

ومنها: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ...﴾ (٤) الآية، نزلت بالحديبية، كما أخرجه أحمد، عن كعب بن عجرة الذي نزلت فيه، والواحدى عن ابن عباس.

ومنها: ﴿وَآتَى مِنَ الرَّسُولِ...﴾ (٥) الآية، قيل: نزلت يوم فتح مكة، ولم أف له على دليل.

(٢) سورة البقرة ١٩٦

(٥) سورة البقرة ٢٨٥

(١) سورة البقرة ١٢٥

(٢) سورة البقرة ١٨٩

(٤) سورة البقرة ١٩٦

ومنها: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ...﴾ (١) الآية، نزلت بمنى عام حجة الوداع، فيما أخرجه البيهقي في الدلائل.

ومنها: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لَهِ وَالرَّسُولِ...﴾ (٢) الآية، أخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس، أنها نزلت بجمراء الأسد.

ومنها: آية التيسيم في النساء (٣)، أخرج ابن مردويه عن الأسلم بن شريك، أنها نزلت في بعض أسفار النبي صلى الله عليه وسلم.

ومنها: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...﴾ (٤) نزلت يوم الفتح في جوف الكعبة، كما أخرجه سنيد في تفسيره عن ابن جريج، وأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس.

ومنها: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ...﴾ (٥) الآية، نزلت بعسفان بين الظهر والعصر، كما أخرجه أحمد عن أبي عيَّاش الزُّرَقِيُّ.

ومنها: ﴿بِسْمَتِكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِكُمْ فِي الْكَلَالَةِ...﴾ (٦) أخرج البزار وغيره عن حذيفة أنها نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في مسيره.

ومنها: أول المائدة، أخرج البيهقي في شعب الإيمان، عن أسماء بنت يزيد، أنها نزلت بمنى. وأخرج في الدلائل عن أم عمرو، عن عمها، أنها نزلت في مسيره.

وأخرج أبو عبيد عن محمد بن كعب، قال: نزلت سورة المائدة في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة. ومنها: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ (٧) في الصحيح عن عمر، أنها نزلت

(٢) سورة آل عمران ١٧٢

(٤) سورة النساء ٥٨

(٦) سورة النساء ١٧٦

(١) سورة البقرة ٢٨١

(٣) سورة النساء آية ٤٣

(٥) سورة النساء ١٠٢

(٧) سورة المائدة ٣

شية عرفة يوم الجمعة عام حجة الوداع، وله طرق كثيرة، لكن أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري، أنها نزلت يوم غدیر خم .

وأخرج مثله من حديث أبي هريرة، وفيه إنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، مرجعه من حجة الوداع، وكلاهما لا يصح .

ومنها آية التيمم فيها، في الصحيح عن عائشة أنها نزلت بالبيداء وهم داخلون المدينة . وفي لفظ : « بالبيداء أو بذات الجيش » .

قال ابن عبد البر في التمهيد: يقال إنه كان في غزوة بني المصطلق، وجزم به في الاستذكار، وسبقه إلى ذلك ابن سعد وابن حبان، وغزوة بني المصطلق هي غزوة الربييع . واستبعد ذلك بعض المتأخرين، قال: لأن الربييع من ناحية مكة بين قديد والساحل، وهذه القصة من ناحية خيبر، لقول عائشة إنها « نزلت بالبيداء أو بذات الجيش » وهما بين المدينة وخيبر، كما جزم به النووي، لكن جزم ابن التين بأن البيداء هي ذو الحليفة .

وقال أبو عبيد البكري: البيداء هو الشرف الذي قدام ذي الحليفة من طريق مكة، قال: وذات الجيش من المدينة على بريد .

ومنها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا زِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ... ﴾ (١) الآية . أخرج ابن جرير عن قتادة، قال: ذكر لنا أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخل، في الغزوة السابعة حين أراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا به فأطلع الله على ذلك .

ومنها: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (٢) في صحيح ابن حبان، عن أبي هريرة أنها نزلت في السفر . وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر أنها نزلت في ذات الرقيع بأعلى نخل في غزوة بني أنمار .

ومنها: أوّل الأنفال نزلت بيدر عقب الوقعة، كما أخرجه أحمد عن سعد بن أبي وقاص .

ومنها: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ...﴾ (١) الآية، نزلت بيدراً أيضاً كما أخرجه الترمذى عن عمر .

ومنها: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ...﴾ (٢) الآية، نزلت في بعض أسفاره كما أخرجه أحمد عن ثوبان .

ومنها: قوله: ﴿لَوْ كَانَ عَرَصًا قَرِيبًا...﴾ (٣) الآيات، نزلت في غزوة تبوك ، كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس .

ومنها: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ (٤)، نزلت في غزوة تبوك ، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عمر .

ومنها: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ (٥) الآية، أخرج الطبرانى وابن مردويه ، عن ابن عباس، أنها نزلت لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم معتمراً وهبط من ثنية عسفان، فزار قبر أمه، واستأذن في الاستغفار لها .

ومنها خاتمة النحل ، أخرج البيهقي في الدلائل والبراز عن أبي هريرة ، أنها نزلت بأحد ، والنبي صلى الله عليه وسلم واقف على حمزة حين استشهد . وأخرج الترمذى والحاكم عن أبي بن كعب ، أنها نزلت يوم فتح مكة .

ومنها: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ (٦) . أخرج أبو الشيخ، والبيهقي في الدلائل من طريق شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، أنها نزلت في تبوك .

ومنها : أول الحج ، أخرج الترمذى والحاكم ، عن عمران بن حصين ، قال : لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ

(٢) سورة التوبة ٣٤

(٤) سورة التوبة ٦٥

(٦) سورة الإسراء ٧٦

(١) سورة الأفعال ٩

(٣) سورة التوبة ٤٣

(٥) سورة التوبة ١١٣

عَظِيمٌ ﴿١﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (١) ، نزلت عليه هذه وهو في سفر... الحديث . وعند ابن مردويه من طريق الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس أنها نزلت في مسيره في غزوة بني المصطلق .

ومنها : ﴿هَذَا نِ حَصْمَانٍ...﴾ (٢) الآيات . قال القاضي جلال الدين البلقيني : الظاهر أنها نزلت يوم بدر وقت المبارزة لما فيه من الإشارة : «هذان» .

ومنها : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ...﴾ (٣) الآية ، أخرج الترمذي عن ابن عباس : قال لما أخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم ليهلكن ، فنزلت ، قال ابن الحصار : استنبط بعضهم من هذا الحديث أنها نزلت في سفر الهجرة .

ومنها : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ...﴾ (٤) الآية ، قال ابن حبيب : نزلت بالاطائف ، ولم أقف له على مستند .

ومنها : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ (٥) نزلت بالجحفة في سفر الهجرة ، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن الضحاك .

ومنها : أوّل الروم . روى الترمذي عن أبي سعيد ، قال : لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس ، فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت : ﴿الْمَغْلِبَتِ الرُّومُ﴾ إلى قوله : ﴿يَنْصُرِ اللَّهُ﴾ (٦) ، قال الترمذي : غلبت الروم ، يعني بالفتح .

ومنها : ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا...﴾ (٧) الآية ، قال ابن حبيب : نزلت في بيت المقدس ليلة الإسراء .

ومنها : ﴿وَكَانَ مِنْ قَرَابَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً...﴾ (٨) الآية ، قال السخاوي في جمال

(٢) سورة الحج ١٩
(٤) سورة الفرقان ٤٥
(٦) سورة الروم ١ — ٥
(٨) سورة محمد ١٣

(١) سورة الحج ٢٤١
(٣) سورة الحج ٣٩
(٥) سورة القصص ٨٥
(٧) سورة الزخرف ٤٥

القراء : قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما تَوَجَّهَ مهاجراً إلى المدينة ، وقف ونظر إلى مكة وبكى ، فنزلت .

ومنها : سورة الفتح . أخرج الحاكم عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، قالوا : نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحُدَيْبِيَّةِ من أوَّلها إلى آخرها ، وفي الاستدرك أيضاً من حديث مجَّع بن جارية ، أن أوَّلها نزل بكراع الغميم .

ومنها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى... ﴾ (١) الآية ، أخرج الواحدى ، عن ابن أبي مليكة أنها نزلت بمكة يوم الفتح لَمَارَقِي بلال على ظهر الكعبة وأذن ، فقال لبعض الناس : أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة ! .

ومنها : ﴿ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ... ﴾ (٢) الآية ، قيل : إنها نزلت يوم بدر ؛ حكاه ابن الفرس ، وهو مردود لما سيأتى في النوع الثاني عشر ، ثم رأيت عن ابن عباس ما يؤيده . ومنها : قال النَّسَافِيُّ قوله : ﴿ نُؤْتَمَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ أَفَئِمَّةٌ الْخَلْدِثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴾ (٤) نزلتا في سفره صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ولم أقف له على مستند .

ومنها : ﴿ وَتَجْمَعُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ ﴾ (٥) أخرج ابن أبي حاتم ، من طريق يعقوب بن مجاهد أبي حَزْرَةَ ، قَالَ : نزلت في رجل من الأنصار في غزوة تبوك ، لما نزلوا الحَجْرَ ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يحملوا من مأها شيئاً ، ثم ارتحل ، ثم نزل منزلاً آخر وليس معهم ماء ، فشكوا ذلك ، فدعا فأرسل الله سبحانه ، فأمرت عليهم حتى استقوا منها ، فقال رجل من المناقبين : إِنَّمَا مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا ، فنزلت .

ومنها : آية الامتحان : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مهاجرات فامتنحنوهن... ﴾ (٦) الآية ، أخرج ابن جرير وعن الزهري أنها نزلت بأسفل الحُدَيْبِيَّةِ .

(٢) سورة القمر ٤٥

(٤) سورة الواقعة ٨١

(٦) سورة المنحة ١٠

(١) سورة الحجرات ١٣

(٣) سورة الواقعة ١٣

(٥) سورة الواقعة ٨٢

ومنها : سورة المنافقين ، أخرج الترمذى عن زيد بن أرقم أنها نزلت ليلاً في غزوة تبوك . وأخرج سفيان أنها في غزوة بني المصطلق ، وبه جزم ابن إسحاق وغيره .
ومنها : سورة المرسلات ، أخرج الشيخان عن ابن مسعود : قال : « بينا نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار بمنى إذ نزلت عليه : والمرسلات... » الحديث .
ومنها : سورة المطففين أو بعضها ، حكى النسفي وغيره ، أنها نزلت في سفر الهجرة قبل دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة .

ومنها : أول سورة « اقرأ » نزل بغار حراء ، كما في الصحيحين .
ومنها : سورة الكوثر . أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير ، أنها نزلت يوم الحديبية ، وفيه نظر .

ومنها : النصر : أخرج البزار والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر ، قال : أنزلت هذه السورة « إذا جاء نصر الله والفتح » ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط أيام التشريق فعرف أنه الوداع ، فأمر بفاقة القصواء ، فرحلت ، ثم قام فخطب الناس ، فذكر خطبته المشهورة .

التَوْعُّ الْثَالِثُ
مَعْرِفَةُ الْبُحَارِيِّ وَاللَّيْلِيِّ

أمثلة النهاري كثيرة. قال ابن حبيب: نزل أكثر القرآن نهاراً؛ وأما الليل فتبعته له أمثلة:

منها: آية تحويل القبلة، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر: «بينما الناس بقباء في صلاة الصبح، إذا أتاهم آتٍ فقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل القبلة».

وروى مسلم عن أس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي ببيت المقدس فنزلت: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ...﴾ (١) الآية، فمر رجل من بني سلمة، وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة، فنادى: ألا إن القبلة قد حوت، فإلوا كلهم نحو القبلة، لكن في الصحيحين عن البراء، أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه قبل بيت المقدس ستة عشر — أو سبعة عشر — شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه أول صلاة صلاها العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله، لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة، فداروا كما هم قبل البيت؛ فهذا يقتضى أنها نزلت نهاراً بين الظهر والعصر.

قال القاضي جلال الدين: والأرجح بمقتضى الاستدلال نزولها بالليل؛ لأن قضية أهل بقاء كانت في الصبح، وبقاء قريبة من المدينة، فيبعد أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر البيان لهم من العصر إلى الصبح.

وقال ابن حجر: الأقوى أن نزولها كان نهاراً. والجواب عن حديث ابن عمر، أن الخبر وصل وقت العصر إلى من هو داخل المدينة وهم بنو حارثة، ووصل وقت الصبح

إلى مَنْ هو خارج المدينة، وهو بنو عمرو بن عوف أهل قباء. وقوله: «قد أنزل عليه الليلة»
جهاز، من إطلاق الليلة على بعض اليوم الماضي والذي يليه .

قلت : ويؤيد هذا ما أخرجه النسائي عن أبي سعيد بن المعلى ، قال : سررنا يوماً
ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد على المنبر ، فقلت : لقد حدث أمر ، فجلست ، فقرأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ... ﴾ حتى فرغ
منها، ثم نزل فصلى الظهر .

ومنها : وأخر آل عمران ، أخرج ابن حبان في صحيحه ، وابن المنذر وابن مردويه
وابن أبي الدنيا في كتاب التفكير عن عائشة ، أن بلا لآ آتى النبي صلى الله عليه وسلم
يؤذنه لصلاة الصبح ، فوجده يبكي ، فقال : يا رسول الله ، ما يبكيك ؟ قال : وما يمنعني أن أبكي
وقد أنزل علي هذه الليلة : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ! (١) ثم قال : وبلى لمن قرأها ولم يتفكر !

ومنها : ﴿ وَاللَّهُ يَفْصِلُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (٢) ، أخرج الترمذي والحاكم عن عائشة
قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحْرَس ، حتى نزلت ، فأفرج رأسه من القبة ، فقال :
أيها الناس ، انصرفوا فقد عصمني الله .

وأخرج الطبراني عن عِصْمَةَ بن مالك الخَطَمِي ، قال : كننا نحرس رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالليل حتى نزلت ، فترك الحرس .

ومنها : سورة الأنعام ، أخرج الطبراني وأبو عبيد في فضائله عن ابن عباس ،
قال : نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة ، حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح .

ومنها : آية الثلاثة الذين خلفوا (٣) ، ففي الصحيحين من حديث كعب فأنزل الله

(٢) سورة النائدة ٦٧

(١) سورة آل عمران ١٩٠

(٣) سورة التوبة ١١٨

توبتنا حين بقي الثالث الأخير من الليل .

ومنها : سورة مريم؛ روى الطبراني وأبو عبيد في فضائله عن ابن عباس ، قال :
أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : وُلِدْتُ لى الليلةَ جارية، فقال : والليلة أنزلت
على سورة مريم ، سمها مريم .

ومنها : أول الحج ، ذكره ابن حبيب ومحمد بن بركات السعدي في كتابه
الناسخ والنسوخ ، وجزم به السخاوي في جمال القراء . وقد يستدل له بما أخرجه ابن
مردويه عن عمران بن حصين أنها نزلت والنبي صلى الله عليه وسلم في سفر . وقد نعت بعض
القوم ، وتفرقت بعضهم ، فرفع بها صوته ... الحديث .

ومنها : آية الإذن في خروج النسوة في الأحزاب ، قال القاضي جلال الدين .
والظاهر أنها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ... ﴾ ^(١) الآية ، ففي البخاري عن عائشة :
خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها — وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها —
فراها عمر ، فقال : يا سودة ، أما والله ما تخفين علينا ، فانظري كيف تخرجين ! قالت :
فانكفأت راجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه ليتعشى وفي يده عرق ، فقلت :
يا رسول الله ، خرجت لبعض حاجتي ، فقال لي عمر كذا ؛ فأوحى الله إلي — وإن العرق في يده
ما وضعه — فقال : إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن .

قال القاضي جلال الدين : وإنما قلنا إن ذلك كان ليلاً ؛ لأنهن إنما كن يخرجن
للحاجة ليلاً كما في الصحيح عن عائشة في حديث الإفك .

ومنها : ﴿ وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا... ﴾ ^(٢) على قول ابن حبيب
إنها نزلت ليلة الإسراء .

ومنها: أول الفتح، ففي البخارى من حديث: «لقد أنزلت على الليلة سورة هي أحب إلى مما طلعت عليه الشمس، فقرأ: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾...» الحديث.

ومنها: سورة «المرسلات»، قال السخاوى فى جمال القراء: روى عن ابن مسعود أنها نزلت ليلة الجن بحراء.

قلت: هذا أثر لا يعرف، ثم رأيت فى صحيح الإسماعيلى وهو مستخرجه على البخارى، أنها نزلت ليلة عرفة بفار منى، وهو فى الصحيحين بدون قوله: «ليلة عرفة»، والمراد به الليلة التاسع من ذى الحجة، فإنها التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يبيتها بمنى.

ومنها: المعوذتان، فقد قاله ابن أشته فى المصاحف: نبأنا محمد بن يعقوب، نبأنا أبو داود، نبأنا عثمان بن أبى شيبة، نبأنا جرير، عن بيان، عن قيس، عن عتبة بن عامر الجهمى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنزلت على الليلة آيات لم ير مثلهن؛ قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس».

* * *

فرع

ومنه ما نزل بين الليل والنبار فى وقت الصبح، وذلك آيات:

ومنها: آية التيمم فى المائدة، وفى الصحيح عن عائشة وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ...﴾ إلى قوله: ﴿اعْلَمْكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

ومنها: ﴿إيس لك من الأمر شىء﴾^(٢)؛ وفى الصحيح أنها نزلت وهو فى الركعة الأخيرة.

من صلاة الصبح حين أراد أن يقنت يدعو على أبي سفيان ومن ذكر معه .

* * *

تنبیه

فإن قلت : فأتصنع بحديث جابر مرفوعاً : « أصدق الرؤيا ما كان نهراً لأن الله حصني بالوحي نهراً »؟ أخرجه الحاكم في تاريخه .
قلت : هذا الحديث منكر لا يحتج به .

النوع الرابع الصيفي والشتائي

قال الواحدي: أنزل الله في الكلالة آيتين: إحداهما في الشتاء، وهي التي في أول النساء، والأخرى في الصيف وهي التي في آخرها.

وفي صحيح مسلم عن عمر: ماراجعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في شيء ماراجعته في الكلالة ^(١) وما أغاظ في شيء ما أغاظ لي فيه، حتى طعن بإصبعه في صدرى، وقال: «يا عمر، ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء!».

وفي المستدرک عن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله ما الكلالة؟ قال: أما سمعت الآية التي نزلت في الصيف: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ ^(١) وقد تقدم أن ذلك في سفر حجة الوداع، فبعد من الصيف ما نزل فيها كأول المائدة، وقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ^(٢) ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ...﴾ ^(٣)، وآية الدين وسورة النعمر.

ومنه: الآيات النازلة في غزوة تبوك، فقد كانت في شدة الحر، أخرجه البيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر بن حزم؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يخرج في وجه من مغازبه إلا أظهر أنه يريد غيره، غير أنه في غزوة تبوك قال: «يا أيها الناس إني أريد الروم»، فأعلمهم وذلك في زمان البأس وشدة الحر وجذب البلاد، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم

(٢) سورة المائدة ٣

(١) سورة النساء ١٧٦

(٣) سورة البقرة ٢٨١

في جهازه إذ قال للجدّ بن قيس: « هل لك في بنات بني الأصفر؟ ». قال: يا رسول الله ، لقد علم قومي أنه ليس أخذ أشدَّ عجباً بالنساء مني ، وإني أخاف إن رأيت نساء بني الأصفر أن يفتنني ، فائذن لي . فأنزل الله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي ... ﴾ (١) الآية .

وقال رجل من المنافقين: لا تنفروا في الحرِّ، فأنزل الله: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ (٢).

* * *

ومن أمثلة الشتاى قوله : ﴿ إِنْ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ وَرِزْقُ كَرِيمٍ ﴾ (٣)؛ ففي الصحيح عن عائشة أنها نزلت في يوم شاتٍ .

والآيات التي في غزوة الخندق من سورة الأحزاب ، فقد كانت في البرد ، ففي حديث حذيفة : تفرّق الناس عن رسول الله صلى عليه وسلم ليلة الأحزاب إلا اثني عشر رجلاً ، فاتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : قم فانطلق إلى عسكر الأحزاب ، قلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ماقت لك إلا حياء من البرد ... الحديث ؛ وفيه فأنزل الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ... ﴾ (٤) إلى آخرها ، أخرجه البيهقي في الدلائل .

(١) سورة التوبة ٤٩ .

(٤) سورة الأحزاب ٩ .

(٣) سورة النور ١١ - ٢٦ .

النَّبِيُّ الْخَامِسُ
الصِّرَاطِيُّ وَالنَّبِيُّ

من أمثلة الفراشي قوله: ﴿ وَاللَّهُ بِفَضْلِكَ مِنَ النَّاسِ ﴾^(١) كما تقدم ، وآية الثلاثة الذين خَلَفُوا ، ففي الصحيح أنها نزلت وقد بقي من الليل ثلثه ، وهو صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة .

واستشكل الجمع بين هذا وقوله صلى الله عليه وسلم في حق عائشة : « ما نزل على الوحي في فراش امرأة غيرها » . قال القاضي جلال الدين : ولعل هذا كان قبل القصة التي نزل الوحي فيها في فراش أم سلمة .

قلت : ظفرت بما يؤخذ منه الجواب الذي أحسن من هذا ، فروى أبو يعلى في مسنده عن عائشة قالت : « أُعْطِيتُ تَسْعًا ... » الحديث ، وفيه : « وَإِنْ كَانَ الْوَحْيُ لَيَنْزِلُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي أَهْلِهِ فَيَنْصَرِفُونَ عَنْهُ ، وَإِنْ كَانَ لَيَنْزِلُ عَلَيْهِ وَأَنَا مَعَهُ فِي لِحَافِهِ » . وعلى هذا لامعارضة بين الحديثين كما لا يخفى .

وأما التوميّ فن أمثلته سورة الكوثر ، لِمَا رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءً ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا ، فَقُلْنَا : مَا أَصْحَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : أَنْزَلَ عَلَيَّ آتِنَا سُورَةَ ، فَقَرَأَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ .

وقال الإمام الرافعي في أماليه : فِيهِمْ فَاهُونَ مِنَ الْحَدِيثِ أَنَّ السُّورَةَ نَزَلَتْ فِي تِلْكَ الْإِغْفَاءِ ، وَقَالُوا : مِنَ الْوَحْيِ مَا كَانَ يَأْتِيهِ فِي النَّوْمِ ، لِأَنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ . قَالَ : وَهَذَا صَحِيحٌ ، لَكِنِ الْأَشْبَهُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ نَزَلَ فِي الْيَقَظَةِ ، وَكَأَنَّهُ خَطَرُهُ

في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة ، أو عُرِضَ عليه الكوثر الذي وزدت فيه
السورة ، فقرأها عليهم ، وفسرها لهم . ثم قال : ووردني بعض الروايات أنه أُغْمِيَ عليه ،
وقد يُحْمَلُ ذلك على الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي ، ويقال لها : بُرِحاء الوحي . انتهى .

قلت : الذي قاله الرافعي في غايه الاتجاه ، وهو الذي كنت أميلُ إليه قبل
الوقوف عليه ، والتأويل الأخير أصحّ من الأول ، لأن قوله : « أنزل على آفاه ، يدفع كونهما
نزلت قبل ذلك ، بل نقول : نزلت تلك الحالة وليس الإغفاءة إغفاءة نوم ، بل الحالة التي
كانت تعتريه عند الوحي ، فقد ذكر العلماء أنه كان يؤخذ عن الدنيا .

التَّبَخُّ السَّادِسُ
الأرضي والسماوي

تقدم قول ابن العربيّ إن من القرآن سمائياً وأرضياً وما نزل بين السماء والأرض وما نزل تحت الأرض في العار. قال : وأخبرنا أبو بكر الفهمريّ قال : أنبأنا التميمي ، أنبأنا هبة الله المفسر ، قال : نزل القرآن بين مكة والمدينة إلا ست آيات نزلت لافي الأرض ولا في السماء ؛ ثلاث في سورة الصافات : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ... ﴾ (١) الآيات الثلاث ، وواحدة في الزخرف : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ... ﴾ (٢) الآية ، والآيتان من آخر سورة البقرة نزلت ليلة المعراج .

قال ابن العربيّ : ولعله أراد في الفضاء بين السماء والأرض . قال : وأما ما نزل تحت الأرض فسورة الرسائل كما في الصحيح عن ابن مسعود .

قلت : أما الآيات المتقدمة فلم أقف على مستند لما ذكره فيها ، إلا آخر البقرة ؛ فيمكن أن يستدل بما أخرجه مسلم عن ابن مسعود : « لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتهى إلى سدرة المنتهى ... » الحديث . وفيه : « فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا ثَلَاثًا ، أُعْطِيَ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَغَيْرَ لِمَنْ لَا يَشْرِكُ مِنْ أُمَّتِهِ بِاللَّهِ شَيْئًا الْمَقْحَمَاتِ » .

وفي الكامل للهدليّ نزلت : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ ... ﴾ (٤) إلى آخرها بقاب قوسين .

(٢) سورة الزخرف ٤٥

(٤) سورة البقرة ٢٨٥ ، ٢٨٦

(١) سورة الصافات ١٦٤ - ١٦٦

(٣) صحيح مسلم ٥٧

التَّوَعُّبُ مَعْرِفَةُ أَوَّلِ مَا نَزَلَ

اختلف في أول ما نزل من القرآن على أقوال :

— أحدها ؛ وهو الصحيح : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ، روى الشيخان وغيرهما عن عائشة ، قالت : « أول ما بُدئ به رسول الله صل الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء ، فكان يأتي حرًا ، فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة رضي الله عنها ، فترزقه لثلثها ، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فيه ، فقال : اقرأ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارىء ، فغطني ^(١) الثانية ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارىء ، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ، حتى بلغ ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بواديه... » ^(٢) الحديث .

وأخرج الحاكم في المستدرک ، والبيهقي في الدلائل وصحاحه عن عائشة ، قالت : أول سورة نزلت من القرآن « اقرأ باسم ربك » .

وأخرج الطبرانی في الكبير بسندٍ على شرط الصحيح ، عن أبي رجاء العطاردي ، قال : كان أبو موسى يُقرئنا فيجلسنا حلقًا ، عليه ثوان أبيضان ، فإذا تلا هذه السورة : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ، قال : هذه أول سورة أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) الفط : العصر الشديد

(٢) البادرة من الإنسان وغيره : التي بين النكب والعنق .

وقال سعيد بن منصور في سننه : حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار ، عن عبيد
ابن عمير ، قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : اقرأ ، قال : وما اقرأ ؟
فوالله ما أباقارىء ، فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ . فكان يقول : هو أول ما أنزل .

وقال أبو عبيد في فضائله : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان عن ابن أبي نجيح ،
عن مجاهد ، قال : إن أول ما أنزل من القرآن اقرأ باسم ربك ون والقلم .

وأخرج ابن أشتة في كتاب المصاحف ، عن عبيد بن عمير : قال : جاء جبريل
إلى النبي صلى الله عليه وسلم بنمط ، فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ، قال : اقرأ باسم
ربك ؛ فيروون أنها أول سورة أنزلت من السماء .

وأخرج عن الزهرى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بحراء ، إذ أتى ملك بنمط
من ديباج فيه مكتوب : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ... ﴾ إلى : ﴿ ما لم يعلم ﴾ .

* * *

— القول الثانى : ﴿ يأيها المدثر ﴾ ، روى الشيخان عن سلمة بن عبد الرحمن ، قال :
سألت جابر بن عبد الله : أى القرآن أنزل قبل ؟ قال : يأيها المدثر ، قلت : أو اقرأ باسم
ربك ؟ قال : أحدثكم ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني جاورت بحراء ، فلما قضيت
جوارى ، نزلت فاستبطنت الوادى ، فنظرت أمامى وخلفى ، وعن يمينى وشمالى ، ثم نظرت
إلى السماء فإذا هو — يعنى جبريل — فأخذتنى رجفة ، فأتيت خديجة ، فأمرتهم فدنرونى ،
فأنزل الله : ﴿ يأيها المدثر * قم فأنذر ﴾ .

وأجاب الأول عن هذا الحديث بأجوبة :

أحدها أن السؤال كان عن نزول سورة كاملة ، فبين أن سورة المدثر نزلت بكاملها
قبل نزول تمام سورة اقرأ ، فإنها أول ما نزل منها صدرها : ويؤيد هذا ما فى الصحيحين
أيضاً عن أبى سلمة ، عن جابر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن

فترة الوحي ، فقال في حديثه : بينما أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذي جاني بجراة جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فرجعت فقلت : زملوني ، زملوني ، فدرّوني ، فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ . فقوله : « الملك الذي جاني بجراة » يدلّ على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء التي نزل فيها « اقرأ باسم ربك » .

ثانيها: أن مراد جابر بالأولية أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي ، لا أولية مطلقة .

ثالثها: أن المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإندار . وعبر بعضهم عن هذا بقوله : أول ما نزل للنبوة « اقرأ باسم ربك » وأول ما نزل للرسالة « يا أيها المدثر » .

رابعها: أن المراد أول ما نزل بسبب متقدّم ، وهو ما وقع من التدثر الناشئ عن الرعب ، وأما « اقرأ » فنزلت ابتداء بغير سبب متقدّم . ذكره ابن حجر .

خامسها: أن جابراً استخرج ذلك باجتهاده ، وليس هو من روايته ، فيقدم عليه ما روته عائشة . قاله الكرماني .

وأحسن هذه الأجوبة الأوّل والأخير .

* * *

القول الثالث : سورة الفاتحة ، قال في الكشف . ذهب ابن عباس ومجاهد إلى أن أول سورة نزلت « اقرأ » ، وأكثر المفسرين إلى أن أول سورة نزلت فاتحة الكتاب . قال ابن حجر : والذي ذهب إليه أكثر الأئمة هو الأوّل . وأما الذي نسبته إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول ، وحقته ما أخرجه البيهقي في الدلائل والواحدى من طريق يونس بن بكير ، عن يونس بن عمرو ، عن أبيه ، عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة : « إني إذا خلوتُ وحدي سمعتُ نداءً ، فقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً » ، فقالت : معاذ الله ، ما كان الله ليفعل بك ، فوالله إنك لتؤدّي الأمانة ، وتصل

الرَّحْمِ ، وَتَصَدَّقُ الْحَدِيثَ . فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ ذَكَرَتْ خَدِيمَتُهُ حَدِيثَهُ لَهُ ، وَقَالَتْ : أَذْهَبَ
مَعَ مُحَمَّدٍ إِلَى وَرَقَةَ . فَنَاطَلَتْهُ قَصًّا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نَدَاءَ خَلْفِي : يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ
فَأَنْطَلِقْ هَارِبًا فِي الْأَفْقِ » ، فَقَالَ : لَا تَفْعَلْ إِذَا أَنْتَ ، فَابْتِثِرِي حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ انْتَبِئِي
فَأَخْبِرِي . فَلَمَّا خَلَانَا دَاهُ : يَا مُحَمَّدُ : قُلْ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
حَتَّى يَبْغُ ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ... لِحَدِيثِ : هَذَا مَرْسَلٌ رَجَّاهُ ثِقَاتٌ .

وقال البيهقي : إن كان محفوظا فيحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت
عليه اقرأ والمدثر .

* * *

القول الرابع : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، حكاه ابن النقيب في مقدمة تفسيره
قولا زائدا .

وأخرج الواحدى بإسناد عن عكرمة والحسن قالا : أول ما نزل من القرآن « بسم
الله الرحمن الرحيم » ، وأول سورة « اقرأ باسم ربك » .

وأخرج ابن جرير وغيره من طريق الضحاك ، عن ابن عباس قال : أول ما نزل
جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا محمد استمذ ، ثم قل : بسم الله الرحمن الرحيم .

وعندى أن هذا لا يبعد قولاً برأسه ، فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسمة
معها ، فهي أول آية نزلت على الإطلاق .

وورد في أول ما نزل حديث آخر : روى الشيخان عن عائشة ، قالت : « إن أول ما نزل
سورة من المفصل ، فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل
الحلال والحرام » .

وقد استشكل هذا بأن أول ما نزل « اقرأ » ، وليس فيها ذكر الجنة والنار . وأجيب
بأن « من » مقدرة ، أى « من أول ما نزل » ، والمراد سورة المدثر ، فإنها أول ما نزل قبل
بعد فترة الوحي ، وفي آخرها ذكر الجنة والنار ، فلعل آخرها نزل قبل نزول بقية « اقرأ » .

فرع

أخرج الواحدى من طريق الحسين بن واقد ، قال : سمعتُ على بن الحسين يقول :
أول سورة نزلت بمكة اقرأ باسم ربك ، وآخر سورة نزلت بها «المؤمنون» ، ويقال :
العنكبوت . وأول سورة نزلت بالمدينة «ويل للمطففين» ، وآخر سورة نزلت بها براءة ،
وأول سورة أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة النجم .

وفي شرح البخارى لابن حَجَر : اتفقوا على أن سورة البقرة أول سورة أنزلت
بالمدينة . وفي دعوى الاتفاق نظر لقول على بن الحسين المذكور .

وفي تفسير النسفى عن الواقدى : إن أول سورة نزلت بالمدينة سورة القدر .

وقال : أبو بكر محمد بن الحارث بن أبيص في جزئه المشهور : حدثنا أبو العباس
عميد الله بن محمد بن أعين البغدادى ، حدثنا حسان ابن إبراهيم الكرمانى ، حدثنا
أمية الأزدى ، عن جابر بن زيد ، قال : أول ما أنزل الله من القرآن بمكة : «اقرأ باسم
ربك ، ثم والقلم ، ثم يأيها المزمل ، ثم يأيها المدثر ، ثم الفاتحة ، ثم تبت يدا أبى كعب ، ثم
إذا الشمس كورت ، ثم سبح اسم ربك الأعلى ، ثم والليل إذا يغشى ، ثم والفجر ،
ثم والضحى ، ثم ألم نشرح ، ثم والمصر ، ثم والماديات ، ثم الكوثر ، ثم الهاكم ،
ثم رأيت الذى يكذب ، ثم الكافرون ، ثم ألم تر كيف ، ثم قل أعوذ برب الفلق ، ثم قل
أعوذ برب الناس ، ثم قل هو الله أحد ، ثم والنجم ، ثم عبس ، ثم إنا أنزلناه ، ثم
والشمس وضحاها ، ثم البروج ، ثم والتين ؛ ثم لإيلاف ؛ ثم القارعة ، ثم القيامة ، ثم
ويل لكل همزة ، ثم والمرسلات ، ثم ق ، ثم البلد ، ثم الطارق ، ثم اقتربت الساعة ،
ثم ص ، ثم الأعراف ، ثم الجن ، ثم يس ، ثم الفرقان ، ثم الملائكة ، ثم كهيعص ، ثم طه ،
ثم الواقعة ، ثم الشعراء ، ثم طس سلیمان ، ثم طسم القصص ، ثم بنى إسرائيل ،
ثم التاسعة — يعنى يونس — ثم هود ، ثم يوسف ، ثم الحجر ، ثم الأنعام ، ثم الصافات ،

ثم لقمان ، ثم سبأ ، ثم الزمر ، ثم حم المؤمن ، ثم حم السجدة ، ثم حم الزخرف ، ثم حم الدخان ، ثم حم الجاثية ، ثم حم الأحقاف ، ثم الذاريات ، ثم الغاشية ، ثم الكهف ، ثم حمصق ، ثم تنزيل السجدة ، ثم الأنبياء ، ثم النحل أربعين وبقيتها بالمدينة ، ثم إنا أرسلنا نوحا ، ثم الطور ، ثم المؤمنون ، ثم تبارك ، ثم الحاقة ، ثم سأل ، ثم عم يتساءلون ، ثم والنازعات ، ثم إذا السماء انفطرت ، ثم إذا السماء انشقت ، ثم الروم ، ثم العنكبوت ، ثم ويل للمطففين ؛ فذاك ما أنزل بمكة .

وأنزل بالمدينة : سورة البقرة ؛ ثم آل عمران ، ثم الأنفال ، ثم الأحزاب ، ثم المائدة ، ثم الممتحنة ، ثم إذا جاء نصر الله ، ثم الحج ، ثم المنافقون ، ثم المجادلة ، ثم التحريم ، ثم الجمعة ، ثم التغابن ، ثم سبح الحواريين ، ثم الفتح ، ثم التوبة ، خاتمة القرآن .

قلت : هذا سياق غريب ، وفي هذا الترتيب نظر ، وجابر بن زيد من علماء التابعين بالقرآن وقد اعتمد البرهان الجعبري على هذا الأثر في قصيدته التي سماها: تقريب المأمول ، في ترتيب النزول فقال :

مكيتها ست ثمانون اعثت	نظمت على وفق النزول لمن تلا
اقراونون مزممل مدثر	والحمد تببت كورت الأعلی علا
ليل وفجر والضحي شرح وعص	ر العاديات وكوتر ألهاكم تلا
أرأيت قل بالفيل مع فلق كذا	ناس وقل هو نجمها عبس جلا
قدر وشمس والبروج وتينها	لايلاف قارعة قيامة أقبلا
ويل لكل المرسلات وقاف مع	بلد وطارقها مع اقتربت كلا
صاذ وأعراف وجن ثم يا	سين وفرقان وفاطر اغتلى
كاف وطه ثلة الشعرا وعم	ل قص الاسرا يونس هوذ ولا
قل يوسف حجر وأنعام وذبح	ثم لقمان سبأ زمر خلا

مع غافرٍ مع فُصِّلَتْ مَعَ زُخْرُفٍ
ذُرُوءٌ وَغَاشِيَةٌ وَكَهْفٌ ثُمَّ شَوْ
وَمُضَاجِعُ نُوحٍ وَطُورٌ وَالْفَلَا
غَرَّقُ مَعَ انْفِطَرَتْ وَكَدَحٌ ثُمَّ رُو
وَبَطِييَّةٌ عَشْرُونَ ثُمَّ ثَمَانُ الطُّـ
لَا حِزَابٍ مَائِدَةٌ امْتِحَانٌ وَالنَّسَاءُ
وَمُحَمَّدٌ وَالرَّعْدُ وَالرَّحْمَنُ الْإِلَهَ
نَمْرٌ وَنُورٌ ثُمَّ حَجٌّ وَالْمَنَا
تَحْرِيمُهُ مَعَ مُجْمَعَةٍ وَتَفَافِينِ
أَمَّا الَّذِي قَدْ جَاءَنَا سَفَرِيَّةً
لَكِنْ إِذَا قَتَمْتَ لِحْيَتِي بَدَأَ
إِنَّ الَّذِي قَرَضَ انْتَمَى جُحْفِيئِهَا

وَدَخَانُ جَائِيَةٌ وَأَحْقَافٌ تَلَا
رَى وَالْحَمْلِيلُ وَالْإِنْبِيَاءُ نَحْلٌ حَلَا
حَ الْمَلِكِ وَاعِيَةٌ وَسَالٌ وَعَمٌّ لَا
مُ الْعَنْكَبُوتِ وَطَفَفَتْ فَتَكْمَلًا
وَلَى وَعَمْرَانٌ وَأَنْفَالٌ جَلَا
مَعَ زُلْزِلَتْ ثُمَّ الْحَدِيدُ تَأْمَلًا
سَانَ الطَّلَاقِ وَلَمْ يَكُنْ حَشْرٌ مَلَا
فَقَ مَعَ مَجَادِلَةٍ وَحُجْرَاتٍ وَلَا
صَفٍّ وَفَتَحَ تَوْبَةً خَتِمَتْ أُولَى
عَرَفِيٍّ أَكْمَلَتْ لَكُمْ قَدْ كَمَلَا
وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا الشَّامِيَّ أُنْقَبَا
وَهُوَ الَّذِي كَفَّ الْحَدِيثِيَّ الْإِنْبَجِيَّ

* * *

فرع في أوائل مخصوصة

أول : ما نزل في القتال : روى الحاكم في المستدرک عن ابن عباس ، قال : أول آية نزلت في القتال : ﴿ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا ﴾ (١) .

وأخرج ابن جرير عن أبي العالية ، قال : أول آية نزلت في القتال بالمدينة : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ (٢) . وفي الإكليل للحاكم : إن أول ما نزل في القتال : ﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ (٣) .

أول ما نزل في شأن القتل : آية الإسراء : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا... ﴾ (١) الآية ،
أخرجه ابن جرير عن الضحاك .

أول ما نزل في الحجر : روى الطيالسي في مسنده عن ابن عمر ، قال : نزل في
الحجر ثلاث آيات ؛ فأول شيء : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ... ﴾ (٢) الآية ، فقيل :
حرمت الحجر ، فقالوا : يا رسول الله ، دعنا ننتفع بها كما قال الله ؛ فسكت عنهم ، ثم نزلت
هذه الآية : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ (٣) فقيل : حرمت الحجر فقالوا :
يا رسول الله ، لا نشرئها قرب الصلاة ، فسكت عنهم ، ثم نزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا
الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾ (٤) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حرمت الحجر .

أول آية نزلت في الأطعمة بمكة آية الأنعام : ﴿ قُلْ لَا أُجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ
مَحْرَمًا ﴾ (٥) ثم آية النحل : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا... ﴾ (٦) إلى آخرها ،
وبالمدينة آية البقرة : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ... ﴾ (٧) الآية ، ثم آية المائدة :
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ... ﴾ (٨) الآية . قاله ابن الحصار .

وروى البخاري عن ابن مسعود ، قال : أول سورة أنزلت فيها سجدة النجم .
وقال الفريابي : حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ لَقَدْ
نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ (٩) قال : هي أول ما أنزل الله من سورة براءة .
وقال أيضا : حدثنا إسرائيل ، نبأنا سميد ، عن مسروق ، عن أبي الضحى ، قال :
أول ما نزل من براءة : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ (١٠) ، ثم نزل أولها ، ثم نزل آخرها .

(٢) سورة البقرة ٢١٩

(٤) سورة المائدة ٩٠

(٦) سورة النحل ١١٤

(٨) سورة المائدة ٣

(١٠) سورة التوبة ٤١

(١) سورة الإسراء ٣٣

(٣) سورة النساء ٤٣

(٥) سورة الأنعام ١٤٥

(٧) سورة البقرة ١٧٣

(٩) سورة التوبة ٢٥

وأخرج: ابن أشتة في كتاب المصاحف ، عن أبي مالك ، قال : كان أول براءة: ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ سنوات ، ثم أنزلت براءة أول السورة فألفت بها أربعون آية .

وأخرج أيضاً من طريق داود ، عن عاصم في قوله : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ قال : هي أول آية نزلت في براءة في غزوة تبوك ، فلما رجع من تبوك نزلت براءة ، إلا ثمان وثلاثين آية من أولها .

وأخرج من طريق سفیان وغيره ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن حُبَيْر ، قال : أول ما نزل من آل عمران : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .^(١) ثم أنزلت بقيتها يوم أحد .

التَوْخُ الشَّامِنُ
مَعْرِفَةُ آخِرِ مَا نَزَلَ

فيه اختلاف ، فروى الشيخان عن البراء بن عازب ، قال : آخر آية ، نزلت : ﴿بَسْتَفْتُمُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ (١) وآخر سورة نزلت براءة .

وأخرج البخاري عن ابن عباس ، قال : آخر آية نزلت آية الرِّبَا .
وروى البيهقي عن عمر مثله ، والمراد بها قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ (٢) . وعند أحمد وابن ماجه عن عمر : من آخر ما نزل آية الرِّبَا .

وعند ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري ، قال : خطبنا عمر ، فقال : إن من آخر القرآن نزولا آية الرِّبَا .

1 وأخرج النسائي من طريق عكرمة ، عن ابن عباس قال : آخر شيء نزل من القرآن : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ...﴾ (٣) ، الآية .

وأخرج ابن مردويه نحوه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ «آخر آية نزلت» .

وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي والضحاك ، عن ابن عباس .

وقال الترمذي في تفسيره : حدثنا سفيان ، عن الكلبي عن ابن صالح ، عن ابن عباس ، قال : آخر آية نزلت : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...﴾ ، الآية ، وكان بين نزولها وبين موت النبي صلى الله عليه وسلم أحدٌ وثمانون يوماً .

(٢) سورة البقرة ٢٧٨

(١) سورة النساء ١٧٦

(٣) سورة البقرة ٢٨١

وأخرج ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير، قال: آخر ما نزل من القرآن كله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾^(١)... الآية، وعاش النبي صلى الله عليه بهد نزول وسلم هذه الآية تسع ليال، ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلقتا من ربيع الأول.

وأخرج ابن جرير مثله عن ابن جريج.

وأخرج من طريق عطية عن أبي سعيد، قال: كان آخر آية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ...﴾ الآية.

وأخرج أبو عبيد في الفضائل عن ابن شهاب، قال: آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا وآية الدين.

وأخرج ابن جريج من طريق ابن شهاب عن سعيد بن المسيب، أنه بلغه أن أحدث القرآن عهداً بالعرش آية الدين. مرسل صحيح الاسناد.

قلت: ولا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ وآية الدين، لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، ولأنها في قصة واحدة، فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر، وذلك صحيح، وقول البراء: آخر ما نزل: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾، أي في شأن الفرائض.

وقال ابن حجر في شرح البخاري: طريق الجمع بين القولين في آية الربا: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ أن هذه آية هي ختام الآيات المنزلة في الربا، إذ هي معطوفة عليهن، ويجمع بين ذلك وبين قول البراء بأن الآيتين نزلتا جميعاً، فيصدق أن كلا منهما آخر بالنسبة لما عداها. ويحتمل أن تسكون الآخرة في آية النساء مقيدة بما يتعلق بالمواريث بخلاف آية البقرة. ويحتمل عكسه، والأول أرجح لما في آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول انتهى.

وفي المستدرک عن أبي بن كعب، قال: آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...﴾^(٢) إلى آخر السورة.

وروى عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن مردويه، عن أبي، أنهم جمعوا القرآن في خلافة أبي بكر، وكان رجال يكتبون، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١) ظنوا أن هذا آخر ما نزل من القرآن، فقال لهم أبي بن كعب: إن رسول الله صل الله عليه وسلم اقرأني بعدها آيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾ (٢) إلى قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، وقال: هذا آخر ما نزل من القرآن، قال: نغم بما فتح به، بالله الذي لا إله إلا هو وهو قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٣).

وأخرج ابن مردويه، عن أبي أبيض، قال: آخر القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، وأخرجه ابن الأنباري بلفظ «أقرب القرآن بالسماء عهداً».

وأخرج أبو الشيخ في تفسيره من طريق علي بن زيد، عن يوسف المكي، عن ابن عباس، قال: آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.

وأخرج مسلم عن ابن عباس، وقال: «آخر سورة نزلت إذا جاء نصر الله والفتح».

وأخرج الترمذي والحاكم عن عائشة، قالت: «آخر سورة نزلت المائدة، فما وجدتم فيها من حلالٍ فاستحلوه...» الحديث.

وأخرجا أيضا عن عبد الله بن عمرو، قال: آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح.

قلت: يعني إذا جاء نصر الله. وفي حديث عثمان المشهور: براءة من آخر القرآن نزولا.

قال البيهقي. يجمع. بين هذه الاختلافات - إن صحت - بأن كل واحد أجاز

بما عنده.

(٢) سورة التوبة ١٢٨، ١٢٩

(١) سورة التوبة ١٢٧

(٣) سورة الأنبياء ٢٥

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار : هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكل ما قاله بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن، ويحتمل أن كلا منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك، وإن لم يسمعه هو. ويحتمل أيضا أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول صلى الله عليه وسلم مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم منازل معها بعد رسم تلك فيُظنُّ أنه آخر ما نزل في الترتيب. انتهى.

ومن غريب ما ورد في ذلك ما أخرجه ابن جرير عن معاوية بن أبي سفيان أنه تلا هذه الآية: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ...﴾^(١)، الآية: وقال: إنها آخر آية نزلت من القرآن. قال ابن كثير: هذا أمر مشكل، ولعله أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها، ولا تغير حكمها، بل هي مثبتة محكمة.

قلت: ومثله ما أخرجه البخاري وغيره عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مَّتَعِدًا فَجْرَؤُهُ جَهَنَّمُ﴾^(٢) هي آخر ما نزل، وما نسخها شيء. وعند أحمد والنسائي عنه: لقد نزلت في آخر ما نزل، ما نسخها شيء.

وأخرج ابن مردويه، من طريق مجاهد، عن أم سلمة، قالت: آخر آية نزلت هذه الآية: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ...﴾^(٣) إلى آخرها.

قلت: وذلك أنها قالت: يا رسول الله أرى، الله يذكرك الرجال ولا يذكرك النساء! فنزلت: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٤)، ونزلت: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾^(٥)، ونزلت هذه الآية، فهي آخر الثلاثة نزولا، أو آخر ما نزل بعد ما كان ينزل في الرجال خاصة.

(١) سورة الكهف ١١٠

(٢) سورة النساء ٩٣

(٣) سورة النساء ٣٢

(٤) سورة آل عمران ١٩٥

(٥) سورة الأحزاب ٣٥

وأخرج ابن جرير عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، فارقها والله عنه راض . قال أنس : وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما نزل : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ ... ﴾ (١) الآية .

قلت : يعنى في آخر سورة نزلت .

وفي البرهان لإمام الحرمين : إن قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أَوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا .. ﴾ (٢) الآية من آخر ما نزل .

وتمتبه ابن الحصار بأن السورة مكية باتفاق ، ولم يرد نقل بتأخر هذه الآية عن نزول السورة ، بل هي في محاجة المشركين ومخاصمتهم وهم بمكة . انتهى .

* * *

نبيه

من المشكل على ما تقدم قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ (٣) فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع ، وظاهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها ، وقد صرح بذلك جماعة منهم السدي فقال : لم ينزل بعدها حلال ولا حرام ، مع أنه وارد في آية الربا والدين والكلالة أنها نزلت بعد ذلك . وقد استشكل ذلك ابن جرير وقال : الأولى أن يتأول على أنه أكمل لهم دينهم بإفرادهم (٤) بالبلد الحرام وإجلاء المشركين عنه ، حتى حجة المسلمون لا يخالطهم المشركون . ثم آيد به بما أخرجه من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، قال : كان المشركون والمسلمون يمجون جميعا ، فلما نزلت براءة نبي المشركون عن البيت ، وحج المسلمون لا يشاركون في البيت الحرام أحد من المشركين ؛ فكان ذلك من تمام النعمة : ﴿ وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ (٥) .

(٢) سورة الأنعام ١٤٥

(٤) ط : « باقرارهم »

(١) سورة التوبة ٥

(٣) سورة المائدة ٣

النوع التاسع
معرفة سبب النزول

أفرده بالتصنيف جماعة أقدمهم على بن المديني شيخ البخاري ، ومن أشهرها كتاب الواحدي على ما فيه من إعواز ، وقد اختصره الجعبري ، خذف أسانيدَه ، ولم يزد عليه شيئا ، وألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر كتاباً مات عنه مسوِّدة فلم نفع عليه كاملاً ، وقد ألفت فيه كتاباً حافلاً موجزاً محرراً لم يؤلف مثله في هذا النوع ، سميته : «لياب النقول في أسباب النزول»^(١).

قال الجعبري : نزول القرآن على قسمين : قسم نزل ابتداء ، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال ، وفي هذا النوع مسائل :

المسألة الأولى :

زعم زاعم أنه لا طائل تحت هذا الفن ، لجر يانه مجرى التاريخ ، وأخطأ في ذلك ، بل له فوائد منها : معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .

ومنها : تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب .

ومنها : أن اللفظ قد يكون عاماً ، ويقوم الدليل على تخصّصه ، فإذا عُرِف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته ، فإن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد ممنوع ، كما حكى الإجماع عليه القاضي أبو بكر في التقريب ، ولا التفات إلى من شدّ فجوز ذلك .

ومنها : الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال ، قال الواحدي . لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها .

وقال ابن دقيق العيد : بيان سبب النزول طريق قوى في فهم معانى القرآن .
وقال ابن تيمية : معرفة سبب النزول يُعين على فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب .

وقد أشكل على مروان بن الحكم معنى قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا... ﴾ (١) الآية ، وقال : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي ، وأحب أن يُحمد بما لم يفعل معذبا ، لُنمذبن أجمعون ، حتى بين له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء ، فكتموا إياه ، وأخبروه بغيره ، وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا بذلك إليه . أخرجه الشيخان .

وحكى عن عثمان بن مظعون وعمرو بن معدى كرب ، أنهما كانا يقولان : الحمر مباحة ، ويحتجان بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا... ﴾ (٢) الآية . ولو علما سبب نزولها لم يقولوا ذلك ، وهو أن ناسا قالوا لما حرمت الحمر : كيف بمن قُتلوا في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الحمر وهى رجس ؟ فنزلت . أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاللَّائِي يَمْسَنَ مِنَ الْحَمِيمِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةٌ أَشْهُرٌ... ﴾ (٣) فقد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة حتى قال الظاهرية بأن الآية لاعدة عليها إذا لم ترتب . وقد بين ذلك سبب النزول ، وهو أنه لما نزلت الآية التى فى سورة البقرة فى عدد النساء ، قالوا : قد بقى عدد من عدد النساء لم يذكرن : الصغار والكبار ، فنزلت . أخرجه الحاكم عن أبي . فعلم بذلك أن الآية خطاب لمن لم يعلم ما حكمهن فى العدة ، وارتاب : هل عليهن عدة أولا ؟ وهل عدتهن كاللاتى فى سورة البقرة أولا ؟ فمعنى « إن ارتبتم » إن أشكل عليكم حكمهن

وجهمتم كيف يعتدّن ؛ فهذا حكمهنّ .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا قِمِّمْ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ (١) فإننا لو تركنا ومدلول اللفظ لا يقتضى أن المصلّى لا يجب عليه استقبال القبلة سفراً ولا حضراً ، وهو خلاف الإجماع ، فلما عرف سبب نزولها علم أنها فى نافلة السفر ، أو فى من صلى بالاجتهاد وبأن له الخطأ ؛ على اختلاف الروايات فى ذلك .

ومن ذلك : قوله : ﴿ إِنْ الصَّغَا وَالْمُرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ... ﴾ (٢) الآية ؛ فإن ظاهر لفظها لا يقتضى أن السعى فرض ، وقد ذهب بعضهم إلى عدم فرضيته تمسكاً بذلك ، وقد ردت عائشة على عروة فى فهمه ذلك بسبب نزولها ، وهو أن الصحابة تأثموا من السعى بينهما لأنه من عمل الجاهلية . فنزلت .

ومنها : دفع توهم الحصر ، قال الشافعى مامعناه فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ... ﴾ (٣) الآية : إن الكفار لما حرّموا ما أحلّ الله وأحلّوا ما حرّم الله ، وكانوا على المضادة والمخاداة ، فجاءت الآية مناقضة لفرضهم ، فكأنه قال : لا حلال إلا ما حرّمتموه ، ولا حرام إلا ما أحللتتموه نازلاً منزلة من يقول : لانا كل اليوم حلاوة فنقول : لا آكل اليوم إلا الحلاوة ، والفرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة ، فكأنه تعالى قال : لا حرام إلا ما أحللتتموه ؛ من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، ولم يقصد حل ما وراءه ، إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحلّ . قال إمام الحرمين : وهذا فى غاية الحسن ، ولولا سبق الشافعى إلى ذلك لما كنّا نستجيز مخالفة مالك فى حصر المحرّمات فيما ذكرته الآية .

ومنها : معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم فيها ، ولقد قال مروان فى

عبد الرحمن بن أبي بكر : إنا الذي أنزل فيه : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمْ ۖ ﴾ (١) حتى ردت عليه عائشة وبيّنت له سبب نزولها .

* * *

المسئلة الثانية :

اختلف أهل الأصول : هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب ؟ والأصح عندنا الأول ، وقد نزلت آيات في أسباب ، وانفقوا على تمديتها إلى غير أسبابها ، كنزول آية الظهر في سلمة بن صخر ، وآية اللعان في شأن هلال بن أمية ، وحدث القذف في رمة عائشة ، ثم تعدى إلى غيرهم . ومن يعتبر عموم اللفظ قال : خرجت هذه الآيات ونحوها لدليل آخر ، كما قصرت آيات على أسبابها اتفاقاً لدليل قام على ذلك . قال الزمخشري في سورة الممّرة : يجوز أن يكون السبب خاصاً والوعيد عاماً ليتناول كل من باشر ذلك القبيح ، وليكون ذلك جارياً مجرى التعريض .

قلت : ومن الأدلة على اعتبار عموم اللفظ ، احتجاج الصحابة وغيرهم في وقائع بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة شائناً دائماً بينهم ، قال ابن جرير : حدثني محمد بن أبي معشر ، أخبرنا أبي أبو معشر نجيح ، سمعت سميداً القمريّ يذكر محمد بن كعب القرظيّ ، فقال سميد : إن في بعض كتب الله : إن الله عباداً ألسنتهم أخلّى من العسل ، وقلوبهم أمر من الصبر ، لبسوا لباس مسوك الضأن من اللين (٢) ، يحترقون الدنيا بالدين . فقال محمد بن كعب : هذا في كتاب الله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا... ﴾ (٣) الآية ، فقال سميد : قد عرفت فيمن أنزلت ؟ فقال محمد بن كعب : إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد (٤) .

(٢) المسوك : جمع مسك ، وهو جلد الغم وغيرها .

(٤) تفسير الطبري ٤ : ٣١

(١) سورة الأحقاف ١٧

(٣) سورة البقرة ٢٠٤

فإن قلت : فهذا ابن عباس، لم يعتبر عموم ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ...﴾^(١) الآية ، بل قصرها على ما أنزلت فيه من قصة أهل الكتاب .

قلت : أجيب عن ذلك بأنه لا يخفى عليه أن اللفظ أعم من السبب ، لكنّه يبيّن أن المراد باللفظ خاص ، ونظيره تفسير النبي صلى الله عليه وسلم الظلم في قوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَلِدْ سُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾^(٢) بالشرك من قوله : ﴿إِنَّ الشَّرْكَ أَظْلَمُ أَظْلَمٌ عَظِيمٌ﴾^(٣) مع فهم الصحابة العموم في كل ظلم . وقد ورد عن ابن عباس ما يدل على اعتبار العموم ، فإنه قال به في آية السرقة مع أنها نزلت في امرأة سرقته . قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن أبي حماد ، حدثنا أبو ثيملة بن عبد المؤمن ، عن نجيدة الحنفية ، قال : سألت ابن عباس عن قوله : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾^(٤) ، أخاص أم عام ؟ قال : بل عام .

وقال ابن تيمية : قد يحىء كثيرا من هذا الباب قولهم : هذه الآية نزلت في كذا ، لاسيما إن كان المذكور شخصا ، كقولهم : إن آية الظهار نزلت في امرأة ثابت بن قيس ، وإن آية الكفالة نزلت في جابر بن عبد الله ، وإن قوله : ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ﴾^(٥) نزلت في بني قريظة والنضير ، ونظائر ذلك مما يذكر أن نزلت في قوم من المشركين بمكة ، أو في قوم من اليهود والنصارى ، أو في قوم من المؤمنين . فالذين قالوا ذلك لم يقصدوا أن حكم الآية يختص بأولئك الأعيان دون غيرهم ، فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق ، والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب : هل يختص بسببه ؟ فلم يقل أحد إن عومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين ، وإنما غاية ما يقال إنها تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه ، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ .

(٢) - سورة الأنعام ٨٢

(٤) - سورة المائدة ٣٨

(١) - سورة آل عمران ١٨٨

(٣) - سورة لقمان ١٣

(٥) - سورة المائدة ٩

والآية التي لها سبب معين إن كانت أمراً ونهياً فهي متناولة لذلك الشخص وغيره
من كان بمنزلة ، وإن كانت خبراً بمدح أو ذم ، فهي متناولة لذلك الشخص ولن
كان بمنزلة . انتهى .

تنبيه
أصا

قد علمت مما ذكر أن فرض المسألة في لفظ له عموم ، إما آية نزلت في معين ولا عموم
للفظها ، فإنها تقصر عليه قطعاً ، كقوله تعالى : ﴿ وَسَيَجْزِيهَا اللَّهُ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ
يَتَزَكَّى ﴾ ^(١) فإنها نزلت في أبي بكر الصديق بالإجماع ، وقد استدلت بها الإمام نجر الدين
الرازي مع قوله : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ^(٢) على أنه أفضل الناس بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

ووهم من ظن أن الآية عامة في كل من عمل عمله ، إجراء له ^(٣) على القاعدة ؛ وهذا
غلط ، فإن هذه الآية ليس فيها صيغة عموم إذ الألف واللام إنما تفيد العموم إذا كانت
موصولة أو معرفة في جمع ؛ زاد قوم : أو مفرد ، بشرط ألا يكون هناك عهد ، واللام في
« الأتقى » ليست موصولة لأنها لا توصل بأفعل التفضيل إجماعاً ، والأتقى ليس جمعاً بل هو
مفرد والمهد موجود ، خصوصاً مع ما يفيد صيغة « أفعل » من التمييز وقطع المشاركة ؛
فيبطل القول بالعموم ، وتمين القطع بالخصوص والقصر على من نزلت فيه رضى الله عنه .

المسئلة الثالثة :

تقدم أن صورة السبب قطعية الدخول في العام ، وقد تنزل الآيات على الأسباب

(٢) سورة الحجرات ١٣

(١) سورة الليل ١٧ ، ١٨

(٣) ط : « أحرأ » تحريف .

الخاصة وتوضع مع ما يناسبها من الآي العامة، برعاية لنظم القرآن وحسن السيق، فيكون ذلك الخاص قريبا من صورة السبب في كونه قطعيّ الدخول في العام، كما اختار السبكي أنه رتبة متوسطة دون السبب وفوق المجرّد، مثاله قوله تعالى: ﴿الْم تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ...﴾^(١)، إلى آخره، فإنّها إشارة إلى كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود، لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر، حرّضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي صلى الله عليه وسلم، فسألهم: مَنْ أهدى سبيلا؟ محمد وأصحابه أم نحن؟ فقالوا: أنتم، مع علمهم بما في كتابهم من نعت النبي صلى الله عليه وسلم المنطبق عليه، وأخذ المواثيق عليهم ألا يكتبوه؛ فكان ذلك أمانة لازمة لهم، ولم يؤدّوها حيث قالوا للكفار: أنتم أهدى سبيلا، حسداً للنبي صلى الله عليه وسلم. فقد تضمّنت هذه الآية مع هذا القول التوعّد عليه المفيد للأمر بمقابله. المشتمل على اداء الأمانة التي هي بيان صفة النبي صلى الله عليه وسلم، بإفادة أنه الموصوف في كتابهم، وذلك مناسب لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(٢)، فهذا عام في كل أمانة، وذلك خاص بأمانة، هي صفة النبي صلى الله عليه وسلم بالطريق السابق، والعام تالي للخاص في الرسم مترخ عنه في النزول، والمناسبة تقتضى دخول ما دلّ عليه الخاص في العام، ولذا قال ابن العربي في تفسيره: وجه النظم أنه أخير عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد صلى الله عليه وسلم، وقولهم: إنّ المشركين أهدى سبيلا؛ فكان ذلك خيانة منهم، فأجبر الكلام إلى ذكر جميع الأمانات. انتهى.

قال: بعضهم: ولا يرد تأخر نزول آية الأمانات التي قبلها بنحو ست سنين، لأن الزمان إنما يشترط في سبب النزول لافي المناسبة، لأنّ المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها؛ والآيات كانت تنزل على أسبابها، ويأمر النبي صلى الله عليه وسلم بوضعها في المواضع التي علم من الله أنها مواضعها.

المسئلة الرابعة :

قال الواحدى : لا يحل القول فى أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ، ووقفوا على الأسباب ، وبحوثها عن علمها ، وقد قال محمد بن سيرين : سألت عبيدة عن آية من القرآن ، فقال : اتق الله وقل سداداً ؛ ذهب الذين يعلمون فيم أنزل الله القرآن (١) !

وقال غيره : معرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرآن تحتف بالقضايا ، وربما لم يحزم بعضهم ، فقال : أحسب هذه الآية نزلت فى كذا ، كما أخرج الأئمة الستة عن عبد الله ابن الزبير ، قال : خاصم الزبير رجلاً من الأنصار فى شراج الحرة (٢) فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اسق يا زبير ، ثم أرسل الماء إلى جارك ، فقال الأنصارى : يا رسول الله ، أن كان ابن عمك ! فتلون وجهه ... الحديث (٣) . قال الزبير : فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت فى ذلك : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ (٤) .

قال : الخاكم فى علوم الحديث : إذا أخبر الصحابى الذى شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت فى كذا فإنه حديث مسند . ومشى على هذا ابن الصلاح وغيره ، ومثله بما أخرجه مسلم عن جابر ، قال : كانت اليهود تقول : من أتى امرأته من دبرها فى قبائها جاء الولد أحول ، فأنزل الله : ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ (٥) .

وقال ابن تيمية : قولهم : نزلت هذه الآية فى كذا ، يراد به تارة سبب النزول ، ويراد

(١) أسباب النزول للواحدى ٤

(٢) الشراج ، بشين معجمة مكسورة : جمع شرجة ، بفتح فكون ، وهى مسابيل الماء بالحرة ، والحرة أرض ذات حجارة سود .

(٣) بقية الخبر : « ثم قال الزبير : اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ، فاستوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ، وكان قبل ذلك أشار على الزبير برأى أراد فيه سعة للأنصارى وله ، فلما أحفظ الأنصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوفى للزبير حقه فى صريح الحكم . وانظر أسباب النزول

١٢٢ ، وتفسير القرطبي ٥ : ٢٦٩

(٥) سورة البقرة ٢٣٢

(٤) سورة النساء ٦٥

به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما تقول: عنى بهذه الآية كذا .
وقد تنازع العلماء في قول الصحابي: نزلت هذه الآية في كذا ، هل يجري مجرى المسند
كما لو ذكر السبب الذي أنزلت لأجله، أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند؟
فالبخاري يدخله في المسند، وغيره لا يدخله فيه، وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح
كمسند أحمد وغيره ، بخلاف ما إذا ذكر سببا نزلت عقبه ، فإنهم كلهم يدخلون مثل
هذا في المسند. انتهى .

وقال الزركشي: في البرهان: قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا
قال: نزلت هذه الآية في كذا؛ فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم، لأن هذا كان
السبب في نزولها^(١)، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية، لا من جنس النقل
لما وقع^(٢).

قلت: والذي يُتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه، ليخرج
ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به، فإن ذلك ليس
من أسباب النزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، كذكر قصة
قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت، ونحو ذلك. وكذلك ذكره في قوله: ﴿وَاتَّخَذَ
اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، سبب اتخاذه خليلا ليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما
لا يخفى .

* * *

(١) يدها في البرهان: «وجاعة من المحدثين يحملون هذا من المرفوع المسند، كما في قول ابن عمر
في قوله تعالى: (نساءؤم حرث لكم)، وأما الإمام أحمد فلم يدخله في المسند، وكذلك مسلم وغيره،
وجعلوا هذا مما يقال بالاستدلال وبالتأويل» .

(٢) البرهان ١: ٣٢٣١ ،

(٣) سورة النساء ١٢٥

تنبيه

ما تقدم أنه من قبيل المسند من الصحابي إذا وقع من تابعي فهو مرفوع أيضا ،
لكنه مرسل ، فقد يُقبل إذا صح السند إليه ، وكان من أئمة التفسير الآخذين عن
الصحابة ، كجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ، أو اعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك .

* * *

المسئلة الخامسة :

كثيرا ما يذكر المفسرون لنزول الآية إسبابا متعددة ، وطريق الاعتماد في ذلك
أن ينظر إلى العبارة الواقعة ، فإن عبر أحدهم بقوله: نزلت في كذا ، والآخر: نزلت في كذا .
وذكر أمراً آخر ، فقد تقدم أن هذا يراد به التفسير لا ذكر سبب النزول ، فلا منافاة
بين قولهما إذا كان اللفظ يتناولهما ، كما سيأتي تحقيقه في النوع الثامن والسبعين ، وإن
عبر واحد بقوله : نزلت في كذا ، وصرح الآخري بذكر سبب خلافه فهو المعتمد ، وذلك
استنباط؛ مثاله ما أخرجه البخاري عن ابن عمر ، قال أنزلت: ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثُكُمْ ﴾ (١)
في إتيان النساء في أدبارهن . وتقدم عن جابر التصريح بذكر سبب خلافه ، فالعتمد حديث
جابر ، لأنه نقل ، وقول ابن عمر استنباط منه ، وقد وهم فيه ابن عباس ، وذكر مثل حديث
جابر ، كما أخرجه أبو داود والحاكم

وإن ذكر واحد سببا وآخر سببا غيره ، فإن كان إسناد أحدهما صحيحا دون
الآخر فالصحيح المعتمد ، مثاله ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن جندب : اشتكى النبي
صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين ، فأتته امرأة ، فقالت : يا محمد ، ما أرى شيطانك
إلا قد تركك ، فأنزل الله: ﴿ وَالتَّضْحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (٢) .

(١) سورة البقرة ٢٢٣

(٢) سورة الضحى ١ - ٣ .

وأخرج الطبراني وابن أبي شيبة ، عن حفص بن ميسرة ، عن أمه عن أمها — وكانت خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم — أن جروا دخل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخل تحت السرير فمات ، فكث النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي ، فقال : يا خولة ، ما حدث في بيت رسول الله ؟ جبريل لا يأتيني ، فقلت في نفسي : لو هيت البيت وكنسته ! فأهويت بالمكنسة تحت السرير ، فأخرجت الجرو فجاء النبي صلى الله عليه وسلم تُرَعْدُ لحيته — وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة — فأنزل الله : ﴿ وَالضُّحَى ﴾ إلى قوله : ﴿ فَتَرَضَى ﴾ .

وقال ابن حجر في شرح البخاري : قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة ، لكن كونها سبب نزول الآية غريب ، وفي إسناده من لا يعرف ، فالمعتمد مافي الصحيح .

ومن أمثله أيضا ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم ، من طريق علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة ، أمره الله ان يستقبل بيت المقدس ، فقرحت اليهود ، فاستقبله بضعة عشر شهرا — وكان يحب قبلة إبراهيم — فكان يدعو الله وينظر إلى السماء فأنزل الله : ﴿ قَوْلُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ ^(١) فارتاب من ذلك اليهود ، وقالوا : ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ! فأنزل الله : ﴿ قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ ^(٢) وقال : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَهُوَ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ^(٣) .

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن عمر ، قال نزلت : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَهُوَ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ، أن تُصَلِّيَ حينما توجهت بك راحلتك في التطوع .

وأخرج الترمذي — وضعفه — من حديث عامر بن ربيعة ، قال : كنا في سفر في ليلة مظلمة ، فلم ندر أين القبلة ؟ فصلى كل رجل منا على حاله ، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت .

وأخرج الدارقطني نحوه من حديث جابر ، بسند ضعيف أيضا .

(١) سورة البقرة ١٥٠

(٢) سورة البقرة ١١٥

وأخرج عن ابن جرير عن مجاهد، قال: لما نزلت: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١) قالوا: إلى أين؟ فنزلت. مرسل.

وأخرج عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إن آخالكم قدمات فصلوا عليه» فقالوا: إنه كان لا يبصلي إلى القبلة، فنزلت. معضل غريب جدا.

فهذه خمسة أسباب مختلفة، وأضعفها الأخير لإعضاله، ثم ما قبله لإرساله، ثم ما قبله لضعف روايته، والثاني صحيح لكنه قال: قد أنزلت في كذا، ولم يصرح بالسبب، والأول صحيح الإسناد، وصرح فيه بذكر السبب فهو المعتمد.

ومن أمثله أيضا ما أخرجه ابن مردويه وابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة—أوسعيد—عن ابن عباس قال: خرج أمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ورجال من قريش، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد، تعال فتمسح بالهتنا، وتدخل معك في دينك—وكان يحب إسلام قومه— فرق لهم، فأنزل الله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أُوحِينَا إِلَيْكَ...﴾ الآيات.

وأخرج ابن مردويه، من طريق العوفي، عن ابن عباس أن ثقيفا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أجلنا سنة حتى يهدي لآهتنا، فإذا قبضنا الذي يهدي لها أحرزناه ثم أسلمنا. فهم أن يؤجلهم فنزلت. هذا يقتضي نزولها بالمدينة. وإسناده ضعيف، والأول يقتضي نزولها بمكة وإسناده حسن، وله شاهد عند أبي الشيخ عن سعيد بن جبير، يرتقى إلى درجة الصحيح، فهو المعتمد.

الحال الرابع^(٢): أن يستوى الإسنادان في الصحة، فيرجح أحدهما بكون راويه حاضر القصة، أو نحو ذلك من وجوه الترجيحات، مثاله ما أخرجه البخاري عن ابن مسعود، قال: كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وهو يتوكأ على عسيب، فمر بنفري من اليهود، فقال بعضهم: لو سألتموه! فقالوا: حدثنا عن الروح، فقام ساعة ورفع

رأسه فعرفت أنه يوحى إليه ، حتى صعد الوحي ، ثم قال : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١)

وأخرج الترمذى — وصححه من ابن عباس — قال : قالت قريش لليهود : اعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل ، فقالوا : اسألوه عن الروح ، فسألوه ، فأنزل الله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ... ﴾ (١) الآية ، فهذا يقتضى أنها نزلت بمكة . والأول خلافه ، وقد رجح بأن مارواه البخارى أصح من غيره ، وبأن ابن مسعود كان حاضر القصة .

الحال لخامس : (٢) أن يمكن نزولها عقيب السببين والأسباب المذكورة ، بالأى تكون معلومة التباعد ، كما فى الآيات السابقة ، فيحمل على ذلك بومثاله ما أخرجه البخارى من طريق عكرمة عن ابن عباس ، أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « البينة أوحد في ظهرك » ، فقال : يا رسول الله ، إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة (٣) ! فأنزل عليه : ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ ... ﴾ (٤) حتى بلغ : ﴿ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٥) .

وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد قال : جاء عويمر إلى عاصم بن عدى فقال : اسأل رسول صلى الله عليه وسلم : أ رأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً ، فقتله ، أ يقتل به ، أم كيف يصنع ؟ فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاب السائل ، فأخبر عاصم عويمرا

(١) سورة الإسراء ٨٥

(٢) انظر ما سبق فى صفحة ٩١ و ٩٣

(٣) بعد فيما نقله القرطبي : « فجعل الذى صلى الله عليه وسلم يقول : « البينة أوحد فى ظهرك » ، فقال هلال : والذى يمشك بالحق لى لصادق ، وليتزلن الله فى أمرى ما يترى ظهرى من الهدن »

(٤) سورة النور ٦

(٥) تفسير القرطبي ١٢ : ١٨٣ ، أسباب النزول للواحدى ٢٣٦ — ٢٣٨ وانظر صفحة ٩١ أيضاً

فقال : والله لآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا سألته ، فاتاه ، فقال : إنه قد أنزل فيك وفي صاحبك قرآنا ... الحديث (١) . جمع بينهما بأن أول ما وقع له ذلك هلال ، وصادف محيى عويمر أيضاً ، فنزلت في شأنهما معاً . وإلى هذا جنح النووى وسبقه الخطيب ، فقال : لعلهما اتفق لهما ذلك في وقت واحد .

وأخرج البزار ، عن حذيفة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : لو رأيت مع أمّ رومان رجلاً ما كنت فاعلابه ؟ قال : شرّاً ، قال : فأنت يا عمر ؟ قال : كنت أقول : لعن الله الأعرج فإنه خبيث . فنزلت

قال ابن حجر : لامانع من تعدد الأسباب .

الحال السادس (٢) ألا يمكن ذلك ، فيحمل على تعدد النزول وتكرره ، مثاله ما أخرجه الشيخان عن المسيّب ، قال : لما حضر أبا طالب الوفاة ، دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية ، فقال : أى عمّ ، قل : لا إله إلا الله ، أحاجّ لك بها عند الله ، فقال أبو جهل : وعبد الله يا أبا طالب ! أتربغ عن ملة عبد المطلب ! فلم يزالا يكأمانه حتى قال : هو على ملة عبد المطلب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لأستغفرنّ لك ما لم أنه عنه » ، فنزلت : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ... ﴾ (٣) الآية .

وأخرج الترمذى — وحسنه — عن عليّ ، قال : سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان ، فقلت : تستغفر لأبويك وهما مشركان ! فقال : استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت .

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود ، قال : خرج النبي صل الله عليه وسلم يوماً

(١) نقله ابن كثير في التفسير ٣ : ٢٦٧

(٢) أنظر ماسبق في ص ٩١ ، ٩٤ ، ٩٣

(٣) سورة التوبة ١١٣ ، وانظر أسباب النزول للواحدى ١٩٧ — ١٩٩

إلى المقابر، فجلس إلى قبر منها، فواجه طويلاً، ثم بكى، فقال: إن القبر الذى جلستُ
عنده قبر أمي، وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي، فأنزل علي: ﴿مَا كَانَ
لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾، فنجمع بين هذه الأحاديث بتعدد النزول.

ومن أمثله أيضاً ما أخرجه البيهقي والبخاري، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله
عليه وسلم وقف على حمزة حين استشهد، وقد مثل به، فقال: «لأمتان بسبعين منهم
مكانك». فنزل جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بجواتيم سورة النحل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ
فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ...﴾^(١) إلى آخر السورة.

وأخرج الترمذي والحاكم عن أبي بن كعب، قال: لما كان يوم أحد أُصِيبَ
من الأنصار أربعة وستون، ومن المهاجرين ستة، منهم حمزة، فمَثَلُوا بِهِمْ، فقالت الأنصار:
لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لَنَرِمَنَّ عَلَيْهِمْ. فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله: ﴿وَإِنْ
عَاقَبْتُمْ...﴾ الآية، فظاهره تأخير نزولها إلى الفتح، وفي الحديث الذى قبله نزولها بأحد.
قال ابن الحصار: ويجمع بآنها نزلت أولاً بمكة قبل الهجرة مع السورة لأنها مكية، ثم ثانياً
بأحد، ثم ثالثاً يوم الفتح، التذكير من الله لعباده. وجعل ابن كثير من هذا القسم
آية الروح.

* * *

تنبيه

قد يكون في إحدى القصتين «فتلا» فيهم الراوى فيقول «فنزّل» مثله
ما أخرجه الترمذي، — وصححه عن ابن عباس —، قال: مرّ يهودى بالنبي صلى الله عليه وسلم،
فقال: كيف تقول يا أبا القاسم، إذا وضع الله السموات على ذه، والأرضين على ذه،
والماء على ذه، والجبال على ذه، وسائر الخلق على ذه؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ

حَقَّ قَدْرِهِ... ﴿١﴾ الآية، والحديث في الصحيح بلفظ «فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم» وهو الصواب ، فإن الآية مكية .

ومن أمثله أيضا ما أخرجه البخارى عن أنس، قال: سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتاه فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : ما أول أسراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد؟ إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال : أخبرني بهن جبريل آفا ، قال : جبريل ! قال : نعم ، قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة قرأ هذه الآية : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ ﴿٢﴾ قال ابن حجر في شرح البخارى : ظاهر السياق أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الآية ردًّا على قول اليهود ، ولا يستلزم ذلك نزولها حينئذ . قال : وهذا هو المعتمد ، فقد صحَّ في سبب نزول الآية قصة غير قصة ابن سلام .

* * *

تنبيه

عكس ما تقدم أن يُذكر سبب واحد في نزول آيات ﴿٣﴾ متفرقة ، ولا إشكال في ذلك ، فقد ينزل في الواقعة الواحدة آيات عديدة في سور شتى ، مثاله ما أخرجه الترمذى والحاكم عن أم سلمة أنها قالت : يارسول الله ، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء ، فأنزل الله : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ...﴾ ﴿٤﴾ إلى آخر الآية .

وأخرج الحاكم عنها أيضا ، قالت : قلت : يارسول الله تذكر الرجال ولا تذكر النساء ، فأنزلت : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ ﴿٥﴾ وأنزلت : ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ .

(٢) سورة البقرة ٩٧

(٤) سورة آل عمران ١٩٥

(١) سورة الأنعام ٩١

(٣) ط : د الآيات

(٥) سورة الأحزاب ٣٥

وأخرج أيضا عنها أنها قالت: يَغزُّ والرجال ولا تغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث،
فأنزل الله: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ، أنزل: ﴿ وَإِنَّ
الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ .

ومن أمثله أيضا ما أخرجه البخاري من حديث زيد بن ثابت، أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أملى عليه: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ... وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ ﴾ (١) ، فجاء ابن أم مكتوم، وقال: يا رسول الله، لو استطيع الجهاد لجاهدت— وكان
أعمى — فأنزل الله: ﴿ غَيْرِ أُولَى الضَّرَرِ ﴾ .

وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن ثابت أيضا، قال: كنت أكتب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم، فإني لو اضع القلم على أذني، إذ أمر بالقتال، فجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينظر ما ينزل عليه إذ جاء أعمى، فقال: كيف لي يا رسول الله وأنا أعمى! فأنزلت:
﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ ... ﴾ (٢) .

ومن أمثله ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس، قال: كان رسول الله صلى الله
وسلم جالسا في ظل حُجرة، فقال: إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان؛ فطاع رجل
أزرق، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: علام تستعني أنت وأصحابك؟ فانطلق
الرجل، فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما قالوا، حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله: ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ
مَا قَالُوا ... ﴾ (٣) الآية . وأخرجه الحاكم وأحمد بهذا اللفظ وآخره: فأنزل الله: ﴿ يَوْمَ
يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ .. ﴾ (٤) الآية .

* * *

تنبيه

تأمل ما ذكرته لك في هذه المسألة، واشدد به يدك، فإني حررته واستخرجته
بفكري من استقراء صنيع الأئمة ومتفرقات كلامهم، ولم أسبق إليه .

(٢) سورة التوبة ٩١

(٤) سورة المجادلة ١٨

(١) سورة النساء ٩٥

(٣) سورة التوبة ٧٤

النزحُ العنَّاشِر
فَمَا نُزِّلَ مِنَ الْمُرْسَلِ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ

هو في الحقيقة نوع من أسباب النزول والأصل فيه موافقات عمر ، وقد أفردها بالتصنيف جماعة .

وأخرج الترمذی ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه . قال ابن عمر : وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال ، إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر .

وأخرج ابن مَرْدُوبِهِ ، عن مجاهد ، قال : كان عمر يرى الرأي ، فينزل به القرآن . وأخرج البخاري وغيره ، عن أنس ، قال : قال عمر : وافقت ربي في ثلاث ، قلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصَلًى؟ فنزلت : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًى ﴾ ^(١) ، وقلت : يا رسول الله ، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن؟ فنزلت آية الحجاب ، واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة ، فقلت لمن : ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ﴾ ^(٢) ، فنزلت كذلك .

وأخرج مسلم عن ابن عمر ، عن عمر ، قال ، وافقت ربي في ثلاث : في الحجاب ، وفي أسارى ^(٣) بدر ، وفي مقام إبراهيم .

وأخرج ابن أبي حاتم عن أنس ، قال : قال عمر : وافقت ربي - أو وافقت ربي - في أربع ، نزلت هذه الآية : ﴿ وَاقْدُرْ خَلْقَنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ... ﴾ ^(٤) الآية ،

(٢) سورة التحريم ٥
(٤) سورة المؤمنين ١٢

(١) سورة البقرة ١٢٥
(٣) ط : « أمرى » .

فلما نزلت قلت أنا : ﴿ فَبَارِكْ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ، فنزلت : ﴿ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (١) .

وأخرج عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهودياً لقي عمر بن الخطاب ، فقال : إن جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا ، فقال عمر : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٢) قال : فنزلت على لسان عمر .

وأخرج سُنَيْدٌ في تفسيره ، عن سعيد بن جبیر ، أن سعد بن مُعَاذٍ لما سمع ما قيل في أمر عائشة قال : ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) ، فنزلت كذلك .

وأخرج ابن أخي ميمى في فوائده ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : كان رجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمعا شيئاً من ذلك ، قالوا : ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ : زيد بن حارثة وأبو أيوب ، فنزلت كذلك .

وأخرج ابنُ أبي حاتم ، عن عكرمة ، قال : لما أبطأ على النساء الخبر في أحد خرجن يستخبرن ، فإذا رجلا مقلبان على بعير ، فقالت امرأة : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : حى ، قالت : فلا أبالي ، يتخذ الله من عباده الشهداء ، فنزل القرآن على ما قالت : ﴿ وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءً ﴾ (٤) .

وقال ابن سعد في الطبقات : أخبرنا الواقدي ، حدثني إبراهيم بن محمد بن شريحيل العبدي ، عن أبيه ، قال : حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد ، فقطعت يده اليمنى ، فأخذ اللواء بيده اليسرى ، وهو يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ (٥) ، ثم قطعت يده اليسرى ، فحنا على اللواء وضمة بمضديه إلى صدره ، وهو يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ... ﴾ الآية ، ثم قتل ، فسقط اللواء .

(١) سورة المؤمنین ١٢ - ١٤
(٢) سورة النور ١٦
(٣) سورة آل عمران ١٤٠
(٤) سورة البقرة ٩٨
(٥) سورة آل عمران ١٤٤

قال محمد بن شرحبيل : وما نزلت هذه الآية : ﴿ وَمَا تَحْمَدُ إِلَّا رَسُولًا ﴾ يومئذ حتى نزلت بعد ذلك .

* * *

تذنيب

يقرب من هذا ماورد في القرآن على لسان غير الله، كالنبي عليه السلام وجبريل والملائكة غير مصرح بإضافته إليهم ولا يحكى بالقول، كقوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ... ﴾ ، الآية ، فإن هذا ورد على لسانه صلى الله عليه وسلم لقوله آخرها : ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا... ﴾ ، (٢) الآية ، فإنه أوردها أيضاً على لسانه .

وقوله : ﴿ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ... ﴾ : (٣) الآية وارد على لسان جبريل .

وقوله : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَهَةٌ مَعَهُمْ ﴾ وإنا لنحن الصّافون * وإنا لنحن المسبحون * ، (٤)

وارد على لسان الملائكة .

وكذا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، وارد على ألسنة العباد ، إلا أنه يمكن هنا

تقدير القول أى قولوا ، وكذا الآيتان الأولىان يصح أن يقدر فيها « قل » بخلاف

الثالثة والرابعة .

(٢) سورة الأنعام ١١٤

(٤) سورة الصافات ١٦٤ - ١٦٦

(١) سورة الأنعام ١٠٤

(٣) سورة مريم ٦٤

النوع الحادي عشر
ما تكرر نزوله

صرح جماعة من المتقدمين والمتأخرين ، بأن من القرآن ما تكرر نزوله ، قال ابن الحصار: قد يتكرر نزول الآية تذكيراً وموعظة ، وذكر من ذلك خواتيم سورة النحل ، وأول سورة الروم .

وذكر ابن كثير منه آية الروح . وذكر قوم منه الفاتحة . وذكر بعضهم منه قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا... ﴾ (١) الآية .

وقال الزركشي في البرهان : قد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه ، وتذكيراً عند حدوث سببه خوف نسيانه . ثم ذكر منه آية الروح ، وقوله: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ... ﴾ (٢) الآية .

قال : فإن سورة الإسراء وهود مكيتان ، وسبب نزولهما يدل على أنهما نزلتا بالمدينة ، ولهذا أشكل ذلك على بعضهم .

ولا إشكال ، لأنها نزلت مرة بعد مرة . قال : وكذلك ماورد في سورة الإخلاص من أنها جواب للمشركين بمكة ، وجواب لأهل الكتاب بالمدينة ، وكذلك قوله : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا... ﴾ (٣) الآية . قال : والحكمة في هذا كله أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية ، وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها فيوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الآية بعينها؛ تذكيراً لهم بها وبأنها تتضمن هذه . (٤)

(١) سورة التوبة ١١٣ . وأوردها بعدها في البرهان : « وأُنزل الله في أبي طالب : (إنك لاتهدى من أحببت) ، وهذه الآية نزلت في آخر الأمر بالانفلاق ، وموت أبي طالب كان بمكة ، فيمكن أنها نزلت مرة بعد أخرى ، وجعلت في براءة . »
(٢) البرهان ١ : ٢٩ ، ٣٠ مع تعرف

تنبيه

قد يُجعل من ذلك الأحرف التي تُقرأ على وجهين فأكثر ، ويدلّ له ما أخرجه مسلم من حديث أبيّ : « أنّ ربّي أرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه : أن هون على أمّتي ، فأرسل إليّ أن أقرأه على حرفين ، فرددت إليه : أن هون على أمّتي ، فأرسل إليّ أن أقرأه على سبعة أحرف » ، فهذا الحديث يدلّ على أن القرآن لم ينزل من أوّل وهلة ، بل مرّة بعد أخرى .

وفي جمال القراء للسخاويّ بعد أن حكى القول بنزول الفاتحة مرتين : إن قيل : فما فائدة نزولها مرّة ثانية؟ قلت : يجوز أن يكون نزلت أوّل مرّة على حرف واحد ، ونزلت في الثانية ببقية وجوهها ، نحو ملك ومالك والسرائر والصرار ، ونحو ذلك . انتهى .

* * *

تنبيه

أنكر بعضهم كون شيء من القرآن يتكرّر نزوله ، كذا رأيت في كتاب «الكفيل بمعنى التنزيل» ، وعلمه بأن تحصيل ما هو حاصل لفائدة فيه . وهو مردود بما تقدم من فوائده ، وبأنه يلزم منه أن يكون كلّ ما نزل بمكة نزل بالمدينة مرّة أخرى ، فإن جبريل كان يعارضه القرآن كلّ سنة . وردّ بمنع الملازمة ، وبأنه لا معنى للإنزال إلا أن جبريل كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرآن لم يكن نزل به من قبل ، فيقرئه إياه . وردّ بمنع اشتراط قوله : « لم يكن نزل به من قبل » . ثم قال : ولعلمهم بعنون بنزولها مرتين ، أن جبريل نزل حين حوّات القبلة ، فأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الفاتحة ركن في الصلاة كما كانت بمكة ، فظن ذلك نزولاً لها مرّة أخرى ، أو أقرأه فيها قراءة أخرى لم يقرئها له بمكة ، فظن ذلك إنزالاً . انتهى .

النوع الثاني عشر
ما نأختر حكمه عن نزوله
وما نأختر نزوله عن حكمه

قال الزركشي في البرهان : قد يكون النزول سابقا على الحكم ، كقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿ (١) ، فقد روى البيهقي وغيره عن ابن عمر أنها نزلت في زكاة الفطر . وأخرج البزار نحوه مرفوعا .

وقال بعضهم : لأدري ما وجه هذا التأويل ؟ لأن السورة مكّية ، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة ولا صوم ! وأجاب البغوي بأنه يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم ، كما قال : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿ فالسورة مكية ، وقد ظهر أثر الحِلِّ يوم فتح مكة ، حتى قال عليه السلام : « أَحَلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ » ، وكذلك نزل بمكة : ﴿ سَيِّهَزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (٢) قال عمر بن الخطاب : فقلت : أيّ جمع ؟ فلما كان يوم بدر ، وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم مصابتا بالسيف ، ويقول : ﴿ سَيِّهَزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ ، فكانت نيام بدر . أخرجه الطبراني في الأوسط . (٣)

وكذلك قوله : ﴿ جُنْدٌ مَا هِنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴾ (٤) ، قال قتادة : وعده الله وهو يومئذ بمكة أنه سيهزم جندا من المشركين ، فجاء تأويلها يوم بدر . أخرجه ابن أبي حاتم .

(٢) سورة القمر ٤٥

(٤) سورة ص ١١

(١) سورة الأعلى ١٤ ، ١٥

(٣) البرهان ١ : ٣٢ . بتصرف .

ومثله أيضاً قوله تعالى : ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّلُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ (١)

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود في قوله : ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ ﴾ قال : السيف ، والآية مكية متقدمة على فرض القتال ، ويؤيد تفسير ابن مسعود ما أخرجه الشيخان من حديثه أيضاً ، قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نضيباً ، فجعل يطعنهما بمود كان في يده ، ويقول : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٢) ، ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّلُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ .

وقال ابن الحصار : ذكر الله الزكاة في السور المكيات كثيراً ، تصريحاً وتعريضاً ، بأن الله سينجز وعده لرسوله ، ويقم دينه ويظهره ؛ حتى تفرض الصلاة والزكاة وسائر الشرائع ، ولم تؤخذ الزكاة إلا بالمدينة بلاخلاف ، وأورد من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَآتَوْا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ (٣) وقوله في سورة المزمل : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (٤) . ومن ذلك قوله فيها : ﴿ وَآخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٥) .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ (٦) فقد قالت عائشة وابن عمر وعكرمة وجماعة : إنها نزلت في المؤذنين ، والآية مكية ولم يُشرع الأذان إلا بالمدينة .

ومن أمثله ما تأخر نزوله عن حكمه آية الوضوء ، ففي صحيح البخاري عن عائشة قالت : « سقطت قلادة لي بالبيداء ، ونحن داخلون المدينة ، فأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل ففنى رأسه في حجرى راقداً ، وأقبل أبو بكر ، فلكرني لكررة شديدة وقال : حبست الناس في قلادة ! ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ ، وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد ، فنزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ إلى قوله :

(٢) سورة الإسراء ٨١

(٤) سورة المزمل

(٦) سورة فصلت ٣٣

(١) سورة سبأ ٤٩

(٣) سورة الأنعام ١٤١

(٥) سورة المزمل ٢٠

﴿لعلكم تشكرون﴾^(١)، فالآية مدنيّة إجماعاً، وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة.

قال ابن عبد البرّ معلوم: عند جميع أهل المغازي أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل منذ فرضت عليه الصلاة إلا بوضوء ولا يدفع ذلك إلا جاهل أو معاند. قال: والحكمة في نزول آية الوضوء مع تقدّم العمل به، ليكون فرضه متلوّاً بالتنزيل.

وقال غيره: يحتمل أن يكون أول الآية نزل مقدّماً مع فرض الوضوء، ثم نزل بقيتها وهو ذكر التيمم في هذه القصة.

قلت: يردّه الإجماع على أن الآية مدنيّة.

ومن أمثلته أيضاً آية الجمعة، فإنها مدنية والجمعة فرضت بمكة، وقول ابن العرّاس: إن إقامة الجمعة لم تكن بمكة قطّ يردّه ما أخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: كنت قائد أبي حين ذهب بصره، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة، فسمع الأذان، يستغفر لأبي أمامة أسعد بن زرارة، فقلت: يا ابتاه، رأيت صلاتك على أسعد بن زرارة كلما سمعت النداء بالجمعة، لم هذا؟ قال: أي بني، كان أول من صلى بنا الجمعة قبل مقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ...﴾^(٢) الآية، فإنها نزلت سنة

تسع، وقد فرضت الزكاة قبلها في أوائل الهجرة.

قال ابن الحصار: فقد يكون مصرفها قبل ذلك معلوماً، ولم يكن فيه قرآن متلوّ، كما كان الوضوء معلوماً قبل نزول الآية، ثم نزلت تلاوة القرآن تأكيداً به.

* * *

(١) سورة المائدة ٦

(٢) سورة التوبة ٦٠

النوع الثالث عشر
ما نزل مُفرقاً وما نزل جماعاً

الأول غالب القرآن ، ومن أمثله في السور القصار «اقرأ» أول ما نزل منها ، إلى قوله : ﴿ ما لم يعلم ﴾ ، والضحى أول ما نزل منها إلى قوله : ﴿ فترضى ﴾ كما في حديث الطبراني . ومن أمثلة الثاني سورة الفاتحة ، والإخلاص ، والكوثر ، وتبت ، ولم يكن ، والنصر ، والمعوذتان ، نزلتا معاً .

ومنه في السور الطوال المرسلات ، ففي المستدرک عن ابن مسعود ، قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار ، فنزلت عليه : ﴿ والمرسلات عرفاً ﴾ ، فأخذتها من فيه وإن فاه رطب ، بها فلا أدري بأيها ختم : ﴿ فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ ^(١) ، أو ﴿ إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ﴾ ^(٢) .

ومنه سورة الصف لحديثها السابق في النوع الأول .

ومنه سورة الأنعام ، فقد أخرج أبو عبيد والطبراني عن ابن عباس ، قال : نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة ، حولها سبعون ألف ملك .

وأخرج الطبراني من طريق يوسف بن عطية الصفار — وهو متروك — عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نزلت على سورة الأنعام جملة واحدة يشيها سبعون ألف ملك » .

وأخرج البيهقي في الشعب بسند فيه من لا يعرف عن علي قال : أنزل القرآن خمساً خمساً لإسورة الأنعام ، فإنها نزلت جملة ، في ألف يشيها من كل سماء سبعون

مَلَكًا حَتَّىٰ أَدْرُهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وأخرج أبو الشيخ^(١) عن أبي بن كعب مرفوعاً: «أُنزِلَتْ عَلَىٰ سُورَةِ الْأَنْعَامِ جَمَلَةٌ وَاحِدَةٌ ، يَشْمَعُهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ» .

وأخرج عن مجاهد قال: «نزلت الأنعام كلها جملة واحدة معها خمسمائة ملك» .

وأخرج عن عطاء قال: «أُنزِلَتْ الْأَنْعَامُ جَمِيعًا وَمَعَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ» .

فهذه شواهد يُقَوِّى بِمَعْضَاهَا بَعْضًا .

وقال ابن الصلاح في فتاويه: الحديث الوارد في أنها نزلت جملةً ، رويناه من طريق أبي بن كعب . وفي إسناده ضَعْفٌ ، ولم نر له إسنادًا صحيحًا ، وقدرُوي ما يخالفه ، فُروى أنها لم تنزل جملةً واحدةً ، بل نزلت آيات منها بالمدينة ، اختلفوا في عددها ، فقيل : ثلاث ، وقيل غير ذلك . انتهى والله أعلم .

* * *

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان ، المعروف بأبي الشيخ . قال أبو نعيم : صنّف الأحكام والتفسير . توفى سنة ٣٦٩ . أخبار أصبهان ٢ : ٩٠

التَوْحُّ الزَّائِعُ عَشْرَ
مَا نَزَلَ مُشْتَبِعًا وَمَا نَزَلَ مُفْرَدًا

قال ابن حبيب ، وتبعه ابن النقيب : من القرآن ما نزل مشتبعا وهو سورة الأنعام شبيها سبعمون ألف ملك ، وفاتحة الكتاب نزلت ومعها ثمانون ألف ملك ، وآية الكرسي نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك ، وسورة يس نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك ، ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾^(١) نزلت ومعها عشرون ألف ملك ، وسائر القرآن نزل به جبريل مفردا بلا تشبييع .

قلت : أما سورة الأنعام فقد تقدم حديثها بطرقه ، ومن طرقه أيضا ما أخرجه البيهقي في الشعب والطبراني بسند ضعيف ، عن أنس مرفوعا : « نزلت سورة الأنعام ومعها موكب من الملائكة يسد ما بين الخافقين ، لهم زجل بالتقديس والتسبيح والأرض ترج » . وأخرج الحاكم والبيهقي من حديث جابر ، قال : لما نزلت سورة الأنعام سبّح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « شيع هذه السورة من الملائكة ماسد الأفق » . قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، لكن قال الذهبي : فيه انقطاع ، وأظنه موضوعا . وأما فاتحة وسورة يس ، و ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ ، فلم أفر على حديث فيها بذلك ولا أثر .

وأما آية الكرسي فقد ورد فيها وفي جميع آيات البقرة حديث ؛ أخرج أحمد في مسنده ، عن معقل يسار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « البقرة سنم القرآن وذروته ، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا ، واستخرجت : الله لاله إلا هو الحي القيوم من تحت العرش فوصلت بها » .

وأخرج سعيد بن منصور في سننه ، عن الضحاک بن مزاحم ، قال : « خواتيم سورة البقرة جاء بها جبريل ، ومعه من الملائكة ماشاء الله » .

وبقي سور أخرى منها سورة الكهف ، قال ابنُ الضَّرَّيس في فضائله . أخبرنا يزيد ابن عبد العزيز الطيالسي حدثنا إسماعيل بن عیاش ، عن إسماعيل بن رافع ، قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بسورة ملء عظامها ما بين السماء والأرض شيمة سبعون ألف ملك ؟ سورة الكهف » .

* * *

تنبيه

لينظر في التوفيق بين ماضى وبين ماأخرجه ابنُ ابى حاتم بسند صحيح عن سعيد ابن حُبیر ، قال : ماجاء جبريل بالقرآن إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا ومعه أربعة من الملائكة حفظة .

وأخرج ابن جرير عن الضحاک ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بُعث إليه الملك ، بعث ملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلفه ، أن يتشبه الشيطان على صورة الملك .

* * *

فائدة

قال ابنُ الضَّرَّيس : أخبرنا محمود بن غيلان عن يزيد بن هارون ، أخبرني الوليد - يعنى ابن جميل - عن القاسم ، عن أبى أمامة ، قال : أربع آيات نزلت من كنز العرش ، لم ينزل منه شئٌ غيرهن : أم الكتاب ، وآية الكرسي ، وخاتمة سورة البقرة ، والكواثر .

قلت : أما الفاتحة فأخرج البيهقي في الشعب ، من حديث أنس مرفوعاً : إن الله أعطاني فيما من به على : إني أعطيتك فاتحة الكتاب وهي من كنوز عرشي .

وأخرج الحاكم عن معقل بن يسار مرفوعاً : « أُعْطِيَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقْرَةِ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ » .

وأخرج ابن راهويه في مسنده عن عليّ ، أنه سئل عن فاتحة الكتاب فقال : حدّثنا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أنها نزلت من كنز تحت العرش .

وأما آخر البقرة فأخرج الدررانيّ في مسنده ، عن أبيغ الكلاعيّ ، قال : قال رجل : يا رسول الله ، أئى آية تحبّ أن تصيبك وأمتك ؟ قال : « آخر سورة البقرة ، فإنها من كنز الرحمة من تحت عرش الله » .

وأخرج أحمد وغيره من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ مَرْفُوعاً : « اقْرءُوا هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ فَإِن رُبِّيَ أُعْطَانِيهِمَا مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ » .

وأخرج من حديث حذيفة : « أُعْطِيَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقْرَةِ مِنْ كَنْزِ تَحْتِ الْعَرْشِ لَمْ يُعْطَاهَا نَبِيٌّ قَبْلِي » .

وأخرج من حديث أبي ذرّ : « أُعْطِيَتْ خَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقْرَةِ مِنْ كَنْزِ تَحْتِ الْعَرْشِ لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي » .

وله طرق كثيرة عن عمرو وعليّ وابن مسعود وغيرهم .

وأما آية الكرسيّ فتقدمت في حديث معقل بن يسار السابق .

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ آية الكرسيّ ضحك ، وقال : « إنها من كنز الرحمن تحت العرش » .

وأخرج أبو عبيد ، عن عليّ قال : « آية الكرسيّ أُعْطِيَتْهَا نَبِيُّكُمْ مِنْ كَنْزِ تَحْتِ الْعَرْشِ ، وَلَمْ يُعْطَاهَا أَحَدٌ قَبْلَ نَبِيِّكُمْ » .

وأما سورة كوثر فلم أقف فيها على حديث ، وقول أبي أمامة في ذلك يجري مجرى المرفوع ، وقد أخرجه أبو الشيخ بن حبان والديلمي وغيرهما من طريق محمد بن عبد الملك الدقيقي عن يزيد بن هارون ، بإسناده السابق عن أبي أمامة مرفوعاً .

التَّوَعُّعُ الحَامِسُ عَشِير
مَا أُنزِلَ مِنْهُ عَلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ
وَمَا لَمْ يُنَزَلْ مِنْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

من الثانی الفاتحة وآية الكرسي وخاتمة البقرة ، كما تقدم في الأحاديث قريباً
وروى مسلم عن ابن عباس: أتى النبي صلى الله عليه وسلم ملك، فقال: «أبشِرْ بنورين
قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة» .

وأخرج الطبراني عن عُقبة بن عامر ، قال : ترددوا في الآيتين من آخر سورة
البقرة : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ ... ﴾ ^(١) إلى خاتمها ، فإن الله اصطفى بها محمداً .

وأخرج أبو عبيد في فضائله عن كعب قال : إن محمداً صلى الله عليه وسلم أُعْطِيَ
أربع آيات لم يُعْطَهُنَّ موسى ، وإن موسى أُعْطِيَ آية لم يعطها محمد . قال : والآيات التي
أعطيت محمد : ﴿ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... ﴾ ^(٢) حتى ختم البقرة ، فتلك
ثلاث آيات ، وآية الكرسي . والآية التي أُعْطِيهَا موسى : « اللهم لانولج الشيطان في قلوبنا
وخلصنا منه ، من أجل أن لك الملكوت والأيد والسلطان والملك والحمد والأرض والسماء ،
الدهر الدهر ، أبداً أبداً آمين آمين » .

وأخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس ، قال : السبع الطوال لم يعطهن أحد إلا
النبي صلى الله عليه وسلم ، وأُعْطِيَ موسى منها اثنتين .

وأخرج الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً : « أُعْطِيَتْ أمتي شيئاً لم يعطه أحد من الأمم »
عند المصيبة ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ^(٣) .

ومن أمثلة الأول، ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس، قال: لما نزلت سبح اسم ربك الأعلى، قال صلى الله عليه وسلم: «كلها في صحف إبراهيم وموسى»، فلما نزلت: ﴿والنجم إذا هوى﴾ فبلغ ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ قال: ﴿وفى أن لا تزوروا زرة وزراً أخرى﴾ إلى قوله: ﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾ (۱).

وقال سميد بن منصور: حدثنا خالد بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى.

وأخرجه ابن أبي حاتم بلفظ: «نسخ من صحف إبراهيم وموسى».

وأخرج عن السدي قال: إن هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى مثل ما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال الفريابي: نبأنا سفيان، عن أبيه، عن عكرمة: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى﴾ قال: هؤلاء الآيات.

وأخرج الحاكم، من طريق القاسم، عن أبي أمامة، قال: أنزل الله على إبراهيم مما أنزل على محمد: ﴿التائبون العابدون﴾ إلى قوله: ﴿وبشر المؤمنين﴾ (۲) و ﴿قد أفصح﴾ المؤمنين﴾ إلى قوله: ﴿فيها خالدون﴾ (۳) و ﴿إن المسلمين والمسلمات...﴾ (۴) الآية، والتي في سأل: ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ إلى قوله: ﴿قائمون﴾ (۵) فلم يف بهذه السهام إلا إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم.

وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال إنه - يعني - النبي صلى الله عليه وسلم الموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿بأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ (۶)، وحرزاً للأميين... الحديث.

(۲) سورة التوبة ۱۱۲

(۴) سورة الأحزاب ۳۵

(۶) سورة الأحزاب ۴۵

(۸) - الإتيان ج (۱)

(۱) سورة النجم ۱ - ۵۶

(۳) سورة المؤمن ۱ - ۱۱

(۵) سورة العارج ۲۳ - ۳۳

وأخرج ابن الصّريّس وغيره ، عن كعب ، قال : فتحت التوراة ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ، ﴿ (١) وَخَتَمْتُ بِ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا ﴾ ﴿ (٢) .

وأخرج أيضا عنه ، قال : فاتحة التوراة فاتحة الأنعام : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ ﴿ (٣) ، وخاتمة التوراة خاتمة هود : ﴿ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ (٤) .

وأخرج من وجه آخر عنه قال : أوّل ما أنزل في التوراة عشر آيات من سورة الأنعام : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ ... ﴾ ﴿ (٥) إِلَى آخِرِهَا .

وأخرج أبو عبيد عنه ، قال : أوّل ما أنزل الله في التوراة عشر آيات من سورة الأنعام : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ ... ﴾ ﴿ الآيات . قال بعضهم : يعنى أنّ هذه الآيات اشتملت على الآيات العشر التي كتبها الله لموسى في التوراة أوّل ما كتب ، وهي : توحيد الله ، والنهي عن الشرك ، واليمين الكاذبة ، والعقوق ، والقتل ، والزنا ، والسرقه ، والزور ، ومدّة العين إلى ما في يد الغير ، والأمر بتعظيم السبت

وأخرج الدارقطني من حديث بريدة ، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لأعلمنك آية لم تنزل على نبيّ بعد سليمان غيري : بسم الله الرحمن الرحيم » .

وروى البيهقي عن ابن عباس ، قال : أغفل الناس آية من كتاب الله لم تنزل على أحدٍ قبل النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن يكون سليمان بن داود : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وأخرج الحاكم عن ابن ميسرة ، أنّ هذه الآية مكتوبة في التوراة بسبعمئة

(٢) سورة الإسراء ١١١

(٤) سورة هود ١٢٣

(١) سورة الأنعام

(٣) سورة الأنعام

(٥) سورة الأنعام ١٥١

آية : ﴿ يَسْبَحُ لَكَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
أول سورة الجمعة .

* * *

فائدة

يدخل في هذا النوع ما أخرجه ابن أبي حاتم ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال :
البرهان الذي أرى يوسف ثلاث آيات من كتاب الله : ﴿ وإن عليكم الحافظين * كراماً
كاتبين * يعلمون ما تفلحون ﴾ (١) وقوله : ﴿ وما تكون في شأن وما تتأول منه من
قرآن ... ﴾ (٢) الآية ، وقوله : ﴿ آمن هو قائم على كل نفس بما كذبت ... ﴾ (٣) زاد غيره
آية أخرى : ﴿ ولا تقربوا الزنى ﴾ (٤) .

وأخرج ابن أبي حاتم أيضاً ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ لو لا أن رأى برهان
ربه ﴾ (٥) قال : رأى آية من كتاب الله نهته ، مثأت له في جدار الخائط .

(٢) سورة يونس ٦١
(٤) سورة الإسراء ٣٢ .

(١) سورة الانطار ١٠ — ١٢
(٣) سورة الرعد ٣٣
(٥) سورة يوسف ٢٤

النوع السادس عشر
في كيفية إنزاله

فيه مسائل :

الأولى :

قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾^(١) ، وقال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾^(٢) .

اختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة أقوال :

أحدها ، وهو الأصح الأشهر : أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة البدر جملة واحدة ، ثم نزل بعد ذلك منجماً في عشرين سنة ، وثلاثة وعشرين ، أو خمسة وعشرين ؛ على حسب الخلاف في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعثة .

وأخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما من طريق منصور عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، وكان بمواقع النجوم ، وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في أثر بعض .

وأخرج الحاكم والبيهقي أيضاً والنسائي من طريق داود بن أبي هند ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : أنزل القرآن في ليلة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة ، ثم قرأ : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾^(٣) ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ لِلنَّاسِ عَلَى مُكْتٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾^(٤) .

الناس

(٢) سورة القدر

(٤) سورة الإسراء ١٠٦

(١) سورة البقرة ١٨٥

(٣) سورة الفرقان ٣٣

وأخرجه ابن أبي حاتم من هذا الوجه وفي آخره : فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً أحدث الله لهم جواباً .

وأخرج الحاكم وابن أبي شيبة من طريق حسان بن حريث ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : فُصِّلَ القرآن من الذكر ، فوضع في بيت العزّة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم . أسانيدُها كلها صحيحة .

وأخرج الطبراني من وجه آخر عن ابن عباس ، قال أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى سماء الدنيا جملة واحدة ، ثم أنزل نجوماً ^(١) . إسناده لا بأس به .

وأخرج الطبراني والبرزاز من وجه آخر عنه ، قال : أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزّة في السماء الدنيا ، ونزله جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بجواب كلام العباد وأعمالهم .

وأخرج ابن أبي شيبة في فضائل القرآن من وجه آخر عنه : دفع إلى جبريل في ليلة القدر جملة واحدة ، فوضعه في بيت العزّة ، ثم جعل ينزله تنزيلاً .

وأخرج ابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق السدي ، عن محمد ، عن ابن أبي الجالد ، عن مقسم ، عن ابن عباس أنه سأل عطية بن الأسود فقال : أوقع في قلمي الشك قوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ وقوله : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ، وهذا نزل في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي الحرّم وصرّ في شهر ربيع ، فقال ابن عباس : إنه أنزل في رمضان ليلة القدر جملة واحدة ، ثم أنزل على مواقع النجوم رسلاً في الشهور والأيام .

قال أبو شامة : قوله : «رَسَلًا» أي رفقاً ، وعلى موقع النجوم ، أي على مثل مساقطها ،

يريد : أنزل مفرداً يتلو بهضه بعضاً ، على تؤدة ورفق (۱) .

القول الثاني : أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ، في كل ليلة ما يقدر الله إنزاله في كل السنة ، ثم نزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة . وهذا القول ذكره الإمام نجر الدين الرازي بحثاً ، فقال : يحتمل أنه كان ينزل في كل ليلة قدر ما يحتاج الناس إلى إنزاله إلى مثلها من اللوح إلى السماء الدنيا . ثم توقف ، هل هذا أولى أو الأول ! .

قال ابن كثير : وهذا الذي جعله احتمالاً نقله القرطبي عن مقاتل بن حيان ، وحكى الإجماع على أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا . قلت : وتمن قال بقول مقاتل الحلبي والماوردي ويوافق قول ابن شهاب : آخر القرآن عهداً بالعرش آية الدين .

القول الثالث : أنه ابتدئ . إنزاله في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة ، من سائر الأوقات ، وبه قال الشعبي .

قال ابن حجر في شرح البخاري : والأول هو الصحيح المعتمد . قال : وقد حكي الماوردي قولاً رابعاً ؛ إنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة ، وأن الحفظه نجمته على جبريل في عشرين ليلة ، وأن جبريل نجمه على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة . وهذا أيضاً غريب ، والمعتمد أن جبريل كان يمارضه في رمضان بما ينزل به عليه في طول السنة . وقال أبو شامة : كأن صاحب هذا القول أراد الجمع بين القولين : الأول والثاني .

قلت : هذا الذي حكاه الماوردي أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة

(۱ - ۱) كذا في الأصل ، وفي ط : « أنزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة ، ثم أنزل على ما وقع مفرداً يتلو بهضه بعضاً ، على تؤدة ورفق »

الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجّمته السّفرة على جبريل عشرين ليلة ، ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة .

تنبيهات

الأول : قيل السرّي إنزاله جملة إلى السماء ، تفخيم أمره وأمر من نزل عليه ، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أنّ هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرّسل لأشرف الأمم ، قد قرّبناه إليهم لننزله عليهم ، ولولا أنّ الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجّماً بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة ، كسائر الكتب المنزلة قبله ، ولكن الله باين بينه وبينها ، فجعل له الأمرين : إنزاله جملة ، ثم إنزاله مفرقاً ؛ تشریفاً للمنزل عليه . ذكر ذلك أبو شامة في المرشد الوجيز .

وقال الحكيم الترمذی : أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا تسليماً منه للأمة ما كان أبرز لهم من الحظّ بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنّ بعثته (١) كانت رحمة ، فلما خرجت الرحمة بفتح الباب جاءت بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ، فوضع القرآن بيت العزة في السماء الدنيا ليدخل في حدّ الدنيا ، ووضعت النبوة في قلب محمد ، وجاء جبريل بالرسالة ثم الوحي ، كأنّه أراد تعالى ان يسلم هذه الرحمة التي كانت حظّ هذه الأمة من الله إلى الأمة .

وقال السّخاوی في جمال القراء : في نزوله إلى السماء جملة ، تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة ، وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم ، ولهذا المعنى أمر سبعين ألفاً من الملائكة أن تشيّع سورة الأنعام ، وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل بإملائه على السّفرة الكرام وإنساخهم إياه وتلاوتهم له . قال : وفيه أيضاً التسوية بين نبيينا صلى الله عليه وسلم وبين موسى عليه السلام في إنزاله كتابه جملة ، والتفضيل لمحمد في إنزاله عليه منجّماً ليحفظه .

(١) ط : « بعثه محمد صلى الله عليه وسلم »

قال أبو شامة : فإن قلت فقولہ تعالیٰ : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ من جملة القرآن الذي نزل جملة أم لا ؟ فإن لم يكن منه ، فما نزل جملة ؟ وإن كان منه فما وجه صحة هذه العبارة ؟ .

قلت : له وجهان : أحدهما أن يكون معنى الكلام إنا حكمنا بإنزاله في ليلة القدر ، وقضينا ، وقدرناه في الأزل ، والثاني أن نلفظه لفظ الماضي ومعناه الاستقبال ، أي ننزله جملة في ليلة القدر . انتهى .

الثاني : قال أبو شامة أيضا : الظاهر أن نزوله جملة إلى السماء الدنيا قبل ظهور نبوته صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحتمل أن يكون بعدها .

قلت : الظاهر هو الثاني ، وسيأتي الآثار السابقة عن ابن عباس صريح فيه .

وقال ابن حجر في شرح البخاري : قد أخرج أحمد والبيهقي في الشعب عن واثلة بن الأسقع ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل ثلاث عشرة خات منه ، والزبور ثمان عشرة خات منه ، والقرآن لأربع وعشرين خات منه » . وفي رواية : « وصحف إبراهيم لأول ليلة » قال : وهذا الحديث مطابق لقوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ ولقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ . فيحتمل أن يكون ليلة القدر في تلك السنة كانت تلك الليلة ، فأنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا ، ثم أنزل في اليوم الرابع والعشرين إلى الأرض أول « اقرأ بسم ربك » .

قلت : لكن يشكك على هذا ما اشتهر من أنه صلى الله عليه وسلم بعث في شهر ربيع : ويحاجب عن هذا بما ذكره أنه نبي أولاً بالرويا في شهر مولده ، ثم كانت مدتها ستة أشهر ، ثم أوحى إليه في اليقظة . ذكره البيهقي وغيره .

نعم يشكك على الحديث السابق ما أخرجه ابن أبي شيبة في فضائل القرآن عن أبي قلابة ، قال : أنزلت الكتب كاملة ليلة أربع وعشرين من رمضان .

الثالث : قال أبو شامة أيضا : فإن قيل ما السر في نزوله منجبا ؟ وهلا نزل كسائر الكتب جملة !

قلنا: هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ ، يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل ، فأجابهم تعالى بقوله : ﴿ كَذَلِكَ - أَمْ أَنْزَلْنَاهُ كَذَلِكَ مَفْرَقًا - لِنُنَبِّئَكَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ ^(١) ، أى لنقوى به قلبك ، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كلِّ حادثة كان أقوى بالقلب ، وأشدَّ عناية بالمرسل إليه ، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز ، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقائه جبريل .

وقيل : معنى « لننبت به فؤادك » أى لنحفظه ، فإنه عليه السلام كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ففرق عليه ليثبت عنده حفظه بخلاف غيره من الأنبياء ، فإنه كان كانيا قارئاً ، فيمكنه حفظ الجميع .

وقال ابن فورك : قيل : أنزلت التوراة جملة ، لأنها نزلت على نبي يكتب ويقرأ ، وهو موسى ، وأنزل الله القرآن مفرقا لأنه أنزل غير مكتوب على نبي أمي .

وقال غيره : إنما لم ينزل جملة واحدة لأن منه الناسخ والمنسوخ ، ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقا ؛ ومنه ما هو جواب لسؤال وما هو إنكار على قول قيل ، أو فعل فعل ؛ وقد تقدم ذلك في قول ابن عباس : ونزله جبريل بجواب كلام العباد وأعمالهم ، وقسره بقوله : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ ^(٢) ، أخرجه عنه ابن أبي حاتم .

فالحاصل أن الآية تضمنت حكمتين لإنزاله مفرقا .

تذويب

ما تقدم في كلام هؤلاء من أن سائر الكتب أنزلت جملة ، هو مشهور في كلام العلماء ، وعلى ألسنتهم ، حتى كاد يكون إجماعاً ، وقد رأيت بعض فضلاء العصر أنكروا ذلك ، وقال : إنه لا دليل عليه ، بل الصواب أنها نزلت مفرقة كالقرآن .

وأقول : الصواب الأول ، ومن الأدلة على ذلك آية الفرقان السابقة .

أخرج ابن أبي حاتم ، من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قالت اليهود : يا أبا القاسم ، لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى ، فنزلت . وأخرجه من وجه آخر عنه بلفظ : « قال المشركون » ، وأخرج نحوه عن قتادة والسدي .

فإن قلت : ليس في القرآن التصريح بذلك ، وإنما هو على تقدير ثبوته ، قول الكفار !

قلت : سكوته تعالى عن الرد عليهم في ذلك وعدوله إلى بيان حكمته دليل على صحته ، ولو كانت الكتب كلها نزلت مفرقة لكان يكفي في الرد عليهم أن يقول : إن ذلك سنة الله في الكتب التي أنزلها على الرسل السابقة ، كما أجاب بمثل ذلك قولهم : ﴿ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولِ يَا كُلِّ الطَّعَامِ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ ^(١) وقولهم : ﴿ أبعث الله بشراً رسولا ﴾ ^(٢) ، فقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالاً نوحى إليهم ﴾ ^(٣) وقولهم : كيف يكون رسولا ولا هم له إلا النساء ! فقال : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً... ﴾ ^(٤) إلى غير ذلك .

ومن الأدلة على ذلك أيضا قوله تعالى في إنزال التوراة على موسى يوم الصعقة : ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ موعظة

(٢) سورة الاسراء ٩٤

(٤) سورة الرعد ٣٨

(١) سورة الفرقان ٧

(٣) سورة يوسف ١٠٩

وتفصيلاً لكلّ شيء أخذها بقوة^(١) ، ﴿وَالَّتِي الْأَلْوَابِحُ﴾^(٢) ، ﴿وَأَسَاكْتَ عَنْ مُوسَى
الْفِضْبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي نَسْخَتِهَا هَدَى وَرَحْمَةً﴾^(٣) ﴿وَإِذْ تَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ
وَوَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾^(٤) ؛ فهذه الآيات كلها دالة على إتيانه
التوراة جملة .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : أعطى موسى
التوراة في سبعة ألواح من زبرجد ، فيها تبليان لكلّ شيء ، وموعظة ، فلما جاء بها فرأى
بنى إسرائيل عكوفاً على عبادة العجل رمى بالتوراة من يده فتحطمت ، فرجع الله منها
سنة أسباع وبقي منها سبع .

وأخرج من طريق جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده ، رفعه ، قال : الألواح التي
أنزلت على موسى كانت من سِدْرِ الْجَنَّةِ ، كان طول اللوح اثني عشر ذراعاً .

وأخرج النسائي وغيره عن ابن عباس ، في حديث الفتون ، قال : أخذ موسى
الألواح بعد ما سكت عنه الفضب ، فأمرهم بالذي أمر الله أن يبلّغهم من الوظائف ،
فقلقت عليهم ، وأبوا أن يقرؤاها حتى نتق الله عليهم الجبل كأنه ظلّة ، ودنا منهم
حتى خافوا أن يقع عليهم ، فأقرؤاها .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن ثابت بن الحجاج ، قال : جاءتهم التوراة جملة واحدة ،
فكبر عليهم ، فأبوا أن يأخذوه حتى ظلم الله عليهم الجبل ، فأخذوه عند ذلك .

فهذه آثار صحيحة صريحة في إنزال التوراة جملة . ويؤخذ من الأثر الأخير منها
حكمة أخرى لإنزال القرآن مفزقاً ، فإنه أدعى إلى قبوله إذا نزل على التدرج ؛ بخلاف
ما لو نزل جملة واحدة ، فإنه كان ينفر من قبوله كثير من الناس ، لكثرة ما فيه من
الفرائض والناهي .

(٢) سورة الأعراف ١٠٥

(٤) سورة الأعراف ١٧١

(١) سورة الأعراف ١٤٤ ، ١٤٥

(٣) سورة الأعراف ١٥٤

ويوضح ذلك ما أخرجه البخاري عن عائشة ، قالت : إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء : « لا تشربوا الخمر » لقالوا : لاندع الخمر أبداً ، ولو نزل : « لا تزنوا » لقالوا : لاندع الزنا أبداً . ثم رأيت هذه الحكمة مصرحاً بها في النسخ والنسخ لمكي .

فرع

الذي استقرئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشراً وأكثر وأقل ؛ وقد صحّ نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة ، وصحّ نزول عشر آيات من أول المؤمنين جملة ، وصحّ نزول : ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ ^(١) وحدها ؛ وهي بعض آية ، وكذا قوله : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً... ﴾ ^(٢) إلى آخر الآية ، نزلت بعد نزول أول الآية كالحرّ رناه في أسباب النزول وذلك بعض آية .

وأخرج ابن أخته في كتاب المصاحف عن عكرمة في قوله : ﴿ بمواقع ﴾ ^(٣) قال : أنزل الله القرآن نجوماً ثلاث آيات ، وأربع آيات ، وخمس آيات .

وقال النسكراوي في كتاب الوقف : كان القرآن ينزل مفرقاً الآية والآيتين والثلاث والأربع ، وأكثر من ذلك .

وأخرجه ابن عساكر من طريق أبي نضرة قال : كان أبو سعيد الخدري يعلمنا القرآن خمس آيات بالعدة وخمس آيات بالعشى ، ويخبران جبريل نزل بالقرآن خمس آيات ، وخمس آيات .

وأما ما أخرجه البيهقي في الشعب من طريق أبي خَلْدَةَ ، عن عمر ، قال : تعلموا القرآن

خمس آيات خمس آيات ، فإن جبريل ، كان ينزل بالقرآن على النبي صلى الله عليه وسلم خمساً خمساً . ومن طريق ضعيف عن علي قال : أنزل القرآن خمساً خمساً إلى سورة الأنعام ، ومن حفظ خمساً خمساً لم يذسه .

فالجواب ، أن معناه - إن صح - إلقاؤه إلى النبي صلى الله عليه وسلم هذا القدر حتى يحفظه ، ثم ياتي إليه الباقي لا أنزله بهذا القدر خاصة ، ويوضح ذلك ما أخرجه البيهقي أيضاً ، عن خالد بن دينار ، قال : قال لنا أبو العالية : تعلموا القرآن خمس آيات ، خمس آيات ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذه من جبريل خمساً خمساً .

* * *

المسئلة الثانية : في كيفية الإنزال والوحي :

قال الأصفهاني في أوائل تفسيره : اتفق أهل السنة والجماعة على أن كلام الله منزل . واختلفوا في معنى الإنزال ، فمنهم من قال : إظهار القراءة ، ومنهم من قال : إن الله تعالى ألهم كلامه جبريل وهو في السماء وهو عال من المكان وعلمه قراءته ، ثم جبريل آذاه في الأرض وهو يهبط في المكان . وفي التنزيل طريقتان : أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية ، وأخذه من جبريل . والثاني أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه ، والأول أصعب الخالين . انتهى .

وقال الطيبي : لعل نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم أن يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفاً روحانياً ، أو يحفظه من اللوح المحفوظ ، فينزل به إلى الرسول ويلقيه عليه .

وقال القطب الرازي في حواشي الكشاف : الإنزال لغة بمعنى الإيواء ، وبمعنى تحريك الشيء من علو إلى أسفل ، وكلاهما لا يتحققان في الكلام ، فهو مستعمل فيه

في معنى مجازي ، فمن قال : القرآن معنى قائم بذات الله تعالى ، فإنزله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ويثبتها في اللوح المحفوظ . ومن قال : القرآن هو الألفاظ ، فإنزله مجرد إثباته في اللوح ، وهذا المعنى مناسب لكونه منقولاً عن المعنيين اللغويين . ويمكن أن يكون المراد بإنزله إثباته في السماء الدنيا بعد الإثبات في اللوح المحفوظ ، وهذا مناسب للمعنى الثاني ، والمراد بإنزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقفاً روحياً أو يحفظها من اللوح المحفوظ ، وينزل بها فيلقمها انتهى .

وقال غيره : في المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه اللفظ والمعنى ، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به . وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ ؛ كل حرف منها بقدر جيل قاف ، وأن تحت كل حرف منها معانٍ لا يحيط بها إلا الله .

والثاني : أن جبريل إنما نزل بالمعاني خاصة ، وأنه صلى الله عليه وسلم علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب ، وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى : ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ (١)

والثالث : أن جبريل أتى إليه المعنى ، وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب ، وأن أهل السماء يقرءونه بالعربية ، ثم إنه نزل به كذلك بعد ذلك .

وقال البيهقي في معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ : يريد - والله أعلم - إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع ، فيكون الملك منتقلاً به من علو إلى أسفل . قال أبو شامة : هذا المعنى مطرد في جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن أو إلى شيء منه يحتاج إليه أهل السنة المعتقدون قدم القرآن وأنه صفة قائمة بذات الله تعالى .

قلت : ويؤيد أن جبريل تلقفه سماعاً من الله تعالى ما أخرجه الطبراني من حديث النّوّاس ابن سميان مرفوعاً : إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله ، فإذا

سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخرُّوا سجِّدًا، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد، فينتهى به على الملائكة، فكلمًا مرَّ بساء سألها أهلها: ماذا قال ربنا؟ قال: الحق، فينتهى به حيث أمر».

وأخرج ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصّفوان، فيفزعون ويرون أنه من أمر الساعة». وأصل الحديث في الصحيح.

وفي تفسير علي بن سهل النيسابورى: قال جماعة من العلماء: نزل القرآن جملةً في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت يقال له بيت العزّة، فحفظه جبريل، وغشى على أهل السموات من هيبة كلام الله، فرّ بهم جبريل، وقد أفاقوا، فقالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق - يعنى القرآن - وهو معنى قوله: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ (١) فأتى به جبريل إلى بيت العزّة، فأمله على السّفرة الكتبة - يعنى الملائكة - وهو معنى قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (٢).

وقال: الجوينى: كلام الله المنزّل قسمان: قسم قال لجبريل: قل للنبي الذي أنت مرسل إليه: إن الله يقول: افعل كذا وكذا، ففهم جبريل ما قاله ربه، ثم نزل على ذلك النبي وقال له ما قاله ربه، ولم تكن العبارة تلك العبارة كما يقول الملك لمن يتق به: قل لفلان: يقول لك الملك: اجتهد في الخدمة، واجمع جنك للقتال، فإن قال الرسول: يقول الملك لاتباهون في خدمتي ولا تترك الجند تتفرّق، وحشّمهم على المقاتلة، لا ينسب إلى كذب ولا تقصير في أداء الرسالة. وقسم آخر قال الله لجبريل: اقرأ على النبي هذا الكتاب، فنزل جبريل بكلمة من الله من غير تغيير، كما يكتب الملك كتابا ويسلمه إلى أمين، ويقول: اقرأه على فلان، فهو لا يغيّر منه كلمة ولا حرفا. انتهى.

قلت: القرآن هو القسم الثاني، والقسم الأول هو السنة، كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن. ومن هنا جازرواية السنة بالمعنى، لأن جبريل أداه بالمعنى، ولم تجز القراءة بالمعنى، لأن جبريل أداه باللفظ، ولم يتح له إيماءه بالمعنى، والسر في ذلك أن المقصود منه التعبد بلفظه والإعجاز به، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه، وإن تحت كل حرف منه معاني لا يحاط بها كثرة، فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه، والتخفيف على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين: قسم يروونه بلفظه الموحى به، وقسم يروونه بالمعنى؛ ولو حمل كله مما يروى باللفظ لشق، أو بالمعنى لم يؤمن التبديل والتحرير، فتأمل.

وقد رأيت عن السلف ما يعضد كلام الجويني.

وأخرج ابن أبي حاتم، من طريق عقييل عن الزهري، أنه سُئِلَ عن الوحي فقال: الوحي ما يوحى الله إلى نبي من الأنبياء فيثبته في قلبه، فيتكلم به ويكتبه، وهو كلام الله، ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لأحد، ولا يأمر بكتابته؛ ولكنه يحدث به الناس حديثاً، ويبين لهم أن الله أمره أن يبدينه للناس ويأمنهم إياه.

فصل

وقد ذكر العلماء للوحي كيفية:

إحداها أن يأتيه الملك في مثل صلصة الجرس كما في الصحيح. وفي مسند أحمد عن عبد الله بن عمر، سألت النبي صلى الله عليه وسلم: هل تحس بالوحي؟ فقال: «أسمع صلاصلا ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تقبض». قال الخطابي: والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يبين له أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد. وقيل: هو صوت خفق أجنحة الملك، والحكمة في تقدمه أن يقرع سمعه الوحي، فلا يبقى فيه مكانا لغيره. وفي الصحيح أن هذه الحالة أشد حالات الوحي عليه، وقيل: إنه إنما كان ينزل هكذا إذ نزلت آية وعيد وتهديد.

الثانية: أن ينفث في رُوعه الكلام نفثاً، كما قال صلى الله عليه وسلم: «إن رُوح القدس نفث في رُوعي». أخرجه الحاكم. وهذا قد يرجع إلى الحالة الأولى أو التي بعدها، بأن يأتيه في إحدى الكيفيتين وينفث في رُوعه.

الثالثة: أن يأتيه في صورة الرجل فيكلمه، كما في الصحيح: «وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»، زاد أبو عوانة في صحيحه: «وهو أهونه علي».

الرابعة: أن يأتيه الملك في النوم، وعَدَّ من هذا قوم سورة الكوثر، وقد تقدم ما فيه.

الخامسة: أن يكلمه الله إماماً في اليقظة كما في ليلة الإسراء، أو في النوم، كما في حديث معاذ: «أتاني ربي فقال: فيم يختصم الملائ الأعلی...» الحديث. وليس في القرآن من هذا النوع شيء، فيما أعلم؛ نعم يمكن أن يُعدَّ منه آخر سورة البقرة لما تقدم، وبعض سورة الضحى، وألم نشرح؛ فقد أخرج ابن أبي حاتم من حديث عدی بن ثابت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سألت ربي مسألة؛ وددت أني لم أكن سألته؛ قلت: أي رب، اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليماً، فقال: يا محمد، ألم أجذك بيتاً فأويت، وضالاً فهديت، وعائلاً فأغنيت، وشرحت لك صدرك، وحططت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، فلا أذكر إلا ذكرت معي!».

فائدة

أخرج الإمام أحمد في تاريخه من طريق داود بن أبي هند، عن الشعبي، قال: أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل، فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة.

قال ابن عسکر: والحكمة في توكيل إسرافيل أنه الموكَّل بالصُّور الذي فيه هلاك الخلق وقيام الساعة، ونبوته صلى الله عليه وسلم مؤذنة بقرب الساعة وانقطاع الوحي، (٩ — الإتيان ج ١)

كما وكمل بنى القرنين رَيا فيل الذى يطوى الأرض بخالد بن سنان مالك جازن النار .
وأخرج ابن أبى حاتم ، عن ابن سابط ، قال : « فى أم الكتاب كل شىء هو كائن
إلى يوم القيامة فوكل ثلاثة بحفظه ^(١) من الملائكة ، فوكل جبريل بالكتب
والوحى إلى الأنبياء وبالنصر عند الحروب وبالمهلكات إذا أراد الله أن يهلك قومًا ،
ووكل ميكائيل بالقطر والنبات ، ووكل ملك الموت بقبض الأنفس ؛ فإذا كان يوم القيامة
عارضوا بين حفظهم وبين ما كان فى أم الكتاب فيجدونه سواء » .
وأخرج أيضا عن عطاء بن السائب ، قال : أول ما يحاسب جبريل ، لأنه كان أمين
الله على رسله .

فائدة ثانية

أخرج الحاكم والبيهقى عن زيد بن ثابت ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
أنزل القرآن بالتفخيم كهيئته ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ ^(٢) ، ﴿الْصَّادِقِينَ﴾ ^(٣) ، ﴿وَأَلَّاهِ الْخَلْقُ
وَالْأَمْرُ﴾ ^(٤) ، وأشبهه هذا . قلت : أخرجه ابن الأنبارى فى كتاب الوقف والابتداء ؛ فبين
أن المرفوع منه أنزل القرآن بالتفخيم فقط ، وأن الباقي مدرج من كلام عمار بن عبد
الملك أحد رواة الحديث ^(٥) .

فائدة أخرى

أخرج ابن أبى حاتم ، عن سفیان الثورى ، قال : لم ينزل وحى إلا بالعربية ، ثم ترجم
كل نبي لقومه .

فائدة أخرى

أخرج ابن سعد عن عائشة ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل

(٢) سورة المرسلات ٦

(٣) سورة الكهف ٩٦

(٤) سورة الأعراف ٤٤

(٥) عمار بن عبد الملك ، ذكره ابن حجر فى لسان الميزان ٤ : ٢٧٢ ، وقال : « عن بقية ، أنى

بالمعجب ، وقال الأزدي : « متروك الحديث » .

عليه الوحي يغط في رأسه، ويتزبد وجهه، ويجذب رداء في تناباه، ويمرق حتى يتحدّر منه مثل الجمان.

* * *

المسئلة الثالثة : في الأحرف السبعة التي نزل القرآن عليها .

قلت: ورد حديث « نزل القرآن على سبعة أحرف » من رواية جمع من الصحابة :
أبي بن كعب، وأنس، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسمرّة بن جندب، وسليمان
ابن صرّد، وابن عباس، وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان،
وعمر بن الخطاب، وعمرو بن أبي سلمة؛ وعمرو بن العاص؛ ومعاذ بن جبل؛ وهشام
ابن حكيم، وأبي بكر، وأبي جهنم، وأبي سعيد الخدري، وأبي طلحة الأنصاري،
وأبي هريرة، وأم أيوب. فهؤلاء أحد وعشرون صحابياً، وقد نص أبو عبيد على تواتره .

وأخرج أبو يعلى في مسنده، أن عثمان قال على المنبر: أذكر الله رجلاً سمع النبي صلى
الله عليه وسلم قال: « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف » لَمَّا قام، فقاموا حتى
لم يُحصوا، فشهدوا بذلك، فقال: وأنا أشهد معهم .

* * *

[اختلاف الأقوال في نزول القرآن على سبعة أحرف]

وسأسوق من رواهم ما يحتاج إليه فأقول : اختلف في معنى هذا الحديث على
نحو أربعين قولاً :

أحدها : أنه من المشكل الذي لا يدري معناه، لأن الحرف يصدق لفة على حرف
الهجاء، وعلى الكلمة، وعلى المعنى، وعلى الجهة . قاله ابن سعدان النحوي .

الثاني : أنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، بل المراد التيسير والتسهيل والسعة
ولفظ « السبعة » يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد، كما يطلق السبعون في العشرات
والسبعائة في المئين، ولا يراد العدد المعين . وإلى هذا جنح عياض ومن تبعه . ويردّه مافي
حديث ابن عباس في الصحيحين، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أقراني جبريل على

حرف، فراجته فلم أزل أستزیده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»، وفي حديث أبي عبد مسلم: «إن ربي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرفٍ فرددتُ إليه: أن هوّن على أمّتي، فأرسل إلي: أن أقرأ أعلى حرفين، فرددتُ إليه: أن هوّن على أمّتي، فأرسل إلي أن أقرأه على سبعة أحرف». وفي لفظ عنه عند النسائي: «إن جبريل وميكائيل أتياي، فقعده جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري؛ فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده... حتى بلغ سبعة أحرف»، وفي حديث أبي بكرٍ عنه: «فنظرت إلى ميكائيل فسكت. فعلت أنه قد انتهت العدة». فهذا يدلّ عن إرادة حقيقة العدد وانحصاره.

- الثالث: أن المراد بها سبع قراءات، وتُعقّب بأنه لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا القليل، مثل ﴿عَبْدَ الطَّاعُوتِ﴾^(١)، و﴿فَلَا تَقُلْ لَهَا أَفٍ﴾^(٢).

- [الرابع]: وأجيب بأن المراد أن كل كلمة تقرأ بوجه أو وجهين أو ثلاثة أو أكثر إلى سبعة، وبشكل على هذا أن في الكلمات ما قرئ على أكثر، وهذا يصلح أن يكون قولاً رابعاً.

- الخامس: أن المراد بها الأوجه التي يقع بها التغير؛ ذكره ابن قتيبة قال: فأولها ما يتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل: ﴿وَلَا يَضَارُّكَ أَتَى﴾^(٣) بالفتح والرفع، وثانيها ما يتغير بالفعل مثل ﴿بَاعَدَ﴾ و﴿بَاعَدَ﴾^(٤) بلفظ الماضي والطلب، وثالثها ما يتغير بالنقط مثل ﴿نُدَشِرُهَا﴾^(٥) و﴿نُدَشِرُهَا﴾، ورابعها ما يتغير بإبدال

حرف قريب المخرج مثل ﴿طَلَحَ مَنْضُودٍ﴾ و﴿طَلَعَ﴾^(٦)، وخامسها ما يتغير بالتقديم والتأخير، مثل: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾^(٧) و﴿سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ﴾،

- وسادسها ما يتغير بزيادة أو نقصان مثل: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾^(٨)، و﴿الذَّكَرِ وَالْأُنثَى﴾،

- وسابعها ما يتغير بإبدال كلمة بأخرى، مثل: ﴿كَالْعَيْنِ الْمَنفُوشِ﴾ و﴿كَالْصُوفِ الْمَنفُوشِ﴾^(٩). وتعقب هذا قاسم بن ثابت، بأن الرخصة وقعت، وأكثرهم يومئذ لا يكتب ولا يعرف

(١) سورة المائدة ٦٠، وانظر تفسير القرطبي ٦: ٢٣٥ (٢) سورة الإسراء ٢٣، وانظر تفسير القرطبي ١٠: ٢٤٣ (٣) سورة البقرة ٢٨٢ وانظر تفسير القرطبي ٣: ٤٠٥

(٤) سورة سبأ ١٩، وانظر تفسير القرطبي ١٤: ٢٩١ (٥) سورة البقرة ٢٥٩، وانظر تفسير القرطبي ٣: ٢٩٥ (٦) سورة الواقعة ٢٩، وانظر تفسير القرطبي ١٧: ٢٠٨ (٧) سورة ق ١٩، وانظر تفسير القرطبي ١٧: ١٢

(٧) سورة الليل ٣، وانظر تفسير القرطبي ٢٠: ٨٠ (٩) سورة القارة ٥

الرسم ، وإنما كانوا يعرفون الحروف ومخارجها : ، وأجيب بأنه لا يلزم من ذلك توهين مقاله ابن قتيبة ، لاحتمال أن يكون الانحصار المذكور في ذلك وقع اتفاقاً ، وإنما اطلع عليه بالاستقراء .

[السادس] : وقال أبو الفضل الرازي في اللوائح : الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه في الاختلاف : الأول : اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع ، وتذكير وتأنيث . الثاني : اختلاف تصرف الأفعال من ماض ومضارع وأمر . الثالث : وجوه الأعراب . الرابع : النقص والزيادة . الخامس : التقديم والتأخير . السادس : الإبدال . السابع : اختلاف اللغات كالفتح والإمالة ، والترقيق والتفخيم ، والإدغام والإظهار ونحو ذلك ، وهذا هو القول السادس .

[السابع] : وقال بعضهم : المراد بها كيفية النطق بالتلاوة من إدغام وإظهار وتفخيم وترقيق ، وإمالة وإشباع ، ومد ، وقصر وتشديد وتخفيف وتلين وتحقيق ، وهذا هو القول السابع .

[الثامن] : وقال ابن الجزري : قد تتبعْتُ صحيح القراءة وشاذها وضعيفها ومنكرها فإذا هي يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه ، لا يخرج عنها ، وذلك إما في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة نحو ﴿ بِالْبُخْلِ ﴾ ^(١) بأربعة ويحسب بوجهين ، أو متغير في المعنى فقط ، نحو ﴿ فَنَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ ^(٢) ، وإما في الحروف بتغير المعنى للصورة ، نحو ﴿ تَبَلَّوْا ﴾ ^(٣) و ﴿ تَلَوْا ﴾ ، أو عكس ذلك نحو ، ﴿ الصرَّاطِ ﴾ و ﴿ السَّرَّاطِ ﴾ ^(٤) أو بتغيرهما نحو ﴿ وَأَمْضُوا ﴾ ^(٥) و ﴿ وَأَسْعَوْا ﴾ ، وإما في التقديم والتأخير ، نحو ﴿ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ ^(٦) ، أو في الزيادة والنقصان ، نحو ﴿ وَصَى ﴾ ^(٧) و ﴿ أَوْصَى ﴾ ، فهذه سبعة لا يخرج الاختلاف عنها . قال : وأما نحو اختلاف الإظهار والإدغام والرزو والإشمام والتحقيق والتسهيل والنقل والإبدال فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ أو المعنى ، لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً

(٣) سورة يونس ٣٠

(٢) سورة البقرة ٣٧

(١) سورة النساء ٣٧

(٥) سورة الحجر ٦٥

(٤) سورة الفاتحة ٦

(٦) سورة التوبة ١١١ ، وفي تفسير القرطبي ٨ : ٢٦٨ • قرأ النعمى والأعشى وحزرة والكسائي

(٧) سورة البقرة ١٣٢ وانظر تفسير القرطبي ٢ : ١٣٥ وخلف بتقديم المفعول على الفاعل •

انتهى. وهذا هو القول الثامن. ومن أمثلة التقديم والتأخير قراءة الجمهور ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾^(١)، وقرأ ابن مسعود: ﴿عَلَى قَلْبٍ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾^(٢).

التاسع: أن المراد سبعة أوجه من المعاني المنفقة بألفاظ مختلفة، نحو أقبل، وتعال، وهلم وعجل، وأسرع، وإلى هذا ذهب سفيان بن عيينة وابن جرير وابن وهب وخلائق. ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء، ويدل له ما أخرجه أحمد والطبراني من حديث أبي بكر «أن جبريل قال: يا محمد اقرأ القرآن على حرف، قال ميكائيل: استزده... حتى بلغ سبعة أحرف، قال: كلُّ شافٍ كافٍ، مالم تختم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب، نحو قولك: تعال، وأقبل وهلم وأذهب وأسرع وعجل». هذا اللفظ رواية أحمد، وإسناده جيد. وأخرج أحمد والطبراني أيضا عن ابن مسعود نحوه. وعند أبي داود عن أبي: «قلت: سمعنا عليا عزيزا حكيما، مالم تخاط آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب».

وعند أحمد من حديث أبي هريرة: «أنزل القرآن على سبعة أحرف. عليا حكيما غفورا رحيا» وعنده أيضا من حديث عمر: «أن القرآن كله صواب، مالم تجعل مغفرة عذابا أو عذابا مغفرة» أسانيدها جياد.

قال ابن عبد البر: وإنما أراد بهذا ضرب النثل للحروف التي نزل القرآن عليها، إنها معانٍ متفق مفهومها، مختلف مسموعها، لا يكون في شيء منها معنى وضده، ولا وجه يخالف معنى وجه، خلافاً بينيه وبضاده، كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده. ثم أسند عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ: ﴿كَلِمًا أَوْسَاءَ لَهُمْ مَشُوا فِيهِ﴾^(٣) «مروا فيه، «سعوا فيه»، وكان ابن مسعود يقرأ: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا﴾^(٤)، أمهلونا أخرجونا.

قال الطحاوي: وإنما كان ذلك رخصة، لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة

(٢) انظر النشر ١: ٢٦

(٤) سورة الحديد ١٣

(١) سورة غافر ٣٥

(٣) سورة البقرة ٢٠

بلفظ واحدٍ لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإيقان الحفظ ، ثم نُسِخ بزوال العذر وتيسر الكتابة والحفظ . وكذا قال ابن عبد البرّ والباقلاني وآخرون .

وفي فضائل أبي عبيد من طريق عَوْن بن عبد الله ، أن ابن مسعود أقرأ رجلاً : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقْوِمِ * طَعَامُ الْأَيْمِرِ ﴾ ^(١) فقال الرجل : « طَعَامُ الْيَتِيمِ » فردّها فلم يستقم بها لسانه ، فقال : أُنْطِيعُ أَنْ تَقُولَ : طعام الفاجر؟ قال : نعم ، قال : فافعل .

القول العاشر : إن المراد سبع لغات ، وإلى هذا ذهب أبو عبيد وتعلب الأزهري وآخرون ، واختاره ابن عطية ، وصححه البيهقي في الشعب . وتعمّب بأن لغات العرب أكثر من سبعة ؛ وأجيب بأن المراد أفصحها ، فجاء عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن على سبع لغات ؛ منها خمس بلغة العجز من هوازن . قال : والعجز : سعد بن بكر وجُشَم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف ، وهؤلاء كلهم من هوازن . ويقال لهم : علياهوازن ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب علياهوازن وسُفلي تميم — يعني بني دارم .

وأخرج أبو عبيد من وجه آخر ، عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن بلغة السكيتين : كعب قريش وكعب خزاعة ، قيل ، وكيف ذلك؟ قال : لأنّ الدار واحدة — يعني أنّ خزاعة كانوا جيران قريش فسُهلّت عليهم لغتهم .

وقال أبو حاتم السجستاني : نزل بلغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر ؛ واستنكر ذلك ابن قتيبة وقال : لم ينزل القرآن إلّا بلغة قريش ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ ^(٢) ، فعلى هذا تكون اللغات السبع في بطون قريش ؛ وبذلك جزم أبو علي الأهوازي .

وقال أبو عبيد : ليس المراد أنّ كل كلمة تقرأ على سبع لغات ، بل اللغات السبع مفرقة

فيه ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن وغيرهم . قال : وبعض اللغات أسعد بها من بعض ، وأكثر نصيبا .

وقيل : نزل بلغة مضر خاصة ، لقوله عمر : نزل القرآن بلغة مضر . وعين بعضهم . فيما حكاه - ابن عبد البر السمع من مضر أنهم هذيل وكنانة وقيس وضبة وتيم الرباب وأسد ابن خزيمة وقريش ، فهذه قبائل مضر ، تستوعب سبع لغات .

ونقل أبو شامة عن بعض الشيوخ ، أنه قال : أنزل القرآن أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، ثم أبيع للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب ، ولم يكلف أحد منهم الانتقال عن لفته إلى لغة أخرى المشقة ، ولما كان فيهم من الحمية ، واطلب تسهيل فهم المراد .

وزاد غيره ، أن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي ، بأن يغير كل أحد الكلمة بمرادها في لفته بل المرعى في ذلك السماع من النبي صلى الله عليه وسلم .

واستشكل بعضهم هذا بأنه يلزم عليه أن جبريل كان يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات ! وأجيب بأنه إنما يلزم هذا لو اجتمعت الأحرف السبعة في لفظ واحد ، ونحن قلنا : كان جبريل يأتي في كل عرصة بحرف ، إلى أن تمت سبعة . وبعد هذا كله رد هذا القول بأن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم ، كلاهما قرشي من لغة واحدة وقبيلة واحدة ، وقد اختلف قراءتهما ، ومحال أن ينكر عليه عمر لفته ، فدل على أن المراد بالأحرف السبعة غير اللغات .

القول الحادي عشر : أن المراد سبعة أصناف ، والأحاديث السابقة تردده ، والقائلون به اختلفوا في تعيين ، السبعة : فقيل : أمر ونهي ، وحلال وحرام ، ومحكم ومتشابه ، وأمثال . واحتجوا بما أخرجه الحاكم والبيهقي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف : زاجر وأمر ، وحلال وحرام ، ومحكم ومتشابه ، وأمثال ... » الحديث .

وقد أجاب عنه قوم ، بأنه ليس المراد بالأحرف السبعة التي تقدم ذكرها في الأحاديث

الأخرى ؛ لأنّ سياق تلك الأحاديث يأتى حملها على هذا ، بل هي ظاهرة في أنّ المراد أن الكلمة تقرأ وعلى جهين وثلاثة إلى سبعة ؛ تيسيراً وتسهيلاً ، والشئ الواحد لا يكون حلالاً حراماً في آية واحدة .

قال البيهقي : المراد بالسبعة الأحرف هنا الأنواع التي نزل عليها ، والمراد بها في تلك الأحاديث اللغات التي يُقرأ بها . وقال غيره : من أول الأحرف السبعة بهذا ، فهو فاسد ، لأنّه محال أن يكون الحرف منها حراماً لأمساؤه ، أو حلالاً لأمساؤه ، ولأنّه لا يجوز أن يكون القرآن يُقرأ على أنّه حلال كله ، أو حرام كله ، أو أمثال كله .
وقال ابن عطية : هذا القول ضعيف ؛ لأن الإجماع على أنّ التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا تحليل حرام ، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة .

وقال الماوردي : هذا القول خطأ ، لأنّه صلى الله عليه وسلم أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الجروف وإبدال حرف بحرف ؛ وقد أجمع المسلمون على تحريم إبدال آية أمثال بآية أحكام .

وقال أبو عليّ الأهوازيّ وأبو العلاء الهمدانيّ : قوله في الحديث : « زاجر وآسر » الخ استئناف كلام آخر ، أي هو زاجر ، أي القرآن ، ولم يردّبه تفسير الأحرف السبعة ، وإنما توهم ذلك من جهة الاتفاق في العدد ؛ ويؤيده أن في بعض طرقه زجراً وأمراً ؛ بالنصب ، أي نزل على هذه الصفة في الأبواب السبعة .

وقال أبو شامة : يحتمل أن يكون التفسير المذكور للأبواب ، لالأحرف ، أي هي سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه ، أي أنزله الله على هذه الأصناف ، لم يقتصره منها على صنف واحد كغيره من الكتب .

[الثاني عشر] : وقيل : المراد بها المطلق والمقيد ، والعام والخاص ، والنصّ والمؤوّل ، والناسخ والمنسوخ ، والمجمل والمفسّر ، والاستثناء وأقسامه . حكاشيدلة عن الفقهاء ، وهذا هو القول الثاني عشر .

[الثالث عشر] : وقيل المراد بها : الحذف والصلة ، والتقديم والتأخير ، والاستعارة ،

والتكرار، والسكناية والحقيقة والجاز، والمجمل والمفسر، والظاهر والغريب. حكاة عن أهل اللغة؛ وهذا هو الثالث عشر.

[الرابع عشر]: وقيل: المراد بها التذكير والتأنيث، والشَّرط والجزاء، والتصريف والإعراب، والأقسام وجوابها، والجمع والإفراد، والتصغير والتعظيم، واختلاف الأدوات. حكاة عن النحاة، وهذا هو الرابع عشر.

[الخامس عشر]: وقيل المراد بها سبعة أنواع من المعاملات: الزهد والقناعة مع اليقين والجزم، والخدمة مع الحياء والكرم، والفتوة مع الفقر والمجاهدة والمراقبة مع الخوف والرجاء، والتضرع والاستغفار مع الرضا والشكر، والصبر مع المحاسبة والحجة، والشوق مع المشاهدة؛ حكاة عن الصوفيّة وهذا هو الخامس عشر.

القول السادس عشر: إن المراد بها سبعة علوم: علم الإنشاء والإيجاد، وعلم التوحيد والتنزيه، وعلم صفات الذات، وعلم صفات الفعل، وعلم العفو والعذاب، وعلم الحشر والحساب، وعلم النبوات^(١).

* * *

وقال ابن حجر: ذكر القرطبي عن ابن حبان^(١)، أنه بلغ الاختلاف في الأحرف السبعة إلى خمسة وثلاثين قولاً، ولم يذكر القرطبي منها سوى خمسة، ولم أقف على كلام ابن حبان^(٢) في هذا بعد تدبّعي مظانه.

قلت: قد حكاة ابن النقيب في مقدّمة تفسيره عنه بواسطة الشرف المزيّ المرسيّ. فقال: قال ابن حبان. اختلف أهل العلم في معنى الأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً:

فمنهم من قال: هي زجر وأمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال.

الثاني: حلال وحرام، وأمر ونهي وزجر، وخبر ماهو كائن بعد، وأمثال.

(١) لم يذكر المؤلف سوى هذه الأقوال، وذكر في ض ١٣١ أنها بلغت أربعين...

(٢) هو أبو حاتم محمد بن حبان البستي، كما في تفسير القرطبي ١: ٤٢.

- الثالث : وعد ووعيد ، وحلال وحرام ، ومواعظ وأمثال ، واحتجاج .
- الرابع : أمر ونهى ، وبشارة ونذارة ، وأخبار ، وأمثال .
- الخامس : محكم ومتشابه ، وناسخ ومنسوخ ، وخصوص وعموم ، وقصص .
- السادس : أمر وزجر ، وترغيب وترهيب ، وجدل وقصص ، ومثل .
- السابع : أمر ونهى ، وحد وعلم ، وسر ، وظهر وبطن .
- الثامن : ناسخ ومنسوخ ، ووعد ووعيد ، ورغم وتاديب ، وإنذار .
- التاسع : حلال وحرام ، وافتتاح وأخبار ، وفصائل ، وعقوبات .
- العاشر : أوامر وزواجر وأمثال وأنباء ، وعتب ووعظ وقصص .
- الحادى عشر : حلال وحرام وأمثال ، ومنصوص ، وقصص وإباحات .
- الثانى عشر : ظهر وبطن ، وفرض وندب ، وخصوص وعموم وأمثال .
- الثالث عشر : أمر ونهى ، ووعد ووعيد ، وإباحة ، وإرشاد ، واعتبار .
- الرابع عشر : مقدم ومؤخر ، وفرائض وحدود ، ومواعظ ، ومتشابه ، وأمثال .
- الخامس عشر : مفسر ومجمل ، ومقضى وندب وحتم ، وأمثال .
- السادس عشر : أمر حتم وأمر ندب ، ونهى حتم ونهى ندب ، وأخبار وإباحات .
- السابع عشر : أمر فرض ونهى حتم وأمر ندب ونهى مرشد ، ووعد ووعيد ، وقصص .
- الثامن عشر : سميع جهات لا يعتمد أها الكلام : لفظ خاص أريد به الخاص ، ولفظ عام أريد به العام ، ولفظ عام أريد به الخاص ، ولفظ خاص أريد به العام ، ولفظ يستغنى بتنزيله عن تأويله ، ولفظ لا يعلم فقهه إلا العلماء ، ولفظ لا يعلم معناه إلا الراسخون .
- التاسع عشر : إظهار الربوبية ، وإثبات الوجدانية ، وتعظيم الألوهية ، والتعبد لله ، ومجانبة الإشراك ، والترغيب فى الثواب ، والترهيب من العقاب .

العشرون : سبع لغات ، منها خمس من هوازن ، واثنان لساائر العرب .
الحادى والعشرون : سبع لغات متفرقة لجميع العرب ، كل حرفٍ منها لقبيلة مشهورة .
الثانى والعشرون : سبع لغات ، أربع لعجز هوازن : سعد بن بكر وجُشم بن بكر ونضر بن معاوية ، وثلاث لقريش .

الثالث والعشرون : سبع لغات : لغة قريش ، ولغة لليمن ، ولغة للجُرهم ، ولغة لهوازن ، ولغة لقُضاعة ، ولغة لتميم ، ولغة لطَيّ .

الرابع والعشرون : لغة السكعميين : كعب بن عمرو ، كعب بن لؤى ، ولها سبع لغات .
الخامس والعشرون : اللغات المختلفة لأحياء العرب فى معنى واحد ، مثل همّ وهات وتعال وأقبل .
السادس والعشرون : سبع قرأت لسبعة من الصحابة : أبى بكر ، وعمر وعثمان وعليّ ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبى بن كعب ، رضى الله تعالى عنهم .

السابع والعشرون : همز ، وإمالة ، وفتح وكسر ، وتفخيم ، ومدّ ، وقصر .
الثامن والعشرون : تصريف ومصادر ، وعروض غريب وسجع ، ولغات مختلفة كلّها فى شىء واحد .

التاسع والعشرون : كلمة واحدة تُعرَب بسبعة أوجه ، حتى يكون المعنى واحداً ، وإن اختلف اللفظ فيه .

الثلاثون : أمّهات الهجاء : والألف ، والباء ، الجيم ، الدال ، والراء ، والسين ، والعين .
لأن عليها تدور جوامع كلام العرب

الحادى والثلاثون : أمّهات فى أسماء الربّ ، مثل : الغفور الرحيم ، السميع البصير ،
العليم الحكيم .

الثانى والثلاثون : هى آية فى صفات الذات ، آية تفسيرها فى آية أخرى ، وآية يبيّنها

في السنة الصحيحة ، وآية في قصة الأنبياء والرسل ، وآية في خلق الأشياء ، وآية في وصف الجنة وآية في وصف النار .

الثالث والثلاثون : آية في وصف الصانع ، وآية في إثبات الوجدانية له ، وآية في إثبات صفاته ، وآية في إثبات رسله ، وآية في إثبات كتبه ، وآية في إثبات الإسلام ، وآية في نفي الكفر .

الرابع والثلاثون : سبع جهات من صفات الذات لله التي لا يقع عليها التكيف .
الخامس والثلاثون : الإيمان بالله ، ومباينة الشرك ، وإثبات الأوامر ، ومجانبة الزواجر ، والثبات على الإيمان ، وتحريم ما حرم الله ، وطاعة رسوله .

قال ابن حبان : فهذه خمسة وثلاثون قولاً لأهل العلم واللغة في معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف ، وهي أقاويل يشبه بعضها بعضاً وكلمة محتلمة وتحتل غيرها .
وقال المرسى : هذه الوجوه أكثرها متداخلة ولا أدرى مستندها ولا عن من نقلت ، ولا أدرى لم خص كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر ؛ مع أن كلها موجودة في القرآن ، فلا أدرى معنى التخصيص ! وفيها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة وأكثرها يعارضه حديث عمر مع هشام بن حكيم الذي في الصحيح ، فإنهم لم يختلفوا في تفسيره ولا أحكامه ، إنما اختلفوا في قراءة حروفه ، وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها القراءات السبعة ، وهو جهل قبيح .

* * *

تنبيه

اختلف : هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة ؟ فذهب جماعات من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى ذلك ، وبنوا عليه أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء منها ، وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر ، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك .

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين ، إلى أنها مشتملة على ما يحتمل

رسمها من الأحرف السبعة فقط ، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل ، متضمنة لها لم تترك حرفاً منها .
قال ابن الجزرى : وهذا هو الذى يظهر صوابه .

، ويحاج عن الأول بما ذكره ابن جرير، أن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة؛ وإنما كان جائزاً لهم ومرخصاً لهم فيه، فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف إذا لم يجتمعوا على حرف واحد ، اجتمعوا على ذلك اجتماعاً شائعاً ، وهم معصومون من الضلالة ، ولم يكن فى ذلك ترك واجب ولا فعل حرام ، ولا شك أن القرآن نسخ منه فى العرضة الأخيرة وغيره ، فانفق الصحابة على أن كتبوا ما تحقّقوا أنه قرآن مستقرّ فى العرضة الأخيرة ، وتركوا ما سوى ذلك .

أخرج ابن أشته فى المصاحف وابن أبى شيبة فى فضائله ، من طريق ابن سيرين عن عبيدة السلماني ، قال : القراءة التى عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم فى العام الذى قبض فيه ، هى القراءة التى يقرؤها الناس اليوم .

وأخرج ابن أشته ، عن ابن سيرين ، قال : كان جبريل يعارض النبي صلى الله عليه وسلم كل سنة فى شهر رمضان [مرة] ^(١) ، فلما كان العام الذى قبض فيه عارضه مرتين ، فيرون أن تكون قراءة هذه على العرضة الأخيرة .

وقال البغوى فى شرح السنة : يقال إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التى بين فيها ما نسخ وما بقى ، وكتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرأها عليه ، وكان يقرئ ، الناس بها حتى مات ، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر فى جمعه ، وولاه عثمان كتب المصاحف .

النوع السابع عشر
في معرفة أسمايه وأسماء سوره

قال الجاحظ: سَمِيَ اللهُ كِتَابَهُ اسْمًا مَخَالِفًا لِمَا سَمِيَ الْعَرَبُ كَلَامَهُمْ عَلَى الْجَمَلِ التَّفْصِيلِ . سَمِيَ جَلْتَهُ قِرْآنًا ، كَمَا سَمَوْا دِيْوَانًا ، وَبَعْضُهُ سُورَةٌ كَقَصِيدَةٍ ، وَبَعْضُهَا آيَةٌ كَالْبَيْتِ ، وَآخِرُهَا فَاصِلَةٌ كَقَفَايَةٍ .

وقال أبو المعالي عُرَيْزِيُّ بن عبد الملك المعروف بشَيْذَلَةَ ^(١) في كتاب البرهان: اعلم أن الله سَمِيَ الْقُرْآنَ بِخَمْسَةٍ وَخَمْسِينَ اسْمًا :

سَمَاهُ كِتَابًا وَمُبِينًا فِي قَوْلِهِ : ﴿ حَمِّمُوا * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ ^(٢) .

وَقِرْآنًا وَكَرِيمًا : ﴿ إِنَّهُ الْقُرْآنُ كَرِيمٌ ﴾ ^(٣) .

وَكَلامًا : ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ^(٤) .

وَنورًا : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ ^(٥) .

وَهَدْيًى وَرَحْمَةً : ﴿ هَدْيًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٦) .

وَفِرْقَانًا : ﴿ نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ ^(٧) .

وَشَفَاءً : ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ ﴾ ^(٨) .

وَمَوْعِظَةً : ﴿ قَدْ جَاءَ تَسْكُمُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ ^(٩) .

(١) ط : « سيدلة » بالسین ، تصحيف ، وشيدلة ، ضبطها ضبط ابن خلكان « بفتح الشين والذال واللام » . وقال : « وهو لقب عليه ، ولا أعرف معناه مع كشي عنه » . وعريزي ، ضبطاً أيضاً بفتح العين وزاءين ، وهو ابن عبد الله أحد فقهاء الشافعية وصاحب كتاب البرهان في مشكلات القرآن . توفي سنة ٤٩٤ . واضر ابن خلكان ١ : ٣١٨ ، وشدرات الذهب ٣ : ٤٠١ وكشف الضنون ٢٤١ .

(٢) سورة الواقعة ٧٧

(٢) سورة الدخان ١ ، ٢

(٥) سورة النساء ١٧٤

(٤) سورة التوبة ٦

(٧) سورة الفرقان ١

(٦) سورة يونس ٥٧

(٩) سورة يونس ٥٧

(٨) سورة الإسراء ٨٢

وذكرا ومباركا: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ (١)
 وعلياً: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَنَا لَعَلِيٌّ﴾ (٢) .
 وحكمة: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ (٣) .
 وحكماً: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (٤) .
 ومهيمناً: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (٥) .
 وحجلاً: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ (٦) .
 وصراطاً مستقيماً: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٧) .
 وقيماً: ﴿فِيمَا لِيُنذِرَ بِهِ﴾ (٨) .
 وقولاً وفصلاً: ﴿وَإِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ (٩) .
 ونبأ عظيماً: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عن النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿﴾ (١٠) .
 وأحسن الحديث، ومثاني، ومثابها: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُثَابِهَاً
 مَثَانِي﴾ (١١) .

وتنزيلاً: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٢) .
 وروحاً: ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (١٣) .
 ووحياً: ﴿إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ بِالْوَحْيِ﴾ (١٤) .
 وعربياً: ﴿قِرَآنًا عَرَبِيًّا﴾ (١٥) .
 وبصائر: ﴿هَذَا بَصَائِرُ﴾ (١٦) .

- (٢) سورة الزخرف ٤
 (٤) سورة يونس ٢
 (٦) سورة آل عمران ١٠٣
 (٨) سورة الكهف ٣
 (١٠) سورة النبأ ٢، ١
 (١٢) سورة الشعراء ١٩٢
 (١٤) سورة الأنبياء ٤٥
 (١٦) سورة الأعراف ٢٠٣

- (١) سورة الأنبياء ٥٠
 (٣) سورة القمر ٥
 (٥) سورة المائدة ٤٨
 (٧) سورة الأنعام ١٥٣
 (٩) سورة الطارق ١٣
 (١١) سورة الزمر ٢٣
 (١٣) سورة الشورى ٥٢
 (١٥) سورة يوسف ٢

- وبيانا: ﴿ هَذَا بَيِّنٌ لِّلنَّاسِ ﴾ (١)
- وعلمنا: ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ (٢)
- وحقًا: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ (٣)
- وهديا: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي ﴾ (٤)
- وعجبا: ﴿ قَرَأْنَا عَجَبًا ﴾ (٥)
- وتذكرة: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ ﴾ (٦)
- والعروة الوثقى: ﴿ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ (٧)
- وصدقا: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ (٨)
- وعدلا: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ (٩)
- وأمرًا: ﴿ ذَلِكَ أَمْرٌ اللَّهُ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ﴾ (١٠)
- ومناديا: ﴿ سَمِعْنَا مَنَادًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾ (١١)
- وبشرى: ﴿ هَدَىٰ وَبَشَّرِ ﴾ (١٢)
- ومجيدا: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴾ (١٣)
- وزبورًا: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ﴾ (١٤)
- وبشيرا ونذيرا: ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا
ونذيرا ﴾ (١٥)
- وعزيزا: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ (١٦)

(٢) سورة البقرة ١٤٥	(١) سورة آل عمران ١٣٨
(٤) سورة الاسراء ٩	(٣) سورة آل عمران ٦٢
(٦) سورة الحاقة ٤٨	(٥) سورة الجن ٢١
(٨) سورة الزمر ٣٣	(٧) سورة البقرة ٢٥٦
(١٠) سورة الطلاق ٥	(٩) سورة الأنعام ١١٥
(١٢) سورة البقرة ٩٧	(١١) سورة آل عمران ١٩٣
(١٤) سورة الأنبياء ١٠٥	(١٣) سورة البروج ٢١
(١٦) سورة فصلت ٤١	(١٥) سورة فصلت ٤، ٣

وبلاغا: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ﴾ (١) .
وقصصا: ﴿ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ (٢) .
وسماه أربعة أسماء في آية واحدة: ﴿ فِي صُحُفٍ مَّكْرَمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ (٣) . انتهى .

* * *

فأما تسميته كتابا فلجمعه أنواع العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه ، والكتاب
لُغَةً الجمع .

والمبين ؛ لأنه أبان ، أى أظهر الحق من الباطل .

وأما القرآن فاختلف فيه ، فقال جماعة : هو اسم علم غير مشتق ، خاص بكلام الله ،
فهو غير مهموز ، وبه قرأ ابن كثير ، وهو مروى عن الشافعى ، أخرج البيهقي والخطيب
وغيرهما عنه أنه كان يهمز قرأت ، ولا يهمز القرآن ، ويقول : القرآن اسم وليس بمهموز
ولم يؤخذ من قرأت ، ولكنه اسم لكتاب الله ، مثل التوراة والإنجيل .

وقال قوم ، منهم الأشعرى : هو مشتق من قرنت الشيء بالشيء ، إذا ضمت أحدهما
إلى الآخر ، وسمى به ، لقران السور والآيات والحروف فيه .

وقال النراء : هو مشتق من القرائن ، لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا ، ويشابه
بعضها بعضا وهى قرائن . وعلى القولين هو بلاهمز أيضا ونونه أصلية .

وقال الزجاج : هذا القول سهو ، والصحيح أن ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ونقل
حركة الهمزة إلى الساكنين قبلها .

واختلف القائلون بأنه مهموز ، فقال قوم منهم اللحياني : هو مصدر لقرأت ، كالر حجان

والفُفْران ؛ تُسمى به الكتاب القروء ، من باب تسمية المفعول بالمصدر .

وقال آخرون منهم الزجاج : هو وُضِفَ على فَعْلان ؛ مشتقٌّ من القَرْمِ بمعنى الجمع ،
ومنه : قرأتُ الماءِ في الحوض ، أى جمعته .

قال أبو عبيدة : وسمى بذلك ، لأنه جمعُ السورِ بعضها إلى بعض .

وقال الراغب : لا يقال لكل جمع قرآن ، ولا لجمع كل كلام قرآن . قال : وإنما
سمى قرآنا ؛ لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة . وقيل : لأنه جمع أنواع
العلوم كلها .

وحكى قطرب قولاً : إنه إمّا سُمِّيَ قرآنا لأن القارئ يُظهره ويدينه من فيه ، أخذاً
من قول العرب : ما قرأتِ التافئة سلاً قط ، أى مارمت بولد ، أى ما أسقطت ولداً ؛ أى
ما حملت قط ؛ والقرآن يلفظه القارئ من فيه . ويلقيه فسمى قرآنا .

قلت : والختار عندي في هذه المسألة مانص عليه الشافعي .

وأما الكلام : فمشتق من الكلام بمعنى التأثير ؛ لأنه يؤثر في ذهن السامع فائدة
لم تكن عنده .

وأما النور : فلأنه يدرك به غوامض الحلال والحرام .

وأما الهدى ، فلأن فيه الدلالة على الحق ؛ وهو من باب إطلاق المصدر على

الفاعل مبالغة

وأما الفرقان ؛ فلأنه فرق بين الحق والباطل ، ووجهه بذلك مجاهد ، كما أخرجه ابن

أبي حاتم .

وأما الشفاء ، فلأنه يشفي من الأمراض القلبية ، كالكفر والجهل والغل ، والبدنية أيضاً

وأما الذِّكْرُ فلما فيه من المواعظ وأخبار الأمم الماضية . والذكر أيضاً الشرف ، قال

تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَدَرُّكَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (١)، أى شرف لأنه بلغتهم .
وأما الحكمة، فلأنه نزل على قانون المعتمد من وضع كل شئ في محله، ولأنه مشتمل على الحكمة
وأما الحكيم، فلأنه أحكمت آياته بعجيب النظم وبديع المعاني، وأحكمت عن
تطرق التبديل والتعريف والاختلاف والتباين .

وأما المهيم، فلأنه شاهد على جميع الكتب والأمم السالفة .

وأما الحبل، فلأنه من تمسك به وصل إلى الجنة أو الهلدى . والحبل: السبب .

وأما الصراط المستقيم، فلأنه طريق إلى الجنة، قويم لا عوج فيه .

وأما المثاني، فلأن فيه بيان قصص الأمم الماضية، فهو إمان لما تقدمه . وقيل: لتكرار

القصص والمواعظ فيه . وقيل: لأنه نزل مرة بالمعنى ومرة باللفظ والمعنى، كقوله: ﴿إِنَّ
هَذَا لِنِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (٢)، حكاه الكرماني في عجائبه .

وأما المتشابه، فلأنه يشبه بعضه بعضاً في الحسن والصدق .

وأما الروح، فلأنه تحيا به القلوب والأنفس .

وأما المجيد، فلشرفه .

وأما العزيز، فلأنه يعز على من يروم معارضته .

وأما البلاغ، فلأنه أبلغ به الناس ما أمروا به ونهوا عنه . أو لأن فيه بلاغة وكفاية

عن غيره .

قال السَّيِّدِي فِي بَعْضِ أَجْزَائِهِ: سَمِعْتُ أَبَا الْكَرَمِ التَّحَوِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ
التَّنُوخِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرَّمَازِيَّ، وَسُئِلَ: كُلُّ كِتَابٍ لَهُ تَرْجُمَةٌ، فَاتَّرْجُمَةُ كِتَابِ اللَّهِ؟
فَقَالَ: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ (٣) .

وذكر أبو شامة وغيره في قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (٤) أنه القرآن .

(٢) سورة الأعلى ١٨

(٤) سورة طه ١٣١

(١) سورة الزخرف ٤٤

(٣) سورة إبراهيم ٥٢

فائدة

حكى المظفرى فى تاريخه قال: لما جمع أبو بكر القرآن، قال: سمّوه، فقال بعضهم: سمّوه إنجيلا، فكرهوه، وقال بعضهم: سمّوه سّفر، فكرهوه من يهود. فقال ابن مسعود: رأيت بالحبشة كتابا يدعونه المصحف، فسّمّوه به.

قلت: أخرج ابنُ أشتة^(١) فى كتاب المصاحف من طريق موسى بن عُمّبة، عن ابن شهاب، قال: لما جمعوا القرآن فكتبوه فى الورق، قال أبو بكر: التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السّفر، وقال بعضهم: المصحف؛ فإنّ الحبشة يسمّونه المصحف. وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسمّاه المصحف. ثم أوردته من طريق آخر عن ابن بُريدة، وسيأتى فى النوع الذى يلى هذا.



فائدة ثانية

أخرج ابنُ الضّريس^(٢) وغيره عن كعب، قال: فى التوراة: يا محمد، إني منزل عليك توراة حديثة تفتح أعيناً عمياً، وأذانا صماً، وقلوبا غلغفا.

وأخرج ابنُ أبى حاتم عن قتادة، قال: لما أخذ موسى الألواح قال: يارب، إني أجد فى الألواح أمة، أناجيلهم فى قلوبهم، فاجعلهم أمتى. قال: تلك أمة أحمد.

فى هذين الأثرين تسمية القرآن توراة وإنجيلا، ومع هذا لا يجوز الآن أن يطلق عليه ذلك، وهذا كما سمّيت التوراة فرقانا فى قوله: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾^(٣) وسمى صلى الله عليه وسلم الزبور قرآنا فى قوله: «خفف على داود القرآن».

(١) ابن أشتة، هو محمد بن عبد الله بن أشتة، أحد العلماء بالمرية والقراءات، وله كتاب فى شواذ القراءات توفى سنة ٣٠٦ طبعات القراء ١٨٤٢
(٢) هو محمد بن أبوب بن يحيى بن الضريس الجبلى، أحد حفاظ الحديث، وله كتاب فى فضائل القرآن. توفى سنة ٢٩٤. تذكرة الحفاظ ٢: ١٩٥
(٣) سورة البقرة ٥٣

فصل في أسماء السور

قال القُتبي: السورة تهمز ولا تهمز ، فمن همزها جعلها من أسارت، أي أفضلت، من السور وهو ما بقي من الشراب في الإنباء ؛ كأنها قطعة من القرآن ، ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم وسهل همزها.

ومنهم من يشبهها بسور البناء ، أي القطعة منه ، أي منزلة بمد منزلة .

وقيل: من سور المدينة، لإحاطتها بآياتها واجتماعها،^(١) كاجتماع البيوت بالبيوت ، ومنه السوار لإحاطته بالساعد .

وقيل : لارتفاعها ، لأنها كلام الله السورة المنزلة الرفيعة ، قال النابغة :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كليل ملك حولها يتذبذب^(٢)

وقيل : لتكوين بعضها على بعض ، من التسور بمعنى التصاعد والتركب ، ومنه :

﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا الْحُرَابَ ﴾^(٣)

وقال الجعبري^(٤) : حدّ السورة قرآن يشتمل على آي ، ذى فاتحة وخاتمة ، وأقلها

ثلاث آيات .

وقال غيره: السورة الطائفة المترجمة نوقيفا ، أي المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي

صلى الله عليه وسلم .

وقد ثبت أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ، ولولا خشية الإطالة

لبينت ذلك .

ومما يدلّ لذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة ، قال : كان المشركون يقولون :

(١) نقله في البرهان ١ : ٦٣ ، ٢ ، ٢٦٤ (٢) ديوانه ١٣ (٣) سورة ص ٢١ (٤) هو إبراهيم بن عمران لإبراهيم أبو إسحاق الجعبري من فقهاء الشافعية ، له نحو مائة كتاب ، أكثرها في القراءات ، منها شرح الشاطبية ، حديقة الزهر في عدد آي السور ، وخيلة أرباب المقاصد في رسم الصحف وغيرها . توفي سنة ٧٣٢ . الدرر الكامنة ١ : ٥٠

سورة البقرة وسورة العنكبوت ، يستهزؤون بها فنزل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾^(١) .
وقد ذكره بعضهم أن يقال : سورة كذا ، لارواه الطبراني والبيهقي عن أنس مرفوعا:
« لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء ، وكذا القرآن كله ، ولكن
قولوا : السورة التي تذكر فيها البقرة ، والتي يذكر فيها آل عمران ، وكذا القرآن كله » .
وإسناده ضعيف ، بل ادعى ابن الجوزي أنه موضوع .

وقال البيهقي : إنما يعرف موقوفا على ابن عمر ، ثم أخرجه عنه بسند صحيح ، وقد صح
إطلاق سورة البقرة وغيرها عنه صلى الله عليه وسلم .

وفي الصحيح عن ابن مسعود أنه قال : هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة ، ومن
ثم لم يكرهه الجمهور .

* * *

فصل

قد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير ، وقد يكون لها اسمان فأكثر ؛ من ذلك :
(الفاتحة) : وقد وقفت لها على نيفٍ وعشرين اسماً ، وذلك يدل على شرفها ، فإن
كثرة الأسماء دالة على شرف السمي .

أحدها : فاتحة الكتاب ، أخرج ابن جرير ، من طريق ابن أبي ذئب عن المقبري^(١)
عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هي أم القرآن ، وهي فاتحة الكتاب ،
وهي السبع المثاني » وسميت بذلك لأنه يفتح بها في المصاحف ، وفي التعليم . وفي القراءة في
الصلاة . وقيل : لأنها أول سورة نزلت ، وقيل : لأنها أول سورة كتبت في اللوح المحفوظ .
حكاه المرسي ، وقال : إنه يحتاج إلى نقل ، وقيل : لأن الحمد فاتحة كل كلام ، وقيل : لأنها
فاتحة كل كتاب . حكاه المرسي ، ورد بأن الذي افتتح به كل كتاب هو الحمد فقط ، لا جميع السورة
وبأن الظاهر أن المراد بالكتاب القرآن ، لا جنس الكتاب . قال : لأنه قد روي من

أسمائها فاتحة القرآن ، فيكون المراد بالكتاب والقرآن واحدا .

ثانيها : فاتحة القرآن ؛ كما أشار إليه المرسي .

وثالثها : ورابعها : أم الكتاب وأم القرآن ، وقد كره ابن سيرين أن تسمى أم الكتاب ، وكره الحسن أن تسمى أم القرآن ووافقهما بقى بن مخلد ، لأن أم الكتاب هو اللوح المحفوظ ، قال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾^(١) ، ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ ﴾^(٢) . وآيات الحلال والحرام ، قال تعالى : ﴿ آيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾^(٣) ، قال المرسي : وقد روى حديث لا يصح : « لا يقولنَّ أحدكم أم الكتاب وليقل ، فاتحة الكتاب » .

قات : هذا لأصل له في شيء من كتب الحديث ، وإنما أخرجه ابن الضريس بهذا اللفظ عن ابن سيرين ، فالتبس على المرسي ؛ وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة تسميتها بذلك ، فأخرج الدارقطني وصححه من حديث أبي هريرة مرفوعا : « إذا قرأتم الحمد فاقروا باسم الله الرحمن الرحيم ؛ إنها أم القرآن ، وأم الكتاب والسبع المثاني » .

واختلف : لم تسميت بذلك ؟ ففيل : لأنها تبدأ بكتابتها في المصاحف وبقراءتها في الصلاة قبل السورة ، قاله أبو عبيدة في مجازة ، وجزم به البخاري في صحيحه . واستشكل بأن ذلك يناسب تسميتها فاتحة الكتاب ، لأم الكتاب ؛ وأجيب بأن ذلك بالنظر إلى أن الأم مبتدأ الولد . قال الماودي : سُميت بذلك لتقدمها وتأخر ما سواها تبعاً لها ، لأنها أمته ، أي تقدمته ، ولهذا يقال لراية الحرب أم ، لتقدمها واتباع الجيش لها . ويقال لامضى من سني الإنسان أم لتقدمها ، ولملكة أم القرى لتقدمها على سائر القرى . وقيل : أم الشيء أصله ؛ وهي أصل القرآن لانطوائها على جميع أغراض القرآن وما فيه من العلوم والحكم ، كما سيأتي تقريره في النوع الثالث والسبعين . وقيل : سُميت بذلك لأنها أفضل السور ، كما يقال

(٢) سورة الزخرف ؛

(١) سورة الرعد ٣٩

(٣) سورة آل عمران ٧

لرئيس القوم : أمّ القوم . وقيل : لأن حرمتها كحرمة القرآن كله . وقيل : لأن مفزغ أهل الإيمان إليها ، كما يقال للراية أمّ ، لأن مفزغ العسكر إليها . وقيل : لأنها محكمة والمحكمات أمّ الكتاب .

خامسها : القرآن العظيم ، روى أحمد عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأُمّ القرآن : «هي أمّ القرآن ، وهي السبع المثاني ، وهي القرآن العظيم» ، وسميت بذلك لاشتمالها على المعاني التي في القرآن

سادسها : السبع المثاني ، وردت تسميتها بذلك في الحديث المذكور وأحاديث كثيرة ، أما تسميتها سبعا ؛ فلأنها سبع آيات . أخرج الدارقطني ذلك عن علي . وقيل فيها سبعة آداب ، في كل آية أدب ، وفيه يُعد . وقيل : لأنها حلت من سبعة أحرف : التاء ، والجيم ، والخاء ، والزاي ، والشين ، والظاء ، والفاء . قال المرسى : وهذا أضعف مما قبله لأن الشيء إنما يسمى بشيء وجد فيه لا بشيء فقد منه . وأما المثاني : فيحتمل أن يكون مشتقا من الثناء لما فيها من الثناء على الله تعالى ، ويحتمل أن يكون من الثنّيا ، لأن الله استثنى لها هذه الأمة ، ويحتمل أن يكون من الثننية ، قيل : لأنها تنثني في كل ركعة ، ويقوّيه ما أخرجه ابن جرير بسند حسن عن عمر ، قال : السبع المثاني فاتحة الكتاب ، تنثني في كل ركعة . وقيل : لأنها تنثني بسورة أخرى ، وقيل : لأنها نزلت مرتين ، وقيل : لأنها على قسمين ثناء ودعاء ، وقيل : لأنها كلما قرأ العبد منها آية ثناه الله بالإخبار عن فعله ، كما في الحديث . وقيل : لأنها اجتمع فيها فصاحة المثاني وبلاغة المعاني : وقيل غير ذلك .

سابعها : الوافية ؛ كان سفيان بن عيينة يسميها به ، لأنها وافية بما في القرآن من المعاني قاله في الكشف . وقال الثعلبي : لأنها لا تقبل التنصيف ، فإن كل سورة من

القرآن لوقريّ نصفها في كلّ ركعة والنصف الثاني في أخرى لجاز بخلافها. وقال المرسيّ:
لأنها جمعت بين ما لله وبين ما للعبد .

ثامنها: الكنز، لما تقدّم في أمّ القرآن؛ قاله في الكشاف، وورد تسميتها بذلك في
حديث أنس السابق في النوع الرابع عشر.

تاسعها: الكافية، لأنها تكفي في الصلاة عن غيرها، ولا يكفي عنها غيرها .

عاشرها: الأساس، لأنها أصل القرآن وأول سورة فيه .

حادى عشرها: النور .

ثاني عشرها وثالث عشرها: سورة الحمد وسورة الشكر .

رابع عشرها وخامس عشرها: سورة الحمد الأولى وسورة الحمد القصرىّ .

سادس عشرها وسابع عشرها وثامن عشرها: الرقية والشفاء والشافية، للأحاديث

الآتية في نوع الخواصّ.

تاسع عشرها: سورة الصلاة لتوقف الصلاة عليها .

[العشرون]: وقيل: إنّ من أسمائها الصلاة أيضا لحديث: «قسمت الصلاة بيني وبين

عبدى نصفين» أى السورة . قال المرسيّ: لأنها من لوازمها؛ فهو من باب تسمية الشيء

باسم لازمه، وهذا الاسم العشرون.

الحادى والعشرون: سورة الدعاء، لاشتمالها عليه في قوله: ﴿اهدِنَا﴾ .

الثاني والعشرون: سورة السؤال لذلك، ذكره الأمام نجر الدين:

الثالث والعشرون: سورة تعليم المسألة؛ قال المرسيّ: لأنّ فيها آداب السؤال؛ لأنها

بدئت بالثناء قبله .

الرابع والعشرون : سورة المفاجاة، لأن العبد يناجى فيها ربه بقوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (١).

الخامس والعشرون : سورة التفويض ، لاشتمالها عليه في قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ﴾ .

فهذا ما وقفت عليه من أسمائها ، ولم تجتمع في كتاب قبل هذا .
ومن ذلك :

(سورة البقرة) : كان خالد بن معدان يسميها فسطاط القرآن ، وورد في حديث مرفوع
في مسند الفردوس ، وذلك لعظمها ولما جمع فيها من الأحكام التي لم تذكر في غيرها ،
وفي حديث المستدرک تسميتها : « سنام القرآن » ، وسنام كل شيء أعلاه .

(وآل عمران) : روى سعيد بن منصور في سننه عن أبي عطف قال : اسم آل عمران
في التوراة طيبة . وفي صحيح مسلم : تسميتها والبقرة الزهراوين .

(والمائدة) : تسمى أيضا المعقود والمنقذة ، قال ابن الفرس لأنها تنقذ صاحبها من
ملائكة العذاب .

(والأنفال) : أخرج أبو الشيخ عن سعد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس : سورة
الأنفال ، قال : تلك سورة بدر .

(وبراءة) : تسمى أيضا التوبة لقوله فيها ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ...﴾ (٢) الآية .
والفاحشة ، أخرج البخاري عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس : سورة التوبة قال :
التوبة ، بل هي الفاحشة ، مازالت تنزل : « ومنهم ، ومنهم ... » حتى ظننا ألا يبقى أحد منا إلا ذكر

(١) آية ٤

(٢) سورة التوبة ١١٢

فيها. وأخرج أبو الشيخ عن عكرمة ، قال : قال . عمر : ما فرغ من تنزيل براءة ، حتى ظفنا أنه لا يبق منا أحدٌ إلا سينزل فيه .

وكانت تسمى الفاضحة وسورة العذاب . أخرج الحاكم في المستدرک عن حذيفة ، قال : التي يسمون سورة التوبة هي سورة العذاب . وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبیر ، قال : كان عمر بن الخطاب إذا ذكر له سورة براءة فقيل : سورة التوبة ، قال : هي إلى العذاب أقرب ، ما كادت تفلح عن الناس ، حتى ما كادت تبقى منهم أحدا .

والمقشقة ، أخرج أبو الشيخ عن زيد بن أسلم أن رجلاً قال لابن عمر : سورة التوبة ، فقال : وأيتها سورة التوبة؟ فقال : براءة ، فقال : وهل فعل بالناس الأفاعيل إلهي! ما كنا ندعوها إلا المقشقة . أي المبرثة من النفاق .

والمنقرة ، أخرج أبو الشيخ عن عبيد بن عمير ، قال : كانت تسمى براءة المنقرة ، نقرت عما في قلوب المشركين .

والبحوث بفتح الباء ، أخرج الحاكم عن المقداد أنه قيل له : لو قدمت العام عن الغزوا! قال : أنت علينا البحوث يعني براءة ... الحديث .

والخافرة ، ذكره ابن الفرس لأنها حفرت عن قلوب المنافقين .

والمثيرة ، أخرج ابن أبي حاتم ، عن قتادة ، قال : كانت هذه السورة تسمى الفاضحة ، فاضحة المنافقين ، وكان يقال لها المثيرة ، أنبأت بمثلهم وعوراتهم .

وحكى ابن الفرس من أسماءها المبعثرة ، وأظنه تصحيف المنقرة ، فإن صح كملت الأسماء عشرة ، ثم رأيت كذلك — أعنى المبعثرة — بخط السخاوي في جمال القراء ، وقال : لأنها بعثت عن أسرار المنافقين .

وذكر فيه أيضاً من أسماءها الخزية ، والمنكئة ، والمشردة والمدممة .

(الفحل) : قال قتادة : تسمى سورة النعم ، أخرج ابن أبي حاتم ، قال ابن الفرس :

لِمَا عَدَدَ اللهُ فِيهَا مِنَ النِّعَمِ عَلَى عِبَادِهِ .

(الإسراء) : تسمى أيضا سورة « سبحان » ، وسورة بني إسرائيل .

(الكهف) : ويقال لها سورة أصحاب الكهف ، كذا في حديث أخرجه ابن مَرْدُويه ، وروى البيهقي من حديث ابن عباس مرفوعا ، أنها تدعى في التوراة الخائلة ، تحول بين قارئها وبين النار ، وقال : إنه منكر .

(طه) : تسمى أيضا سورة الكليم ، ذكره السخاوي في جمال القراء .

(الشعراء) : وقع في تفسير الإمام مالك تسميتها بسورة الجامعة .

(النمل) : تسمى أيضا سورة سليمان .

(السجدة) : تسمى أيضا المضاجع .

(فاطر) : تسمى سورة الملائكة .

(يس) : سماها صلى الله عليه وسلم قلب القرآن . أخرجه الترمذي من حديث أنس .

وأخرج البيهقي من حديث أبي بكر مرفوعا : « سورة يس تدعى في التوراة المعيمة ، نعم بخيري الدنيا والآخرة ، وتدعى الدافعة والقاضية ، تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضى له كل حاجة » . وقال : إنه حديث منكر .

(الزمر) : تسمى سورة العُرف .

(غافر) : تسمى سورة الطول ، والنؤمن ، لقوله تعالى فيها : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ ﴾ (١) .

(فضلت) : تسمى السجدة ، وسورة المصاييح .

(الجاثية) : تسمى الشريعة ، وسورة الدهر ؛ حكاها الكرمانى في العجائب .

(سورة محمد) : تسمى القتال .

(ق) : تسمى سورة الباسقات .

(اقتربت) : تسمى القمر ، وأخرج البيهقي عن ابن عباس « أنها تدعى في التوراة البيضة

تبيض وجه صاحبها يوم تسودّ الوجوه» ؛ وقال : أنه منكرو .

(الرحمن) : سُمِّيتْ في حديثِ عروس القرآن ، أخرجه البيهقي عن عليّ مرفوعا .

(المجادلة) : سُمِّيت في مصحف أبيّ : الظهار .

(الحشر) : أخرج البخاريّ عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس : سورة الحشر ،

قال : قل : سورة بني النضير . قال ابن حجر : كأنه كره تسميتها بالحشر ، لئلا يظنّ أن المراد يوم القيامة ، وإنما المراد به هنا إخراج بني النضير .

(المتحنة) : قال ابن حجر : المشهور في هذه التسمية أنها بفتح الحاء وقد تكسر ،

فعلّى الأوّل هو صفة المرأة التي نزلت السورة بسببها ، وعلى الثاني هي صفة السورة كما قيل لبراءة : الفاضحة . وفي جمال القراء : تسمّى أيضا سورة الامتحان وسورة المودة .

(الصف) : تسمّى أيضا سورة الحواريين .

(الطلاق) : تسمّى سورة النساء القُصْرَى ، كذا سماها ابن مسعود ، أخرجه البخاريّ

وغيره ، وقد أنكره الداوديّ ، فقال : لأرى قوله : « القصرى » محفوزا ، ولا يقال في

سورة من القرآن : قصرى ولاصغرى . قال ابن حجر : وهو ردّ للأخبار الثابتة

بلاُسْتَنْد ، والقَصْر والطُول أمرٌ نسبيّ . وقد أخرج البخاريّ عن زيد بن ثابت أنه قال :

« طولى الطوليين » ؛ وأراد بذلك سورة الأعراف .

(التحريم) : يقال لها سورة : المتحرّم ، وسورة المحرّم .

(تبارك) : تسمّى سورة الملك : وأخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود ، قال : هي

في التوراة سورة الملك ؛ وهي المانعة تمنع من عذاب القبر ، وأخرج الترمذى من حديث

ابن عباس مرفوعا : « هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر » . وفي مسند عبّيد من

حديث : « إنّها المنجية والمجادلة ، تجادل يوم القيامة عندها لقارُها » .

وفي تاريخ ابن عساکر من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها المنجية .
وأخرج الطبراني ، عن ابن مسعود قال : كنا نسُميها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المانعة . وفي جمال القراء : تسمى أيضا الواقعة والمناعة .
(سأل) : تسمى المعارج والواقع .

(عم) : يقال لها النبأ ، والتساؤل ، والمعصرات .

(لم يكن) : تسمى سورة أهل الكتاب ، وكذلك سُميت في مصحف أبي ، وسورة
البيّنة ، وسورة القيامة ، وسورة البرية ، وسورة الانفكاك ، ذكر ذلك في جمال القراء .
(أ رأيت) : تسمى سورة الدّين ، وسورة الماعون .

(الكافرون) : تسمى المقشقة ؛ أخرجه ابن أبي حاتم عن زرارة بن أوفى ، قال في
جمال القراء : وتسمى أيضا سورة العبادة .

قال : و(سورة النصر) : تسمى سورة التوديع ، لما فيها من الإيمان إلى وفاته صلى الله عليه وسلم .

قال : و(سورة تبت) : تسمى سورة المسد .

(سورة الإخلاص) : تسمى الأساس ، لاشتغالها على توحيد الله وهو أساس الدين .

قال : و(الفلق والناس) : يقال لها الموءذتان ، بكسر الواو ، والمشقة شفتان من قولهم :
خطيب مشفق .

تنبيه

قال الزركشي في البرهان : ينبغى البحث عن تمداد الأسماء : هل هو توقيف ،

أو بما يظهر من المناسبات ، فإن كان الثاني ^(١) فلم يعد المقطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة ، تقتضى اشتقاق أسماء لها . وهو بعيد .

قال : وينبغى النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به ، ولا شك أن العرب تراعى في كثير من التسميات أخذ أسماءها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه ، أو يكون معه أحكم أو أكثر أو سبق ، لإدراك الرأى للمسمى . ويسمى الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها ؛ وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن ، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقريظة قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها ، وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها شيء كثير من أحكام النساء ، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها ، وإن كان قد ورد لفظ «الأنعام» في غيرها ، إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ إلى قوله : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ ﴾ ^(٢) لم يرد في غيرها ؛ كما ورد ذكر النساء في سور ، إلا أن ما تكرر وبسط من أحكامهن لم يرد في غير سورة النساء ، وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها ، فسميت بما يختصها .

قال : فإن قيل : قد ورد في سورة هود ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى ، فلم خصت باسم هود وحده مع أن قصة نوح فيها أوعب وأطول ؟ قيل : تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها ، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود كتكرره في سورته ^(٣) : فإنه تكرر فيها في أربعة مواضع ، والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا .

قال : فإن قيل : فقد تكرر اسم نوح فيها في ستة مواضع ! قيل : لما : أفردت

(٢) سورة الأنعام ١٤٢ - ١٤٤

(١) البرهان : « فلن » .

(٣) البرهان : « وهذه السورة »

لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها ، فلم يقع فيها غير ذلك ، كانت أولى بأن تسمى باسمه من سورة تضمنت قصته وقصة غيره ^(١) . انتهى :

* * *

قلت : ولك أن تسأل فتقول : قد سميت سورٌ جرت فيها قصص أنبياء بأسمائهم ؛ كسورة نوح ، وسورة هود ، وسورة إبراهيم ، وسورة يونس ، وسورة آل عمران ، وسورة طس سليمان ، وسورة يوسف ، وسورة محمد ، وسورة صريم ، وسورة لقمان ، وسورة المؤمن . وقصة أقوام كذلك ، كسورة بني إسرائيل ، وسورة أصحاب الكهف ، وسورة الحجر ، وسورة سبأ ، وسورة الملائكة ، وسورة الجن ، وسورة المنافقين ، وسورة المطففين ؛ ومع هذا كله لم يفرّد لموسى سورة نسمى به مع كثرة ذكره في القرآن ، حتى قال بعضهم : كذا القرآن أن يكون كله موسى ؛ وكان أولى سورة أن تسمى به سورة طه أو القصص أو الأعراف . لبسط قصته في الثلاثة ما لم يبسط في غيرها . وكذلك قصة آدم ، ذكرت في عدة سور ، ولم تسم به سورة ، كأنه لا كفاء بسورة الإنسان ، وكذلك قصة الذبيح من بدائع القصص ، ولم تسم به سورة الصافات ، وقصة داود ذكرت في ص ولم تسم به ، فانظر في حكمة ذلك . على أنني رأيت بعد ذلك في جمال القراء للسجاوي ، أن سورة طه تسمى سورة الكليم ، وسمّاها الهدى في كامله سورة موسى ، وأن سورة ص تسمى سورة داود . ورأيت في كلام الجعبري أن سورة الصافات تسمى سورة الذبيح ، وذلك يحتاج إلى مستند من الأثر .

* * *

فصل

وكما سميت السورة الواحدة بأسماء ، سميت سورٌ باسم واحد ، كالسور المسماة « أم » أو « الر » ، على القول بأن فواتح السور أسماء لها .

فائدة في إعراب أسماء السور

قال أبو حيان في شرح التسهيل :

ما سُمِّيَ منها بجملة تحكى نحو « قل أوحى » و « آذِنِ أَمْرَ اللَّهِ » أو بفعل لا ضمير فيه أعرب إعراب ما لا ينصرف ، إلا ما في أوله همزة وصل ، فقتطع ألفه وتقلب تاؤه هاء في الوقف ، ويكتب بهاء على صورة الوقف ، فنقول : قرأت « اقترية » وفي الوقف « اقترية » . أما الإعراب فلأنها صارت أسماء ، والأسماء معربة إلا لموجب بناء . وأما قطع همزة الوصل ، فلأنها لا تكون في الأسماء إلا في ألفاظ محفوظة لا يقاس عليها . وأما قلب تائها هاء ، فلأن ذلك حكم تاء التانيث التي في الأسماء ، وأما كتبها هاء ، فلأن الخط تابع للوقف غالبا .

وما سُمِّيَ منها باسم ؛ فإن كان من حروف الهجاء وهو حرف واحد أو أضفت إليه سورة ، فعند ابن عصفور أنه موقوف لإعراب فيه ، وعند الشلّوبين يجوز فيه وجهان : الوقف والإعراب ؛ أما الأول — ويعبر عنه بالحكاية — فلأنها حروف مقطعة ^(١) تحكى كما هي . وأما الثاني فعلى جملة أسماء لحروف الهجاء ، وعلى هذا يجوز صرفه بناء على تكبير الحرف ومنعه بناء على تانيثه . وإن لم تضاف إليه سورة لا لفظاً ولا تقديراً فلك الوقف والإعراب مصروفاً وممنوعاً . وإن كان أكثر من حرف ؛ فإن وزان الأسماء الأجمية كطاسين وحاميم وأضفت إليه سورة أم لا ، فلك الحكاية والإعراب ممنوعاً ، موازنة قابيل وهابيل ، وإن لم يوازن ، فإن أمكن فيه التركيب كطاسين ميم ، وأضفت إليه سورة ، فلك الحكاية والإعراب ، إماماً مركباً مفتوح النون كحضر موت ، أو معرب النون مضافاً لما بعده مصروفاً وممنوعاً على اعتقاد التذكير والتانيث . وإن لم تضاف إليه سورة ، فالوقف على الحكاية ، والبناء كخمسة عشر ، والإعراب ممنوعاً . وإن لم يمكن التركيب فالوقف ليس إلا : أضفت إليه سورة أم لا ، نحو كهيمص وحمسق ، ولا يجوز إعرابه ، لأنه لا نظير له في الأسماء المعربة ، ولا تركيبه مزجاً ، لأنه لا يركب ذلك أسماء كثيرة ، وجوز يونس إعرابه ممنوعاً .

وما سُمِّيَ منها باسم غير حرف هجاء ، فإن كان فيه اللام انجراً ، نحو الأنفال

(١) ح : « مقطعة » تحريف

والأعراف والأنعام ، وإلّا مُنِعَ الصّرف إن لم يُضف إليه سورة ، نحو هذه هودٌ ونوحٌ ، وقرأت هودٌ ونوحٌ ، وإن أضفت بقيّ على ما كان عليه قبل ، فإن كان فيه ما يوجب النّوع مُنِع ، نحو قرأت سورة يونس ، وإلّا صُرف نحو سورة نوح وسورة هود . انتهى ملخصاً .

* * *

خاتمة

قَسَمَ القرآن إلى أربعة أقسام ، وجعل لكل قسم منه اسم ، أخرج أحمد وغيره من حديث واثله بن الأسقع ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أُعْطِيَتْ مكان التوراة السَّبْعُ الطَّوْلُ ، وأُعْطِيَتْ مكان الزبور المثني ، وأُعْطِيَتْ مكان الأنجيل المثاني ، وَفُضِّلَتْ بالمفصل » . وسيأتى مزيد كلام في النوع الذي يلي هذا إن شاء الله تعالى .

وفي جمال القراء : قال بعض السلف : في القرآن ميادين وبتاتين ومقاصير وعرائس وديابيح ، فيما دینه ما افتتح بـ « الم » وبتاتينه ما افتتح بـ « الر » ومقاصيره الحامدات ، وعرائسه المسبجات ، وديابجه آل حم ، ورياضه المقتل . وقالوا : الطواسيم ، والطواسين ، وآل حم ، والحواميم .

قلت : وأخرج الحاكم عن ابن مسعود ، قال : الحواميم ديباج القرآن . قال السخاوي : وقوارع ^(١) القرآن الآيات التي يعتموذ بها ويتحصن ، سميت بذلك لأنها تفرع الشيطان وتدفعه وتقمعه ، كآية الكرسي والعمودتين ونحوها .

قلت : وفي مسند أحمد من حديث معاذ بن أنس مرفوعاً : « آية العز ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً... ﴾ ^(٢) الآية » .

(١) في القاموس : « قوارع القرآن : الآيات التي من قرأها أمن من الشياطين والإنس والجن ، كأنها تفرع الشيطان » .

(٢) سورة الإسراء ١١١ .

التَوْحُّ الثَّامِنُ عَشِيرٌ
فِي جَمْعِهِ وَتَرْتِيبِهِ

قال الذَّيْرَعَاقُولِيُّ^(١) في فوائده: حدثنا إبراهيم بن بشار، حدثنا سفيان بن عُيينة، عن الزهري، عن عبيد، عن زيد بن ثابت، قال: قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء.

قال الخطابي: إنما لم يجمع صلى الله عليه وسلم القرآن في الصحف، لما كان يترقبه من ورودنا نسخ لمض أحكامه أو تلاوته، فلما اتقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك، وفاء بوعد الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر. وأما ما أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن...» الحديث، فلا ينافي ذلك، لأن الكلام في كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة، وقد كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب الشُّور.

[القول في جمع القرآن ثلاث مرات]

وقال الحاكم في المستدرک: لجمع القرآن ثلاث مرات:

أحداها: بمحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أخرج بسندٍ على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت، قال: «كتنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع...» الحديث.

قال البيهقي: يشبه أن يكون أن المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي صلى الله عليه وسلم.

الثانية: بمحضرة أبي بكر، روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت،

(١) الذيرعاقولي: منسوب إلى دير العاقول، قرية من أعمال بغداد.

قال : أرسل إلى أبو بكر ، مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر أتاني ، فقال : إن القتل قد استحر^(١) بقرآء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقرءاء في المواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال عمر : هو والله خير ، فلم يزل يُراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : إنك شاب عاقل ، لا تنهك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه — فوالله لو كفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن — قلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح به صدر أبي بكر وعمر . فتبعت القرآن أجمعه من العُسب واللخاف وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري^(٢) ، لم أجدها مع غيره : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ... ﴾^(٣) . حتى خاتمة براءة . فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر .

وأخرج ابن أبي داود في المصاحف بسند حسن عن عبد خير ، قال : سمعت علياً يقول : أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر ؛ رحمة الله على أبي بكر ! هو أول من جمع كتاب الله . لكن أخرج أيضاً من طريق ابن سيرين قال : قال علي : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آليت ألا آخذ على رداي إلا الصلاة جمعة حتى أجمع القرآن لجمعه . قال ابن حجر : هذا الأثر ضعيف لانقطاعه ، وبتقدير صحته ، فراه بجمعه حفظه في صدره ، وما تقدم من رواية عبد خير عنه ؛ أصح ، فهو المعتبر .

(١) استحر ، أى اشتد .

(٢) في الأصول « أبو خزيمة » ، وما أثبتته من تفسير ابن كثير ٢ . ٤٠٥ ، وما يأتي في ص ١٠٧ من هذا الجزء .

(٣) سورة التوبة ١٢٨ ، ١٢٩

قلت : قد ورد من طريق آخر أخرجه ابنُ الشَّرَّيس في فضائله : حدَّثنا بشر بن موسى ، حدَّثنا هُوَذَةُ بن خليفة ، حدَّثنا عَوْن ، عن محمد بن سيرين ، عن عِكْرَمَةَ ، قال : لما كان بعد بيعة أبي بكر ، قعد علي بن أبي طالب في بيته ، فقيل لأبي بكر : قد كره بيعتك ، فأرسل إليه ، فقال : أكرهت بيعتي ؟ قال : لا والله ، قال : ما أعدك عني ؟ قال : رأيتُ كتاب الله يُزاد فيه ، فحدّثتُ نفسي ألا ألبس ردائي إلا الصلاة حتى أجمعه ، قال له أبو بكر : فإنك نعمَ ما رأيت . قال محمد : فقلت لعكرمة : ألقوه كما أنزل ، الأوّل فالأوّل قال : لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يؤلقوه ذلك التأليف ما استطاعوا .

وأخرجه ابنُ أشته في المصاحف من وجه آخر عن ابن سيرين ، وفيه أنه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ ، وأن ابن سيرين قال : فطلبتُ ذلك الكتاب ، وكتبت فيه إلى المدينة ، فلم أقدر عليه .

وأخرج ابن أبي داود من طريق الحسن ، أن عمر سأل عن آية من كتاب الله ، فقيل : كانت مع فلان ، قتل يوم اليمامة ، فقال : إن الله ! وأمر بجمع القرآن ، فكان أول من جمعه في المصحف . إسناده منقطع ، والمراد بقوله : « فكان أول من جمعه » أي أشار بجمعه .

قلت : ومن غريب ما ورد في أول من جمعه ، ما أخرجه ابنُ أشته في كتاب المصاحف من طريق كهَمَسٍ ، عن ابن بُرَيْدَةَ ، قال : أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة ، أقسم لا يرتدي برداء حتى يجمعه ، فجمعه ، ثم ائتمروا : ^(۱) ما يسمونه ؟ فقال بعضهم : سموه السُّفْر ، قال : ذلك اسم تسميه اليهود ، فكرهوه ، فقال : رأيت مثله بالحبيشة يُسمى للمصحف ، فاجتمع رأيهم على أن يسموه المصحف . إسناده منقطع أيضا ، وهو محمول على أنه كان أحد الجامعين بأمر أبي بكر .

وأخرج ابن أبي داود ، من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، قال : قدم عمر ، فقال : من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه شيئا من القرآن فليأت به وكانوا

(۱) لا تقرأ ، أي تشاوروا .

يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعُصَب ، وكان لا يقبل من أحدٍ شيئاً حتى يشهد شهيديان ؛ وهذا يدل على أن زيدا كان لا يكتبني بمجرد وجدانه مكتوباً حتى يشهد به مَنْ تلقاه سماعاً ، مع كون زيدٍ كان يحفظ ، فكان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط .

وأخرج ابن أبي داود أيضاً من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن أبا بكر قال لعمرَ وزيدٍ : ائتمدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه . رجاله ثقات مع انقطاعه .

قال ابن حجر: وكان المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب .

وقال السخاوي في جمال القراء: المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن .

قال أبو شامة^(١) : وكان غرضهم ألا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، لامن مجرد الحفظ . قال : ولذلك قال في آخر سورة التوبة : لم أجدها مع غيره ، أي لم أجدها مكتوبة مع غيره ، لأنه كان لا يكتبني بالحفظ دون الكتابة .

قلت : أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم عام وفاته ، كما يؤخذ مما تقدم آخر النوع السادس عشر .

وقد أخرج ابن أشته في المصاحف عن الليث بن سعد ، قال : أول من جمع القرآن أبو بكر ، وكتبه زيد ، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت ، فكان لا يكتب آية

(١) أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي المؤرخ المحدث ، صاحب كتاب الروضتين ، وله كتب في علوم القرآن والقراءات ، ذكر الزركلي أن له كتاب المرشد الوجيز للعلوم تطلق بالقرآن العزيز ، وقال : منه نسخة مخطوطة في المكتبة البلدية بالقدس ، . توفي سنة ٦٦٥ . الأعلام ٤ : ٧٠ .

إلا بشاهدي عدل، وأن آخر سورة براءة لم توجد إلا مع خزيمه بن ثابت،
فقال: اكتبوها فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادته بشهادة رجائين،
فكتب.. وإن عمر أتى بأية الرّجْم: فلم يكتبها، لأنه كان وحده.

وقال الخارث المحاسبي^(١) في كتاب فهم السنن: كتابة القرآن ليست بمحدثة
فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابتها، ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف
والعُصْب، فإبما أمر الصّدّيق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعا، وكان ذلك بمنزلة
أوراقٍ وُجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيها القرآن منتشر، فجمعها جامع،
وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء.

قال: فإن قيل: كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال؟ قيل: لأنهم
كانوا يبديون عن تأليف معجز، ونظم معروف، قد شاهدوا تلاوته من النبي صلى الله
عليه وسلم عشرين سنة، فكان تزوير ما ليس منه مأموناً، وإبما كان الخوف من
ذهاب شيء من صحفه^(٢).

وقد تقدم في حديث زيد أنه جمع القرآن من العُصْب والأخاف، وفي رواية «الرقاع»،
وفي أخرى: «وقطع الأديم»، وفي أخرى: «والأكتاف» وفي أخرى: والأضلاع،
وفي أخرى: «والأقتاب». فالعُصْب: جمع عيب وهو جريد النحل، كانوا يكشطون
الجوص ويكتبون في الطرف المريض. والأخاف: بكسر اللام وبخاء معجمة
خفيفة، آخره فاء: جمع نخفة بفتح اللام وسكون الخاء، وهي الحجارة الدقاق، وقال
الخطابي: صفائح الحجارة. والرقاع: جمع رقعة، وقد تكون من جلد أورق أو كاغد.
والأكتاف جمع كتف وهو العظم الذي للبعير أو الشاة، كانوا إذا جفّ كتبوا عليه.
والأقتاب: جمع قتب هو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليتركب عليه.

(١) هو الخارث بن أسد المحاسبي، من أكابر الصوفية وصاحب كتاب الرعاية لحقوق الله عز وجل،
وغيره من كتب الصوف. توفي سنة ٢٤٣. ابن خلكان ١: ١٢٦ (٢) في الأصل: «صحفه»

وفي موطن ابن وهب عن مالك، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: جمع أبو بكر القرآن في قرطيس، وكان سأل زيد بن ثابت في ذلك فأبى حتى استعان بعمر، ففعل.

وفي مغازي موسى بن عقیبة، عن ابن شهاب: قال: لما أصيب المسلمون باليمامة، فرزع أبو بكر، وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم، حتى جمع على عهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في الصحف.

قال ابن حجر: ووقع في رواية عمارة بن غزوية، أن زيد بن ثابت قال: فأمرني أبو بكر فكاتبته في قطع الأديم والعُسب، فلما هلك أبو بكر وكان عمر كتبت ذلك في صحيفة واحدة، فكانت عنده.

قال: والأول أصح، إنما كان في الإديم والعُسب أولاً، قبل أن يجمع في عهد أبي بكر، ثم جمع في الصحف في عهد أبي بكر ثم كادت عليه الأخبار الصحيحة المترادفة.

* * *

قال الحاكم: والجمع الثالث^(١) هو ترتيب السور في زمن عثمان؛ وروى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح فرج إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفرغ حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل إلى حفصة: أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاصي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق. قال زيد: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها،

فالتسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (١) فألحقناها في سورتها في المصحف.

قال ابن حجر: وكان ذلك في سنة خمس وعشرين. قال: وغفل بعض من أدركناه فزعم أنه كان في حدود سنة ثلاثين، ولم يذكره مستندا. انتهى.

وأخرج ابن أشتة من طريق أبي يوتب عن أبي قلابة، قال: حدثني رجل من بني عامر، يقال له أنس بن مالك، قال: اختلفوا في القراءة على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون ببلغ ذلك عثمان بن عفان، فقال: عندي تكذيبون به وتلحنون فيه! فمن نأى عني كان أشد تكذيباً، وأكثر لحناً. يا أصحاب محمد، اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً. فاجتمعوا فكتبوا؛ فكانوا إذا اختلفوا وتدارعوا في آية قالوا: هذه أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاناً، فيرسل إليه وهو على رأس ثلاث من المدينة، فقال له: كيف أقرأك رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كذا وكذا؟ فيقول: كذا وكذا، فيكتبونها، وقد تركوا لذلك مكاناً.

وأخرج ابن أبي داود، من طريق محمد بن سيرين؛ عن كثير بن أفلح، قال: لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف، جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار، فبعثوا إلى الزبعة التي في بيت عمر، فجيء بها، وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تدارعوا في شيء آخروه. قال محمد: فظننت أنما كانوا يؤخرونه لينظروا أحدهم عهداً بالعرضة الأخيرة؟ فيكتبونه على قوله.

وأخرج ابن أبي داود بسند صحيح، عن سويد بن غفلة، قال: قال علي: لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملائمتنا، قال: ماتقولون في هذه القراءة؟ فقد بانني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك،

وهذا يكاد يكون كقراءة قلنا: فأتري؟ قال: أرى أن يُجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا: نعم، ما رأيت.

قال: ابن التين وغيره: الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان، أن جمع أبي بكر كان نخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب جملته، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سُورِهِ على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وجمع عثمان كان لما كثرت الاختلاف في وجوه القراءة، حتى قرأوه بلغاتهم على آساع اللغات، فأدعى ذلك بعضهم إلى تحطئة بعض، نخشى من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسُورِهِ، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، محتجاً بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع قراءته بلغة غيرهم، رفعاً للخرج والمشقة في ابتداء الأظم، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت، فاقصر على لغة واحدة.

وقال القاضي^(٢) أبو بكر في الانتصار: لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد.

وقال الحارث المحاسبي: المشهور عند الناس إن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شاهده من المهاجرين والأنصار، لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات؛ فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجود من القراءات المطاقت على الحروف

(١) هو القاضي محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني، من علماء الكلام، وصاحب كتاب إعجاز القرآن وغيره من الكتب في علم الكلام. توفي سنة ٤٣٠. ابن خلكان ١: ٤٨١

السبعة التي نزل بها القرآن ، فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق ؛ وقد قال علي :
لو وُلِّيتُ لعملت بالمصاحف عمل عثمان بها . انتهى .

فائدة

اختلف في عدّة المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق ، فالشهور أنها خمسة .
وأخرج ابن أبي داود من طريق حمزة الزيات ، قال : أرسل عثمان أربعة مصاحف .
قال ابن أبي داود : وسمعت أبا حاتم السجستاني يقول : كتب سبعة مصاحف ،
فأرسل إلى مكة وإلى الشام وإلى اليمن وإلى البحرين وإلى البصرة وإلى الكوفة ،
وحبس بالمدينة واحداً .

فصل

الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توفيقى ، لا شبهه في ذلك ، وأما الإجماع فنقله
غير واحد ، منهم الزركشي في البرهان وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته ، وعبارته : ترتيب الآيات
في سورها واقعٌ بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأصره من غير خلاف في هدايين المسلمين . انتهى .
وسياتى من نصوص العلماء ما يدل عليه .

وأما النصوص ، فمنها حديث زيد السابق : « كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن
من الرقاع » .

ومنها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن
عباس ، قال : قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ، وإلى براءة
وهي من المثنين ، فقرنتم بينهما ولم تسكتبوا بينهما سطر « بسم الله الرحمن الرحيم » ،
ووضعتموها في السبع الطول ؟ فقال عثمان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل
عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب ، فيقول :
ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا . وكانت الأنفال من أوائل

ما نزل في المدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم» ووضعتها في السبع الطوال .

ومنها ما أخرجه أحمد بإسناد حسن ، عن عثمان بن أبي العاص ، قال : كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ شخص ببصره ، ثم صوبه ، ثم قال : « أتاني جبريل ، فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع من هذه السورة : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ..﴾ ^(١) إلى آخرها » .

ومنها ما أخرجه البخاري عن ابن الزبير قال : قلت لعثمان : ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُمُ وَيَدْرُونَ أَرْوَاجًا...﴾ ^(٢) قد نسختها الآية الأخرى ، فلم تكتبها أو تدعها ؟ قال : يا بن أخي ، لا أغير شيئاً منه من مكانه .

ومنها ما رواه مسلم عن عمر ، قال : ما سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء أكثر مما سألته عن الكلاله ، حتى طعن بأصبعه في صدري وقال : « تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء » .

ومنها الأحاديث في خواتيم سورة البقرة .

ومنها ما رواه مسلم عن أبي الدرداء مرفوعاً : « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » ، وفي لفظ عنده : « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف » .

ومن النصوص الدالة على ذلك إجمالاً ما ثبت من قراءته صلى الله عليه وسلم لسور عديدة ، كسورة البقرة وآل عمران والنساء في حديث حذيفة ، والأعراف في صحيح البخاري ، أنه قرأها في المغرب ، وقأ أفصح ، روى النسائي ، أنه قرأها في الصبح حتى إذا جاء

ذكر موسى وهارون أخذته سَمَلَةٌ فركع . والرَّومَ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ أَنَّهُ قَرَأَهَا فِي الصَّبْحِ . وَالْمُتَنَزِّلِ وَهَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ رَوَى الشَّيْخَانُ أَنَّهُ كَانَ يَقْرؤُهُمَا فِي صَبْحِ الْجُمُعَةِ ، وَقِي فِي الصَّحِيحِ مُسَلِّمٌ أَنَّهُ كَانَ يَقْرؤُهُمَا فِي الْخُطْبَةِ ، وَالرَّحْمَنُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ قَرَأَهَا عَلَى الْجَنِّ ، وَالزَّجَمِ فِي الصَّحِيحِ قَرَأَهَا بِمَكَّةَ عَلَى الْكُفَّارِ وَسَجَدَ فِي آخِرِهَا . وَاقْتَرَبَتْ عِنْدَ مُسَلِّمٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرؤُهُمَا مَعَ قِي فِي الْعِيدِ وَالْجُمُعَةِ . وَالْمُنَافِقُونَ فِي مُسَلِّمٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ بِهَا فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ . وَالصَّفِّ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَهَا عَلَيْهِمْ حِينَ أَنْزَلَتْ حَتَّى خَتَمَهَا ؛ فِي سُورَتِي مِنَ الْمَفْصَلِ تَدَلُّ قِرَاءَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا بِمَشْهَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّ تَرْتِيبَ آيَاتِهَا تَوْقِيفِيٌّ ، وَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ لِيُرْتَبُوا تَرْتِيبًا سَمِعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ عَلَى خِلافِهِ ، فَيُبَلِّغُ ذَلِكَ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ ؛ نَعَمْ يُشْكَلُ عَلَى ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ دَاوُدَ فِي الْمَصَاحِفِ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ يَحْيَى بْنِ عُبَادَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ خَزِيمَةَ بَهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ بَرَاءَةَ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَعِيْتُهُمَا ، فَقَالَ عُمَرُ : وَأَنَا أَشْهَدُ ، لَقَدْ سَمِعْتُهُمَا . ثُمَّ قَالَ : لَوْ كَانَتْ آيَاتُ الْجَمْعِ سُورَةً عَلَى حِدَّةٍ ، فَاذْكُرُوا آخِرَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَالْحَقُّوْهَا فِي آخِرِهَا .

قال ابن حجر : ظاهر هذا أنهم كانوا يؤلفون آيات السور باجتهادهم ، وسائر الأخبار تدل على أنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك إلا بتوقيف .

قلت : يعارضه ما أخرجه ابنُ أبي داود أَيْضاً ، مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْعَالِيَةِ ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، أَنَّهُمْ جَمَعُوا الْقُرْآنَ ؛ فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى الْآيَةِ الَّتِي فِي سُورَةِ بَرَاءَةَ : ﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ^(١) ظَنُّوا أَنَّ هَذَا آخِرُ مَا أَنْزَلَ ، فَقَالَ أَبُو بِنِ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَأَنِي بَعْدَ هَذِهِ آيَتَيْنِ : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ... ﴾ ^(٢) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ .

وقال مكي وغيره: ترتيب الآيات في السور بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما لم يَأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة.

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: ترتيب الآيات أمر واجب، وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: «ضعوا آية كذا في موضع كذا».

وقال أيضاً: الذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأسر باثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله، هو هذا الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيء، ولا زيد فيه، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى، ورتبه عليه رسوله من آي السور، لم يقدّم من ذلك مؤخراً ولا أخر منه مقدّم، وإن الأمة ضبطت عن النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب آي كل سورة ومواضعها، وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة، وإنه يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد رتب سورته، وأن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده، ولم يتول ذلك بنفسه. قال: وهذا الثاني أقرب.

وأخرج....^(١) عن ابن وهب، قال: سمعتُ مالِكاً يقول: إنما ألّف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال البغوي في شرح السنة: الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله، من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً، خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا شيئاً أو أخرجوا، ووضعوا له ترتيباً، لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه ويعلّمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا، بتوقيف جبريل إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية، أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا، فنبت أن سعى الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، أنزله الله جملة إلى

السماء الدنيا ، ثم كان ينزله مفترقا عند الحاجة ، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة .
وقال ابن الحصار : ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي ، كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ضعوا آية كذا في موضع كذا » ، وقد حصل
اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومما
أجمع الصحابة على وضعه هكذا في الصحف .

فصل

وأما ترتيب السور ؛ فهل هو توقيفي أيضا ، أو هو باجتهاد من الصحابة ؟ خلاف ، فجمهور
العلماء على الثاني ، منهم مالك والقاضي أبو بكر في قوليه .

قال ابن فارس : جمع القرآن على ضربين : أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال
وتعقيبها بالمشين ، فهذا هو الذي تولته الصحابة ، وأما الجمع الآخر وهو جمع الآيات في
السور ؛ فهو توقيفي تولاه النبي صلى الله عليه وسلم ، كما أخبر به جبريل عن أمر ربه . ومما
استدل به لذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور ، فمنهم من رتبها على النزول ،
وهو مصحف علي ، كان أوله : اقرأ ، ثم المدثر ، ثم ن ، ثم المزمل ، ثم تبت ، ثم التكوير ، وهكذا
إلى آخر المكي والمدني ، وكان أول مصحف ابن مسعود البقرة ، ثم النساء ، ثم آل عمران ؛
على اختلاف شديد ، وكذا مصحف أبي وغيره .

وأخرج ابن أشته في المصاحف من طريق إسماعيل بن عياش عن حبان بن يحيى عن
أبي محمد القرشي ، قال : أمرهم عثمان أن يتابعوا الطول ، فجعلت سورة الأنفال وسورة التوبة
في السبع ، ولم يفصل بينهما بيسم الله الرحمن الرحيم .

وذهب إلى الأول جماعة منهم القاضي في أحد قوليه .

قال أبو بكر بن الأنباري : أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ، ثم فرقه في بضع وعشرين ،
فكانت السورة تنزل لأمرٍ يحدث ، والآية جوابا لمستخبر ، ويوقف جبريل النبي صلى الله

عليه وسلم على موضع الآية والسورة ، فأنساق السور كأنساق الآيات والحروف ، كله عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن قدّم سورة أو آخرها فقد أفسد نظم القرآن .

وقال الكرماني في البرهان : ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب ، وعليه كان صلى الله عليه وسلم يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه ، وعرضه عليه في السنة التي توفّي فيها مرتين ، وكان آخر الآيات نزولاً : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ ، فأمره جبريل أن يضمها بين آيتي الربا والدين .

وقال الطيبي : أنزل القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم نزل مفزقاً على حسب المصالح ، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ .

قال الزركشي في البرهان : والخلاف بين الفريقين لفظي ، لأن الفائل بالثاني يقول إنه مزج إليهم بذلك لهمم بأسباب نزوله ومواقع كلماته ، ولهذا قال مالك : إمتا ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم ، قال الخلاف إلى أنه : هل هو بتوقيف قولي أو بمجرد استناد^(١) فعلي ، بحيث بقي لهم فيه مجال للنظر . وسبقه إلى ذلك أبو جعفر بن الزبير .

وقال البيهقي في الدخل : كان القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم مرتباً سورة وآياته على هذا الترتيب ، إلا الأفعال وبراءة ، لحديث عثمان السابق . ومال ابن عطية إلى أن كثيراً من السور كان قد علم ترتيبها في حياته صلى الله عليه وسلم ، كالسبع الطول والحواميم والمفضل ، وإن ماسوي ذلك يمكن أن يكون قد فوّض الأمر فيه إلى الأمة بعده .

وقال أبو جعفر بن الزبير : الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية ، ويبقى منها قليل يمكن أن يجرى فيه الخلاف ، كقوله : « اقرءوا الزهراوين : البقرة وآل عمران » ، رواه مسلم ، وكحديث سميد بن خالد : « قرأ صلى الله عليه وسلم بالسبع الطول في ركعة » . رواه ابن أبي شيبة في

مصنّفه ، وفيه أنه عليه الصلاة والسلام كان يجمع المِفْصَل في ركعة .

وروى البخارى عن ابن مسعود أنه قال في نبى إسرائيل والكهف وزرير وطه والأنبياء: « إيهن من العتاق الأول ، وهن من تلادى » ، فذكرها نسقاً كما استقرّ ترتيبها .

وفى البخارى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة ، جمع كتفيه ، ثم نفث فيهما ، فقرأ : قل هو الله أحد والمعوذتين .

وقال أبو جعفر النحاس : المختاران تأليف ^(١) السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث وائلة : « أُعْطِيَتْ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ الطُّوَل ... » ^(٢) الحديث .

قال : فهذا الحديث يدلّ على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبى صلى الله عليه وسلم وأنه من ذلك الوقت ، وإنما جمع فى المصحف على شىء واحد ، لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تأليف القرآن .

وقال ابن الحصار : ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحى .

وقال ابن حجر : ترتيب بعض السور على بعضها ، أو معظمها ، لا يمتنع أن يكون توقيفياً . قال : وما يدلّ على أن ترتيبها توقيفى ما أخرجه أحمد وأبو داود عن أوس بن أبى أوس حذيفة البغافى ، قال : كنت فى الوفد الذين أسلموا من تقيف... الحديث . وفيه : فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « طرأ على حزبي من القرآن ، فأردت ألا أخرج حتى أقضيه » ، فمألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلنا : كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : نحزبه ثلاث سور ، وخمس سور ، وسبع سور ، وتسع سور ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفضل من ق حتى نحتم . قال : فهذا يدلّ على أن ترتيب السور على ما هو فى المصحف الآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ويحتمل أن الذى كان مرتباً حينئذ حزب المِفْصَل خاصة ، بخلاف ما عداه .

قلت : ومما يدل على أنه توقيفي - كون المواضع رتبت ولاء وكذا العواصم ، ولم ترتب المسبجات ولاء ، بل فصل بين سورها ، وفصل بين طسم الشعراء وطسم القصص بطس مع أنها أقصر منهما ، ولو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت المسبجات ولاء وأخرت طس^(١) عن القصص . والذي بشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي ، وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي - إلا براءة والأنفال ، ولا ينبغي أن يستدل بقراءته صلى الله عليه وسلم سوراً ولاء على أن ترتيبها كذلك ؛ وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب ، فلعله فعل ذلك لبيان الجواز .

وأخرج ابن أشتة في كتاب المصاحف من طريق ابن وهب عن سليمان بن بلال ، قال : سمعت ربيعة يسأل : لم قُدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة ، وإنما أنزلتا بالمدينة ؟ فقال : قُدمتا وألف القرآن على علم من آتاهه ومن كان معه فيه ، واجتماعهم على علمهم بذلك ، فهذا مما ينتهي إليه ، ولا يسأل عنه .

خاتمة

السبع الطول : أوها البقرة وآخرها براءة . كذا قال جماعة ؛ لكن أخرج الحاكم والنسائي وغيرهما عن ابن عباس قال : السبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف . قال الراوي : وذكر السابعة فنسيتها ، وفي رواية صحيحة عن ابن أبي حاتم وغيره عن سميد بن جبير ، أنها بونس ، وتقدم عن ابن عباس مثله في النوع الأول ، وفي رواية عند الحاكم أنها الكهف .

والثنون : ما وليها ، سميت بذلك ، لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها . والثاني : ما ولي الثنين ، لأنها ثنتان ، أي كانت بعدها ، فهي لها ثوان والثنون لها أوائل . وقال الفراء : هي السورة التي آياتها أقل من مائة ، لأنها ثنتان أكثر مما يثنى الطول والثنون . وقيل : لثنية الأمثال فيها بالعبر والخير . حكاه التسكر اوى

(١) طس ، هي سورة النمل :

وقال في جمال القراء : هي السور التي نُثِّمَتْ فيها القصص ، وقد تُطلق علي القرآن كله
وعلى الفاتحة كاتقدم .

والمفصل : ماوَلِيَ المثنى من قصار السُّور ، سميّ بذلك لكثرة الفصول التي بين
السور بالبسلة ، وقيل لقلة المنسوخ منه ، ولهذا يسمّى بالحكم أيضا ، كما روى البخاريّ
عن سعيد بن جبيرة ، قال : إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم ، وآخره سورة الناس بلا نزاع .

واختلف في أوله على اثني عشر قولاً :

أحدها : ق ، لحديث أوس السابق قريباً .

الثاني : الحُجرات ، وصحَّحه النوويّ .

الثالث : القتال ، عزاه الماورديّ للأكثرين .

الرابع : الجاثية ، حكاه القاضي عياض .

والخامس : الصافات .

السادس : الصفّ .

السابع : تبارك . حكى الثلاثة ابن أبي الصيّف اليمينيّ في نكته على التنبيه .

التاسع : الرحمن ، حكاه ابن السّيد في أماليه على الموطأ .

العاشر : الإنسان .

الحادي عشر : سبح ، حكاه ابن الفركاح ^(١) في تعاليقه عن المرزوقي .

الثاني عشر : الضحى ، حكاه الخطّابيّ ووجهه بأن القارئ يفصل بين هذه السور

بالتكبير . وعبارة الراغب في مفرداته : المفصل من القرآن السبع الأخير .

(١) هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزارى تاج الدين بن الفركاح ، مؤرخ من علماء
الشافعية . توفي سنة ٦٩٠ . طبقات الشافعية ٥ : ٦٠ .

فائدة

المفصل طَوَالٌ وأوساط وقصارٌ، قال ابن معن: فطواله إلى عمّ، وأوساطه منها إلى الضحى، ومنها إلى آخر القرآن قصاره. هذا أقرب ما قيل فيه .

تنبيه

أخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف، عن نافع، عن ابن عمر، أنه ذُكر عنده المفصل فقال: وآى القرآن ليست بمفصل، ولكن قولوا: قصار السور وصفار السور. وقد استدل بهذا على جواز أن يقال: سورة قصيرة أو صغيرة. وقد كره ذلك جماعة منهم أبو العالية، ورخص فيه آخرون. ذكره ابن أبي داود.

وأخرج عن ابن سيرين وأبي العالية قالاً: لا تقل: سورة خفيفة فإنه تعالى يقول: ﴿سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(١)، ولكن سورة يسيرة .

فائدة

[في ترتيب مصحفى أبى وابن مسعود]

قال ابن أشتة في كتاب المصاحف: أنبأنا محمد بن يعقوب، حدثنا أبو داود، حدثنا أبو جعفر الكوفى، قال: هذا تأليف مصحف أبى: الحمد، ثم البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأنعام، ثم الأعراف، ثم المائدة، ثم يونس، ثم الأنفال، ثم براءة، ثم هود، ثم مريم، ثم الشعراء، ثم الحج، ثم يوسف، ثم الكهف، ثم النحل، ثم الأحزاب، ثم بنى إسرائيل، ثم الزمر أو لها حم، ثم طه، ثم الأنبياء، ثم النور، ثم المؤمنون، ثم سبأ، ثم العنكبوت، ثم المؤمن، ثم الرعد، ثم القصص، ثم النمل، ثم الصافات، ثم ص، ثم يس، ثم الحجر، ثم حمصق، ثم الروم، ثم الحديد، ثم الفتح، ثم القتال، ثم الظهار، ثم تبارك الملك، ثم السجدة، ثم إنا أرسلنا نوحا، ثم الأحقاف، ثم ق، ثم الرحمن، ثم الواقعة، ثم الجن، ثم النجم، ثم سأل سائل، ثم الزمل، ثم المدثر، ثم اقتربت، ثم حم، ثم الدخان، ثم لقمان

ثم حم الجائية ، ثم الطور ، ثم الذاريات ، ثم ن ، ثم الحاقة ، ثم الحشر ، ثم الممتحنة
ثم الرسائل ، ثم عم يتساءلون ، ثم لأقمم بيوم القيامة ، ثم إذا الشمس كورت ،
ثم يأتيها النبي إذا طلقت النساء ، ثم النازعات ، ثم التغابن ، ثم عبس ، ثم المطففين ،
ثم إذا السماء انشقت ، ثم والتين والزيتون ، ثم اقرأ باسم ربك ، ثم الحجرات ،
ثم المنافقون ، ثم الجمعة ، ثم لم تحرم ، ثم الفجر ، ثم لأقمم بهذا البلد ، ثم والليل ،
ثم إذا السماء انقطرت ، ثم والشمس وضحاها ، ثم والسماء والطارق ؛ ثم سبح
اسم ربك ، ثم الفاشية ، ثم الصف ، ثم سورة أهل الكتاب وهي لم يكن ، ثم الضحى ،
ثم ألم نشرح ، ثم القارعة ، ثم التكاثر ، ثم العصر ، ثم سورة الخلع ، ثم سورة الحقد ، ثم ويل
لكل هُمزة ، ثم إذا زلزلت ، ثم العاديات ، ثم الفيل ، ثم لإيلاف ، ثم رأيت ، ثم إنا أعطيناك ،
ثم القدر ، ثم الكافرون ، ثم إذا جاء نصر الله ، ثم تبّت ، ثم الصمد ، ثم الفلق ، ثم الناس .

* * *

قال ابن أشته أيضا : وأخبرنا أبو الحسن بن نافع ، أن أبا جعفر محمد بن عمرو بن
موسى حدثهم ، قال : حدثنا محمد بن إسماعيل بن سالم ، حدثنا علي بن مهزيان الطائفي ،
حدثنا جبر بن عبد الحميد ، قال : تأليف مصحف عبد الله بن مسعود :

الطول : البقرة ، والنساء ، وآل عمران ، والأعراف ، والأنعام ، والمائدة ويونس .
والثين : براءة ، والنحل ، وهود ، ويوسف ، والكهف ، وبنو إسرائيل ، والأنبياء ، وطه ،
والمؤمنون ، والشعراء ، والصفات .

والثاني : الأحزاب ، والحج ، والتقصص ، وطس النمل ، والنور ، والأنفال ،
ومريم ، والمنكبات ، والرؤم ، ويس ، والفرقان ، والحجر والرعد ، وسبا ،
والملائكة ، وإبراهيم ، وص ، والذين كفروا ، ولقمان ، والزمر ، والحواميم :
حم المؤمن ، والزخرف ، والسجدة ، وحمسق الأحقاف ، والجائية ، والدخان ،
وإنافتحنالك ، والحشر ، وتنزيل السجدة ، والطلاق ، ون والقلم ، والحجرات ،

وتبارك، والتعابن، وإذ اجاءك المنافقون، والجمعة، والصف، وقل أوحى، وإنا أرسلنا،
والمجادلة، والممتحنة، وبآيها النبي لم تحرم .
والفصل : الرحمن، والنجم، والطور، والذاريات، واقتربت الساعة، والواقعة،
والنازعات، وسأل سائل، والمدثر، والمزمل، والمطففين، وعنبر، وهل أتى، والمرسلات،
والقيامة، وعم يتسألون، وإذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، والفاشية، وسبح،
والليل، والفجر، والبروج، وإذا السماء انشقت، واقرأ باسم ربك، والبلد، والضعى،
والطارق، والعاديات، وأرأيت، والقارعة، ولم يكن، والشمس وضحاها، والتين،
وويل لكل همزة وألم تر كيف، وإيلاف قريش، وأهالك، وإنا أنزلناه، وإذا زلزلت،
والعصر، وإذا جاء نصر الله، والكواثر، وقل يا أيها الكافرون، وتبت، وقل هو الله
أحد، وألم نشرح، وليس فيه الحمد، ولا الموءذتان .

النوع التاسع عشر
في عددِ سُورته وآياته وكلماته وحروفه

أما سُورته فثلاثة وأربع عشرة سورة بإجماع مَنْ يُعتمدُ به ، وقيل : وثلاث عشرة بحمل الأفعال وبراءة سورة واحدة . أخرج أبو الشيخ عن أبي رَوْق قال : الأفعال وبراءة سورة واحدة . وأخرج عن أبي رجاء قال : سألت الحسن عن الأفعال وبراءة : سورتان أم سورة ؟ قال : سورتان . ونقل مثل قول أبي رَوْق عن مجاهد ، وأخرجه ابنُ أبي حاتم عن سفيان .

وأخرج ابنُ أشتة ، عن ابنِ لهيعة ، قال : يقولون : إن براءة مِنْ يسألونك ^(١) وإِنَّمَا لم تكتب براءة « بسم الله الرحمن الرحيم » لأنهما من « يسألونك » وشبهتهم اشتباه الطرفين وعدم البسملة . ويردّه تسمية النبي صلى الله عليه وسلم كلاً منهما .

ونقل صاحب الإقناع ، أن البسملة ثابتة لبراءة في مصحف ابن مسعود ، قال : ولا يؤخذ بهذا .

قال القشيري : الصحيح أن التسمية لم تكن فيها ، لأن جبريل عليه السلام لم ينزل بها فيها . وفي المستدرک عن ابن عباس قال : سألت علي بن أبي طالب : لِمَ لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال : لأنها أمان ، وبراءة نزلت بالسيف .

وعن مالك أن أولها لما سقط سقط معه البسملة ؛ فقد ثبت أنها كانت تعدل البقرة لطولها . وفي مصحف ابن مسعود مائة واثنان عشرة سورة ، لأنه لم يكتب الموءذنين . وفي مصحف أبي ست عشرة ، لأنه كتب في آخره سورتي الحفد والخلع .

أخرج أبو عبيد عن ابن سيرين ، قال : كتب أبي بن كعب في مصحفه فاتحة الكتاب والموءذنين ، واللهم إنا نستعينك ، واللهم إياك نعبد ، وتركهن ابن مسعود ، وكتب عثمان منهن فاتحة الكتاب والموءذنين .

(١) أي من الأفعال ، وأولها : « يسألونك عن الأفعال » .

وأخرج الطبراني في الدعاء من طريق عباد بن يعقوب الأسدي، عن يحيى بن يعلى الأسلمي، عن ابن لهيعة، عن ابن هبيرة عن عبد الله بن زُرير العافقي، قال: قال لي عبد الملك ابن مروان: لقد علمت ما حملك على حبّ أبي تراب، إلا أنك أعرابي جاف، فقلت: والله لقد جمعت القرآن من قبل أن يجتمع أبواك، ولقد علمني منه علي بن أبي طالب سورتين علمهما إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علمتهما أنت ولا أبوك: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثنى عليك ولا نكفرك، ونخلع وترك من يفجرك. اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك بالكفار ملحق.

وأخرج البيهقي من طريق سفیان الثوري، عن ابن جُريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، أن عمر بن الخطاب قف بعد الركوع، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثنى عليك ولا نكفرك، ونخلع وترك من يفجرك. بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عقمتك، إن عذابك بالكافرين ملحق.

قال ابن جُريج: حكمة البسمة أنهما سورتان في مصحف بعض الصحابة.

وأخرج محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة، عن أبي بن كعب أنه كان يفتي بالسورتين، فذكرهما، وأنه كان يكتبهما في مصحفه.

وقال ابن الضريس: أنبأنا أحمد بن جميل المروزي عن عبد الله بن المبارك، أنبأنا الأجلح عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: في مصحف ابن عباس قراءة أبي وأبي موسى: بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثنى عليك الخبير، ولا نكفرك، ونخلع وترك من يفجرك. وفيه: اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نخشى عذابك، ونرجو رحمتك، إن عذابك بالكفار ملحق.

وأخرج الطبراني بسند صحيح، عن أبي إسحاق، قال: أمنا أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، بخراسان، قرأ بهاتين السورتين: إنا نستعينك ونستغفرك.

وأخرج البيهقي وأبوداود في المراسيل عن خالد بن أبي عمران ، أن جبريل نزل بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة مع قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ...﴾ (١)

الآية ، لما قنت يدعو على مضر .

تنبيه

كذا نقل جماعة عن مصحف أبي أنه ست عشرة سورة ، والصواب أنه خمس عشرة ، فإن سورة الفيل وسورة لإيلاف قريش فيه سورة واحدة ، ونقل ذلك عن السخاوي في جمال القراء ، عن جعفر الصادق وأبي نعيم أيضاً .

قلت : ويردّه ما أخرجه الحاكم والطبراني من حديث أم هانئ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « فضل الله قريشاً بسمع ... » الحديث ، وفيه : « وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها معهم غيرهم : لإيلاف قريش » .

وفي كامل الهدى عن بعضهم أنه قال : الضحى وألم نشرح سورة واحدة ، نقله الإمام الرازي في تفسيره عن طاوس وعمر بن عبد العزيز .

فائدة

قيل : الحكمة في تسوير القرآن سُورًا تحقيق كون السورة بمجرد ما معجزة وآية من آيات الله ، والإشارة إلى أن كل سورة نمطٌ مستقلٌ ؛ فسورة يوسف تترجم عن قصته ، وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وأسرارهم ، إلى غير ذلك . وسُورت السور طوالاً وأوساطاً وقصاراً ؛ تنبيهاً على أن الطول ليس من شرط الإعجاز ، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات ، وهي معجزة إعجاز سورة البقرة ، ثم ظهرت لذلك حكمة في التعليم وتدرج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها ، تيسيراً من الله على عباده لحفظ كتابه .

قال الزركشي في البرهان : فإن قلت : فهلا كانت الكتب السالفة كذلك ؟

قلت : بلوجيب ، أحدها أنها لم تكن معجزات من جهة (٢) النظم والترتيب ، والآخر

(٢) البرهان : « من ناحية » .

أنها تيسر للحفظ ، لكن ذكر الزمخشري ما يخالفه ، فقال في الكشاف :

الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً كثيرة، وكذلك أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور ، وما أوحاه إلى أنبيائه مسورة، وبوب الصنفون في كتبهم أبواباً موشحة الصدور بالترجم ، منها أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف ، كان أحسن وأنعم من أن يكون باباً واحداً . ومنها أن القارىء إذا ختم سورة أو باباً من الكتاب ، ثم أخذ في آخر ، كان أنشط له ، وأبعث عن التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ، ومثله المسافر إذا قطع ميلاً أو فرسخاً [وانتهى إلى رأس برية] ^(١) نفَس ذلك منه ، ونشط ^(٢) للسير ، ومن ثم جُزِيَ القرآن أجزاء وأخماساً . ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها ، فيعظم عنده ما حفظه . ومنه حديث أنس : « كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد ^(٣) فينا . ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة أفضل . ومنها التفصيل بسبب تلاخُّق الأشكال والنظائر ملائمة بعضها لبعض ، وبذلك تتلاحظ المعاني والنظم ، إلى غير ذلك من الفوائد . ^(٤) انتهى .

وما ذكره الزمخشري من تصوير سائر الكتب هو الصحيح أو الصواب ، فقد أخرج ابن أبي حاتم ، عن قتادة ، قال : كنا نتحدث أن الزبور مائة وخمسون سورة ، كلها مواعظ وثناء ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ، ولا حدود . وذكروا أن في الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال .

فصل في عدد الآي

أفرده جماعة من القراء بالتصنيف ، قال الجعبري : حدَّ الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديراً ، ذو مبدأ ومقطع ، مندرج في سورة ، وأصلها العلامة . ومنه : ﴿ إِنْ آيَةٌ مَلَكَ ﴾ ^(٥) ؛ لأنها علامة للفضل والصدق ، أو الجماعة لأنها جماعة كلمة .

(٢) البرهان : « ونشطه »

(٤) نقله في البرهان : ٢٦٥١

(١) من البرهان

(٣) البرهان : « جل »

(٥) سورة البقرة ٢٤٨

وقال غيره : الآية طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها .

وقيل : هي الواحدة من المدودات في السور، سميت به لأنها علامة على صدق مَنْ أتى بها ، وعلى عجز المتحدّي بها .

وقيل : لأنها علامة على علامة انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعه مما بعدها .

قال الواحدى : وبعض أصحابنا يجوز على هذا القول تسمية أقل من الآية آية ، لولا أن التوقيف ورد بماهى عليه الآن .

وقال أبو عمر والداق : لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله : ﴿ مُدْهَامَتَانِ ﴾ ^(١) .

وقال غيره : بل فيه غيرها ، مثل : والنجم ، والضحى ، والمصر ، وكذا فواتح السور عند من عدّها .

قال بعضهم : الصحيح أن الآية إنما تعلم بتوقيف من الشارع كعرفة السورة . قال : فالآية طائفة من حروف القرآن علم بالتوقيف انقطاعها ؛ يعنى عن الكلام الذى بعدها فى أول القرآن ، وعن الكلام الذى قبلها فى آخر القرآن ، وعما قبلها وما بعدها فى غيرها ، غير مشتمل على مثل ذلك . قال : وبهذا القيد خرجت السورة .

وقال الزمخشري : الآيات علم توقيفى لا مجال للقياس فيه ، ولذلك عدّوا « ألم » آية حيث وقعت ، و « المص » ، ولم يعدّوا « المر » و « الر » ، وعدّوا « حم » آية فى سورها ، و « طه » و « يس » ولم يعدّوا « طس » .

قلت : وما يدل على أنه توقيفى ما أخرجه أحمد فى مسنده من طريق عاصم بن أبى النّجود ، عن زبّان بن زبّان عن ابن مسعود ، قال : قرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة من الثلاثين من آل حم ، قال : يعنى الأحقاف . قال : وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سُمّيت الثلاثين ... الحديث .

وقال ابن العربي : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الفاتحة سبع آيات وسورة الملك ثلاثون آية . وضح أنه قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران . قال : وتعديد الآي من معضلات القرآن ، ومن آياته طويل وقصير ، ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام ومنه ما يكون في أثناءه .

وقال غيره : سبب اختلاف السلف في عدد الآي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رموس الآي للتوقيف ، فإذا علم محلها وصل للتمام ، فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة .

وقد أخرج ابن الضريس ، من طريق عثمان بن عطاء ، عن أبيه عن ابن عباس ، قال : جميع آي القرآن ستة آلاف وستمئة آية ، وجميع حروف القرآن ثلاثمئة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمئة حرف واحد وسبعون حرفا .

قال الداني : أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك ، فمنهم من لم يزد ، ومنهم من قال : ومائتا آية وأربع آيات ، وقيل : وأربع عشرة ، وقيل : وتسع عشرة ، وقيل : وخمس وعشرون ، ، وقيل : وست وثلاثون .

قلت : أخرج الديلمي في مسند الفردوس ، من طريق الفيض بن وثيق ، عن فرات ابن سلمان ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس مرفوعا : «درج الجنة على قدر آي القرآن ، بكل آية درجة ، فتلك ستة آلاف آية ومائتا آية وست عشرة آية ، بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والأرض » . الفيض ، قال فيه ابن معين : كذاب خبيث .

وفي الشعب للبيهقي من حديث عائشة مرفوعا : « عدد درج الجنة عدد آي القرآن ، فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة » . قال الحاكم : إسناده صحيح ، لكنه شاذ ، وأخرجه الأجرى في حمة القرآن من وجه آخر عنها موقوفا .

قال أبو عبد الله الموصلي في شرح قصيدته ذات الرشد في العدد : اختلف في عدد الآي أهل المدينة ومكة والشام والبصرة والكوفة وأهل المدينة عددان : عدد أول ، وهو عدد أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح ، وعدد آخر ، وهو عدد إسماعيل ابن جعفر بن أبي كثير الأنصاري ، وأما عدد أهل مكة فهو مروى عن عبد الله بن كثير ،

عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، وأما عدد أهل الشام فرواه هارون بن موسى الأخفش وغيره ، عن عبدالله بن ذكوان وأحمد بن يزيد الحلواني وغيره ، عن هشام بن عمار . وزواه ابنُ ذكوان وهشام ، عن أيوب بن تميم القاري عن يحيى بن الحارث الدمري . قال : هذا العدد الذي نعهده عدد أهل الشام مما رواه المشيخة لنا عن الصحابة ، ورواه عبدالله بن عامر اليحصبي لنا وغيره ، عن أبي الدرداء . وأما عدد أهل البصرة فمداره على عاصم بن المجاج الجحدري . وأما عدد أهل الكوفة فهو المضاف إلى حمزة بن حبيب الزيات وأبي الحسن الكسائي وخلف بن هشام ، قال حمزة : أخبرنا بهذا العدد ابنُ أبي ليلى ، عن أبي عبد الرحمن السلمى ، عن علي بن طالب .

* * *

قال : الموصلي : ثم سور القرآن على ثلاثة أقسام : قسم لم يختلف فيه ، لافى إجمالٍ ولا فى تفصيل ، وقسم اختلف فيه تفصيلاً لإجمالاً ، وقسم اختلف فيه إجمالاً وتفصيلاً . فالأول أربعون سورة : يوسف مائة وإحدى عشرة ، الحجر تسع وتسعون ، النحل مائة وثمانية وعشرون ، الفرقان سبع وسبعون ، الأحزاب ثلاث وسبعون ، الفتح تسع وعشرون ، الحجرات والتغابن ثمان عشرة ، ق خمس وأربعون ، الذاريات ستون ، القمر خمس وخمسون ، الحشر أربع وعشرون ، الممتحنة ثلاث عشرة ، الصف أربع عشرة ، الجمعة والمناقون والضحى والعاديات إحدى عشرة ، التحريم اثنتا عشرة ، ن اثنتان وخمسون ، الإنسان إحدى وثلاثون ، الرسائل خمسون ، التكويد تسع وعشرون ، الانفطار وسبع تسع عشرة ، التطهيف ست وثلاثون ، البروج اثنتان وعشرون ، الغاشية ست وعشرون ، البلد عشرون ، الليل إحدى وعشرون ، ألم نشرح والتين وأهلاكم ثمان ، الهمزة تسع ، الفيل والفلق وتبت خمس ، الكافرون ست ، الكوثر والنصر ثلاث .

والقسم الثانى أربع سور : القصص ثمان وثمانون ، عدد أهل الكوفة « طسم » والباقون بدلها « أمة من الناس يستقون »^(١) .

العنكبوت تسع وستون ؛ عدّ أهل الكوفة « الم » ، والبصرة بدلها ﴿ مخلصين له الدين ﴾^(١) ، والشام ﴿ وتقطعون السبيل ﴾^(٢) .

الجن ثمان وعشرون ، عدّ المكي ﴿ لن يجيرني من الله أحد ﴾^(٣) والباقون بدلها : ﴿ ولن أجد من دونه مُتَّحِداً ﴾ .

العصر ثلاث ، عدّ المدني الأخير : ﴿ وتواصوا بالحق ﴾^(٤) ، دون ﴿ والعصر ﴾ وعكس الباقيون .

والقسم الثالث سبعون سورة :

- الفاتحة : الجمهور سبع ، فعّد الكوفي والمكي البسملة دون « أنعمت عليهم » وعكس الباقيون . وقال الحسن : ثمان ، فعدها ، وبعضهم ست فلم يعدّها ، وآخر تسع فعدها ﴿ وإياك نعبد ﴾ . ويقوى الأول ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن خزيمة والحاكم والدارقطني وغيرهم عن أم سلمة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ ، قطعها آية آية ، وعدّها عدّ الأعراب ، وعدّ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ آية ولم يعدّ ﴿ عليهم ﴾ . وأخرج الدارقطني بسند صحيح عن عبد خير ، قال : سئل عليّ عن السبع المثاني ، فقال الحمد لله رب العالمين ، فقيل له : إنا همى ست آيات ، فقال : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ آية . .

البقرة : مائتان وثمانون وخمس ، وقيل ست ، وقيل سبع .

آل عمران : مائتان ، وقيل : إلا آية .

النساء : مائة وسبعون وخمس ، وقيل ست وقيل سبع .

المائدة : مائة وعشرون ، وقيل وائنتان وقيل وثلاث .

(٢) سورة العنكبوت ٢٩

(٤) سورة العصر ٣

(١) سورة العنكبوت ٦٥

(٣) سورة الجن ٢٢

- الأنعام : مائة وسبعون وخمس ، وقيل : ست ، وقيل : سبع .
الأعراف : مائتان وخمس ، وقيل : ست .
الأنفال : سبعون وخمس ، وقيل : ست وقيل سبع .
براءة : مائة وثلاثون ، وقيل : إلا آية .
يونس : مائة وعشرة ، وقيل : إلا آية .
هود : مائة وإحدى وعشرون ، وقيل : اثنتان ، وقيل : ثلاث .
الرعد : أربعون وثلاث ، وقيل : أربع ، وقيل : سبع .
إبراهيم : إحدى وخمسون ، وقيل : اثنتان ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس .
الإسراء : مائة وعشر ، وقيل : وإحدى عشرة .
الكهف : مائة وخمس ، وقيل : وست ، وقيل : وعشر ، وقيل : وإحدى عشرة .
مريم : تسعون وتسع ، وقيل : ثمان .
طه : مائة وثلاثون واثنتان ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس ، وقيل : وأربعون .
الأنبياء : مائة وإحدى عشرة ، وقيل : واثنتا عشرة .
الحجج : سبعون وأربع ، وقيل : خمس ، وقيل : ست ، وقيل : ثمان .
قد أفلح : مائة وثمان عشرة ، وقيل : تسع عشرة .
النور : ستون واثنتان ، وقيل : أربع .
الشعراء : مائتان وعشرون وست ، وقيل : سبع .
المنزل : تسعون واثنتان ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس .
الروم : ستون وقيل : إلا آية .
لقمان : ثلاثون وثلاث ، وقيل : أربع .

- السجدة: ثلاثون ، وقيل : إلا آية .
سبا : خمسون وأربع : وقيل : خمس .
فاطر : أربعون وست ، وقيل : خمس .
يس : ثمانون وثلاث ، وقيل : اثنتان .
الصفات : مائة وثمانون وآية ، وقيل : آيتان .
ص : ثمانون وخمس ، وقيل : ست ، وقيل : ثمان .
الزمر : سبعون وآيتان ، وقيل : ثلاث : وقيل : خمس .
غافر : ثمانون وآيتان ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس ، وقيل : ست .
فصلت : خمسون واثنتان ، وقيل : ثلاث ، وقيل : أربع .
شورى : خمسون ، وقيل : ثلاث .
الزخرف : ثمانون وتسع ، وقيل : ثمان .
الدخان : خمسون وست ، وقيل : سبع ، وقيل : تسع .
الجاثية : ثلاثون وست ، وقيل : سبع .
الأحقاف : ثلاثون وأربع ، وقيل : خمس .
القتال : أربعون ، وقيل : إلا آية ، وقيل : إلا آيتين .
الطور : أربعون وسبع ، وقيل : ثمان ، وقيل : تسع .
النجم : إحدى وستون ، وقيل : اثنتان .
الرحمن : سبعون وسبع ، وقيل : ست ، وقيل : ثمان .
الواقعة : تسعون وتسع ، وقيل : سبع ، وقيل : ست .
الحديد : ثلاثون وثمان ، وقيل : تسع .
قد سمع : اثنتان ، وقيل : إحدى وعشرون .
الطلاق : إحدى - وقيل : اثنتا - عشرة .

تبارك : ثلاثون ، وقيل : إحدى وثلاثون ، بعد ﴿ قالوا آتيناك نذيراً ﴾^(١) ، قال الموصلي : والصحيح الأول ، قال ابن شنبوذ : ولا يسوغ لأحدٍ خلافه للأخبار الواردة في ذلك . أخرج أحمد وأصحاب السنن وحسنه الترمذي ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت ل صاحبها ، حتى غفر له ، تبارك الذي بيده الملك » . وأخرج الطبراني بسند صحيح ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سورة في القرآن » ما هي إلا ثلاثون آية ، خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة ، وهي سورة تبارك .

الحاقة : إحدى - وقيل : اثنتان - وخسون .

المعارج : أربعون وأربع ، وقيل : ثلاث .

نوح : ثلاثون ، وقيل : إلا آية ، وقيل : إلا آيتين .

المزمل : عشرون ، وقيل : إلا آية ، وقيل : إلا آيتين .

المدثر : خمسون وخمس ، وقيل : ست .

القيامة : أربعون ، وقيل : إلا آية .

عم : أربعون ، وقيل : وآية .

النازعات : أربعون وخمس ، وقيل : ست .

عبس : أربعون ، وقيل : وآية ، وقيل : وآيتان .

الانشقاق : عشرون وثلاث ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس .

الطارق : سبع عشرة ، وقيل : ست عشرة .

الفجر : ثلاثون ، وقيل : إلا آية ، وقيل : اثنتان وثلاثون .

الشمس : خمس عشرة ، وقيل : ست عشرة .

اقرأ : عشرون ، وقيل : إلا آية .

القدر : خمس ؛ وقيل : ست .

لم يكن : ثمان ، وقيل : تسع .

الزَّلْزَلَةُ : تسع ، وقيل : ثمان .

القَارِعَةُ : ثمان ، وقيل : عشر ، وقيل : إحدى عشرة .

قَرِيشٌ : أربع ، وقيل : خمس .

أَرَأَيْتَ : سبع ، وقيل : ست .

الإِخْلَاصُ : أربع ، وقيل : خمس .

النَّاسُ : سبع ، وقيل : ست .

ضوابط

البسمة نزلت مع السورة في بعض الأحرف السبعة ؛ من قرأ بحرف نزلت فيه عدّها ومن قرأ بغير ذلك لم يعدّها .

وعدّ أهل الكوفة « ألم » حيث وقع آية ؛ وكذا المص ، وطه وكهيمص ؛ وطسم ، ويس ؛ وحم . وعدّوا جمعق آيتين ؛ ومن عدّاهم لم يعدّ شيئاً من ذلك .

وأجمع أهل العدد على أنه لا يعدّ الر حيث وقع آية ، وكذا المر ، وطس ؛ وص ، وق ، ون . ثم منهم من علّل بالأثر واتباع المنقول وأنه أمر لا قياس فيه ، ومنهم من قال : لم يعدّوا ص ، ون ، وق ، لأنها على حرف واحد ؛ ولا طس ، لأنها خالفت أخوينها بحذف الميم ، ولأنها تشبه المفرد كقبايل ، ويس وإن كانت بهذا الوزن ، لكن أولها ياء فأشبهت الجمع ، إذ ليس لنا مفرد أوله ياء . ولم يعدّوا الر بخلاف ألم ، لأنها أشبه بالفواصل من الر ، وكذلك أجمعوا على عدّ « يأيها المدثر » آية لما شاكلته الفواصل بعده ، واختلفوا في « يأيها المزمل » .

قال الموصلي : وعدّوا قوله : « ثم نظر » آية ، وليس في القرآن أقصر منها ، أما مثلها فعمّ ، والفجر ، والضحى .

تذييب

نظم علي بن محمد الفالي أرجوزة في القرائن والأخوات ، ضمنها السور التي اتفقت في عدّة الآي كالناتحة والماعون ، وكالرحمن والأنتال ، وكأيوسف والكهف والأنبياء ، وذلك معروف مما تقدم .

فائدة

يترتب على معرفة الآي وعدها وفواصلها أحكام فقهية :

منها: اعتبارها فيمن جهل الفاتحة ، فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات .

ومننا: اعتبارها في الخطبة ، فإنه يجب فيها قراءة آية كاملة ، ولا يكفي شطرها إن لم تكن طويلة ، وكذا الطويلة على ما أطلقه الجمهور ؛ وهاهنا بحث ؛ وهو أن ما اختلف في كونه آخر آية ، هل تكفي القراءة به في الخطبة ؟ محل نظر ؛ ولم أر من ذكره .

ومننا: اعتبارها في السورة التي تقرأ في الصلاة ، أو ما يقوم مقامها ، ففي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الصبح بالستين إلى المائة .

ومننا: اعتبارها في قراءة قيام الليل ؛ ففي أحاديث : « مَنْ قرأ بعشر آيات لم يكتب من الغافلين » ، و « مَنْ قرأ خمسين آية في ليلة كتب من الحافظين » ، و « مَنْ قرأ بمائة آية كتب من القانتين » ، و « مَنْ قرأ مائتي آية كتب من الفائزين » ، و « مَنْ قرأ بثلاثمائة آية كتب له قنطار من الأجر » ، و « مَنْ قرأ خمسمائة وسبعمائة وألف آية ... » أخرجه الدارمي في مسنده مفرقة .
ومننا: اعتبارها في الوقف عليها كما سيأتي .

وقال الهنلي في كماله : اعلم أن قوماً جهلوا العدد وما فيه من الفوائد، حتى قال الزعفراني : العدد ليس بعلم ، وإنما اشتغل به يعضهم ليروج به سوقه . قال : وليس كذلك ، ففيه من الفوائد ، معرفة الوقف ، ولأن الإجماع انعقد على أن الصلاة لاتصح بنصف آية . وقال جمع من العلماء : تجزئ بآية ، وآخرون بثلاث آيات ، وآخرون لا بد من سبع ؛ والإعجاز لا يقع بدون آية ؛ فللمدد فائدة عظيمة في ذلك انتهى .

فائدة ثانية

ذكر الآيات في الأحاديث والآثار أكثر من أن يحصى ، كالأحاديث في الفاتحة ،

وأربع آيات من أول البقرة ، وآية الكرسي ، والآيتين خاتمة البقرة ؛ وكحديث اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : ﴿ وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) ﴿ وَآلَمْ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ (٢) وفي البخارى عن ابن عباس : إذا سرّك أن تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام : ﴿ قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ... ﴾ إلى قوله : ﴿ مُهْتَدِينَ ﴾ (٣).

وفي مسند أبي يعلى عن السور بن محزّمة ، قال : قلت لعبد الرحمن بن عوف : يا خال ، أخبرنا عن قصّةكم يوم أحد ، قال : اقرأ بعد العشرين ومائة من آل عمران تجد قصتنا : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ (٤).

فصل

وعدّ قوم كلمات القرآن سبعة وسبعين ألف كلمة ، وتسعمائة وأربعا وثلاثين كلمة. وقيل : وأربعمائة وسبع وثلاثون ، ومائتان وسبع وسبعون ، وقيل غير ذلك .
قيل : وسبب الاختلاف في عدّ الكلمات ، أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ونلفظ ورسم ، واعتبار كلّ منها جائز ، وكلّ من العلماء اعتبر أحد الجوانب .

فصل

وتقدّم عن ابن عباس عدّ حروفه ، وفيه أقوال آخر ، والاشتغال باستيعاب ذلك ممّا لا طائل تحته ، وقد استوعبه ابن الجوزى في فنون الألفان ، وعدّة الأنصاف والأثلاث إلى الأعراس ، وأوسع القول في ذلك ، فراجع منه ، فإنّ كتابنا موضوع للمهمات ، لا للمثل هذه البطالات .

وقد قال السخاوى : لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة ، لأنّ ذلك إن أفاد فإمّا يفيد في كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان ، والقرآن لا يمكن فيه ذلك .

(٢) سورة آل عمران ٢١ ،
(٤) سورة آل عمران ١٢١

(١) سورة البقرة ١٦٣
(٣) سورة الأنعام ١٤٠

ومن الأحاديث في اعتبار الحروف ما أخرجه الترمذى عن ابن مسعود مرفوعاً: « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَلِهَا ، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلامٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ » .

وسبسة وعشرون حرف وأخرج الطبرانى عن عمر بن الخطاب مرفوعاً : « القرآن ألف ألف حرف ، فمن قرأه صابراً محتسباً كان له بكل حرف زوجة من الخور العين » . رجاله ثقات إلا شيخ الطبرانى محمد بن عبيد بن آدم بن أبى إياس ، تكلم فيه الذهبي لهذا الحديث . وقد سئل ذلك على ما نسخ رسمه من القرآن أيضاً ، إذ الموجود الآن لا يبلغ هذا العدد .

فائدة

قال بعض القراء : القرآن العظيم له أنصاف باعتبارات ، فنصفه بالحروف النون من ﴿ نَكْرًا ﴾^(١) في الكهف ، والكاف من النصف الثانى .

ونصفه بالكلمات الدال من قوله : ﴿ وَالْجُلُود ﴾^(٢) في الحج ، وقوله : ﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ ﴾^(٣) من النصف الثانى .

ونصفه بالآيات ﴿ يَأْفَكُونَ ﴾ من سورة الشعراء ، وقوله ﴿ فَأَتَى السِّجْرَةَ ﴾^(٤) من النصف الثانى .

ونصفه على عداد السور آخر الحديد ، والمجادلة من النصف الثانى .

وهو عشرة بالأحزاب . وقيل : إن النصف بالحروف الكاف من « نكرا » . وقيل : الفاء من قوله : ﴿ وَلَيَبْتَاطِفَنَّ ﴾^(٥) .

(٢) سورة الحج ٢٠
(٤) سورة الشعراء ٤٥ ، ٤٦

(١) سورة الكهف ٧٤
(٣) سورة الحج ٢١
(٥) سورة الكهف ١٩

التَوْحُّ الْعِشْرُونَ
في معرفة خِصْفِ ظَهْرِ زُرَّائِهِ

روى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب»؛ أى تعلموا منهم. والأربعة المذكورون اثنان من المهاجرين وهما المبتدأ بهما، واثنتان من الأنصار. وسالم هو ابن معقل مولى أبي حذيفة ومعاذ هو ابن جبل. قال الكرماني: يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم أراد الإعلام بما يكون بعده، أى أن هؤلاء الأربعة يبقون حتى ينفردوا بذلك.

وتُعقَّبُ بأنهم لم ينفردوا، بل الذين مهروا في تجويد القرآن بعد العصر النبويّ أضعاف المذكورين، وقد قتل سالم مولى أبي حذيفة في وقعة اليمامة، ومات معاذ في خلافه عمر، ومات أبيّ وابن مسعود في خلافة عثمان، وقد تأخر زيد بن ثابت، وانتهت إليه الرياسة في القراءة، وعاش بعدهم زمنا طويلا، فالظاهر أنه أمر بالأخذ عنهم في الوقت الذي صدر فيه ذلك القول، ولا يلزم من ذلك ألا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن، بل كان الذي يحفظون مثل الذي حفظوه وأزيد، جماعة من الصحابة. وفي الصحيح في غزوة بئر معونة، أن الذين قُتلوا بها من الصحابة كان يقال لهم القراء، وكانوا سبعين رجلا.

وروى البخارى أيضا عن قتاده، قال: سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قلت: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتى.

وروى أيضا من طريق ثابت، عن أنس، قال: مات النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. وفيه مخالفة لحديث قتادة من وجهين: أحدهما التصريح بصيغة الحصر في الأربعة، والآخذ كراي الدرداء بدل أبي بن كعب، وقد استنكر جماعة من الأئمة الحصر في الأربعة.

وقال المازرى: لا يلزم من قول أنس: «لم يجمعه غيرهم»، أن يكون الواقع في نفس

الأمر كذلك ، لأن التقدير أنه لا يعلم أن سوامم جمعه ؛ وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة ، وتفريقهم في البلاد او هذا لا يتم إلا إن كان لقي كل واحد منهم على انفراده ، وأخبره عن نفسه أنه لم بكل له جمع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وهذا في غاية البعد في العادة ، وإذا كان المرجع إلى ما في علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك . قال : وقد تمسك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة ولا متمسك لهم فيه ، فإننا لانسلم حمله على ظاهره ، سلمناه ؛ ولكن من أين لهم أن الواقع في نفس الأمر كذلك ! سلمناه لكن لا يلزم من كون كل من الجَمِّ الغفير لم يحفظه كله ألا يكون حفظ مجموعة الجَمِّ الغفير ؛ وليس من شرط التواتر أن يحفظ كل فرد جميعه ، بل إذا حفظ الكل ولو على التوزيع كفى .

وقال القرطبي : قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء ، وقتل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بينر معونة مثل هذا العدد . قال : وإنما خص أنس الأربعة بالذكر لشدة تعلقه بهم دون غيرهم ، أو لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم .

وقال القاضي أبو بكر البلاقاني : الجواب عن حديث أنس من أوجه : أحدها : أنه لا مفهوم له ، فلا يلزم ألا يكون غيرهم جمعه .

الثاني : المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي نزل بها إلا أولئك .

الثالث : لم يجمع ما نسخ منه بعد تلاوته وما لم ينسخ إلا أولئك .

الرابع : أن المراد يجمعه تلقيه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بواسطة ، بخلاف غيرهم ، فيحتمل أن يكون تلقى بعضه بالواسطة .

الخامس : أنهم تصدوا لإلقائه وتعليمه ، فاشتهروا به ، وخفي حال غيرهم عن عرف حالهم ، فحصر ذلك فيهم بحسب علمه ، وليس الأمر في نفس الأمر كذلك .

السادس : المراد بالجمع الكتابة ، فلا يفتى أن يكون غيرهم جمعه حفظا عن ظهر قلبه ، وأما هؤلاء ، فجموه كتابة ، وحفظوه عن ظهر قلب .

السابع : المراد أن أحداً لم يُفصح بأنه جمعه بمعنى أكل حفظه في عهد رسول الله صلى عليه وسلم إلا أولئك بخلاف غيرهم ، فلم يُفصح بذلك ، لأن أحداً منهم لم يكمله إلا عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت آخر آية ؛ فلعل هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ما حضرها إلا أولئك الأربعة ممن جمع جميع القرآن قبلها ، وإن كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع الكثير .

الثامن : أن المراد بجمعه السمع والطاعة له ، والعمل بموجبه ، وقد أخرج أحمد في الزهد من طريق أبي الزاهرية ، أن رجلاً أتى أبا الدرداء ، فقال : إن ابني جمع القرآن ، فقال : اللهم غفرأ ، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع .

قال ابن حجر : وفي غالب هذه الاحتمالات تكلف ؛ ولا سيما الأخير . قال : وقد ظهر لي احتمال آخر ؛ وهو أن المراد إثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط ، فلا ينفى ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين ، لأنه قال ذلك في معرض المفاخرة بين الأوس والخزرج ؛ كما أخرجه ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : افتخر الحليان : الأوس والخزرج ، فقال الأوس : متأربعة : من اهتز له العرش سعد بن معاذ ، ومن عدلت شهادته رجلين خزيمية بن ثابت ، ومن غسلته الملائكة حنظلة بن أبي عامر ، ومن حتمه الدبر عاصم بن أبي ثابت ، فقال الخزرج : متأربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم ؛ فذكرهم .

قال : والذي يظهر من كثير من الأحاديث أن أبا بكر كان يحفظ القرآن في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففي الصحيح أنه بنى مسجداً ببناء داره ، فكان يقرأ فيه القرآن ؛ وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذلك . قال : وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبي بكر على تلقى القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم و فراغ باله له وهما بمكة ، وكثرة ملازمة كل منهما للآخر ، حتى قالت : عائشة إنه صلى الله عليه وسلم : كان يأتيهم بكرة وعشيًا . وقد صح حديث : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله » ، وقد قدمه صلى الله عليه وسلم في مرضه إماماً لله المهاجرين والأنصار ، فدل على أنه كان أقرأهم . انتهى .

وسبقه إلى ذلك ابن كثير .

قلت : لكن أخرج ابن أشته في المصاحف ، بسند صحيح عن محمد بن سيرين ، قال : مات أبو بكر ولم يُجمع القرآن ، وقُتِلَ عمر ولم يُجمع القرآن . قال ابن أشته : قال بعضهم : يعني لم يقرأ جميع القرآن حفظاً ، وقال بعضهم : هو جمع المصاحف .

قال ابن حجر : وقد ورد عن عليّ ، أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبيّ صلى الله عليه وسلم . أخرجه ابن أبي داود .

وأخرج النسائيّ بسند صحيح عن عبد الله بن عمر ، قال : « جمعتُ القرآن ، فقرأت به كل ليلة فبلغ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : اقرأه في شهر... » الحديث .

وأخرج ابن أبي داود بسند حسن عن محمد بن كعب القرظيّ قال : جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة من الأنصار : معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وأبيّ بن كعب ، وأبو الدرداء ، وأبو أيّوب الأنصاريّ .

وأخرج البيهقيّ في المدخل ، عن ابن سيرين ، قال : جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة ، لا يختلف فيهم : معاذ بن جبل ، وأبيّ بن كعب ، وزيد ، وأبو زيد ، واختلّفوا في رجلين من ثلاثة : أبي الدرداء و عثمان . وقيل : عثمان وتميم الداريّ .

وأخرج هو وأبو داود ، عن الشعبيّ ، قال : جمع القرآن في عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم ستة : أبيّ ، وزيد ، ومُعاذ ، وأبو الدرداء ، وسعد بن عبيد ، وأبو زيد ، ومُجمّع بن جارية ؛ قد أخذها إلاّ سورتين أو ثلاثة .

وقد ذكر أبو عبيد في كتاب القراءات : القراء من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فعدّ من المهاجرين الخلفاء الأربعة ، وطاحه وسعداً ، وابن مسعود وحذيفة وسالمًا وأبا هريرة ، وعبد الله بن السائب ، والعبادة وعائشة وحفصة وأم سلمة . ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومُعاذ الذي يكنى أبا حايمة ، ومُجمّع بن جارية وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد . وصريح بأن بعضهم إنما أكله بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ فلا يرد على الحصر المذكور في حديث

أنس . وعدّ ابن أبي داود منهم تيمياً الدارىّ وعُقبه بن عامر .
وتمن جمعه أيضا أبو موسى الأشعريّ ، ذكره أبو عمرو الدانيّ .

تنبيه

أبو زيد المذكور في حديث أنس ، اختلف في اسمه ، فقيل : سعد بن عبيد بن النعمان ،
أحد بني عمرو بن عون ؛ وردّ بأنه أوسى وأنس خزرجىّ . وقد قال إنه أحد عمومه ، وبأنّ
الشعبيّ عدّه هو وأبو زيد جمعيا فيمن جمع القرآن كما تقدم ، فدلّ على أنه غيره .

وقال أبو أحمد المسكويّ : لم يجمع القرآن من الأوس غير سعد بن عبيد . وقال
ابن حبيب في المحبّر : سعد بن عبيد أحد من جمع القرآن على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم .
وقال ابن حجر : قد ذكر ابن أبي داود فيمن جمع القرآن قيس بن أبي صعصعة ، وهو خزرجىّ
يكنى أبا زيد ، فلعلمه هو . وذكر أيضا سعد بن المنذر بن أوس بن زهير ؛ وهو خزرجىّ ؛
لكن لم أر التصريح بأنه يكنى أبا زيد .

قال : ثمّ وجدت عند ابن أبي داود ما رفع الإشكال ، فإنه روى بإسناد على شرط
البخارىّ إلى ثمامة عن أنس أن أبا زيد الذي جمع القرآن اسمه قيس بن السكّن . قال :
وكان رجلاً منّا من بني عدىّ بن النجار أحد هموميّ ، ومات ولم يدع عقباً ، ونحن ورثناه .
قال ابن أبي داود : حدّثنا أنس بن خالد الأنصاريّ ، قال : هو قيس بن السكّن بن
زعوراء من بني عدىّ بن النجار . قال ابن أبي داود : مات قريباً من وفاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فذهب علمه ، ولم يؤخذ عنه ، وكان عميقاً بديراً . ومن الأقوال في اسمه :
ثابت وأوس ومُعاذ .



فائدة

ظفرت بامرأة من الصحابيّات جمعت القرآن ، لم يدعها أحدٌ ممن تكلم في ذلك ،
فأخرج ابن سعد في الطبقات : أنبأنا الفضل بن دكين ، قال : حدّثنا الوليد بن عبد الله بن

جميع ، قال حدثني جدي عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ، ويسمّيها الشهيذة ، وكانت قد جمعت القرآن - أن رسول الله عليه وسلم حين غزا بدرًا ، قالت له : أتأذن لي فأخرج معك أداوي جرحاكم وأمراض مرضاكم ، لعل الله يهدي لي شهادة ؟ قال : إن الله مهديك شهادة . وكان صلى الله عليه وسلم قد أمرها أن تؤم أهل دارها ، وكان لها مؤذن ، فقتلها غلام لها وجارية كانت دبرتها ، فقتلها في إمارة عمر ، فقال عمر : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يقول : انطلقوا بنا نزور الشهيذة .

* * *

فصل

[في المشتهرين بالإقراء]

المشتهرون بإقراء القرآن من الصحابة سبعة: عثمان ، وعلي ، وأبي ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري ، كذا ذكرهم الذهبي في طبقات القراء. قال : وقد قرأ علي أبي جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس وعبد الله ابن السائب ، وأخذ ابن عباس عن زيد أيضا ، وأخذ عنهم خلق من التابعين .

فمن كان بالمدينة : ابن المسيب ، وعروة ، وسالم ، وعمر بن عبد العزيز ، وسليمان وعطاء ابنا يسار ، ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القارئ ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وابن شهاب الزهري ، ومسلم بن جندب ، وزيد بن أسلم .

وبمكة : عبيد بن عمير ، وعطاء بن أبي رباح ، وطاوس ، مجاهد وعكرمة ، وابن أبي مليكة .

وبالسكوفة: علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعبيدة ، وعمر بن شرحبيل ، والحارث بن قيس ، والربيع بن خثيم ، وعمر بن ميمون ، وأبو عبد الرحمن السلمى ، وزر بن حبيش ، وعبيد بن نضيلة ، وسعيد بن جبير ، والنخعي والشعبي .

وبالبصرة : أبو العالية ، وأبو رجاء ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتانة .

وبالشام: للغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان ، وخليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء .

ثم تجرد قوم، واعتنوا بضبط القراءة أتمّ عناية ، حتى صاروا أئمةً يُقَدَى بهم ويرحل إليهم ، فكان بالمدينة : أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، ثم شيبة بن نصّاح ، ثم نافع بن أبي نعيم .

وبمكة : عبد الله بن كثير ، وحيد بن قيس الأعرج ، ومحمد بن مُحَيصن .
وبالكوفة : يحيى بن وثّاب ، وعاصم بن أبي النّجود ، وسليمان الأعمش ، ثم حمزة ثم الكسائي .

وبالبصرة : عبد الله بن أبي إسحاق ، وعيسى بن عمر ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعاصم الجحدري ثم يعقوب الحضرمي .

وبالشام : عبد الله بن عامر ، وعطية بن قيس الكلّابي ، وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر ، ثم يحيى بن الحارث الذماري ، ثم شريح بن يزيد الحضرمي .
واشتهر من هؤلاء في الآفاق الأئمة السبعة :

نافع ؛ وقد أخذ عن سبعة من التابعين ، منهم أبو جعفر .

وابن كثير ؛ وأخذ عن عبد الله بن السائب الصحابي .

وابو عمرو ؛ وأخذ عن التابعين .

وابن عامر ، وأخذ عن أبي الدرداء ، وأصحاب عثمان .

وعاصم ؛ وأخذ عن التابعين .

وحمزة ؛ وأخذ عن عاصم والأعمش والسبيعي ومنصور بن المعتمر وغيره .

والكسائي ؛ وأخذ عن حمزة وأبي بكر بن عيَّاش .

ثم انتشرت القراءات في الأقطار ، وتفرقت أئمة بعد أمم ؛ واشتهر من رواة كل طريق من طرق السبعة راويان :

فمن نافع : قالون وورش ، عنه .

وعن ابن كثير : قنبل والبرقي ، عن أصحابه عنه .

وعن أبي عمرو : الدوري والسوسي ، عن اليزيدي ، عنه .

وعن ابن عامر : هشام وابن ذكوان عن أصحابه ، عنه .

وعن عاصم : أبو بكر بن عياش ، وحفص ، عنه .

وعن حمزة : خلف وخالد ، عن سليم عنه .

وعن الكسائي : الدوري ، وأبو الخارث .

* * *

ثم لما اتسع الخرق وكاد الباطل ياتمس بالحق ، قام جهاذة الأمة ، وبالفواقي الاجتهاد ، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعزوا الوجوه والروايات ، وميزوا الصحيح والمشهور والشاذ بأصول أصلوها ، وأركان فصولها .

فأول من صنف في القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام ، ثم أحمد بن جبير الكوفي ثم إسماعيل بن إسحاق المالكي صاحب قالون ، ثم أبو جعفر بن جرير الطبري ، ثم أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداخوي ، ثم أبو بكر بن مجاهد ، ثم قام الناس في عصره وبعده بالتأليف في أنواعها ، جامعاً ومفرداً ، وموجزاً ومسهباً ، وأئمة القراءات لا تحصى .

وقد صنف طبقاتهم حافظ الإسلام أبو عبد الله الذهبي ، ثم حافظ القراءات أبو الخير ابن

الجزري .

النوع الحادي والعشرون
معرفة القسبي والتازل من أسانيد

اعلم أن طلب علو الإسناد سنة ، فإنه قرب إلى الله تعالى ؛ وقد قسمه أهل الحديث إلى خمسة أقسام ورأيها تأتي هنا :

الأول : القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث العدد بإسناد نظيف غير ضعيف ، وهو أفضل أنواع العلو وأجلها ؛ وأعلى ما يقع للشيوخ في هذا الزمان إسناد رجاله أربعة عشر رجلا ؛ وإنما يقع ذلك من قراءة ابن عامر من رواية ابن ذكوان ، ثم خمسة عشر ؛ وإنما يقع ذلك من قراءة عاصم من رواية حفص وقراءة يعقوب من رواية رؤيس .

* * *

الثاني من أقسام العلو عند المحدثين : القرب إلى إمام من أئمة الحديث كالأعمش وهشيم وابن جريح والأوزاعي ومالك ؛ ونظيره هنا القرب إلى إمام من الأئمة السبعة ، فأعلى ما يقع اليوم للشيوخ بالإسناد المتصل بالتلاوة إلى نافع اثنا عشر ، وإلى عامر اثنا عشر .

* * *

الثالث عند المحدثين : العلو بالنسبة إلى رواية أحد الكتب الستة ، بأن يروى حديثا لورواه من طريق كتاب من الستة وقع أنزل مما لورواه من غير طريقها ، ونظيره هنا العلو بالنسبة إلى بعض الكتب المشهورة في القراءات ، كالتيسير والشاطبية . ويقع في هذا ، النوع المواقف ، والأبدال ، والمساواة ، والمصاحف .

فالمواقفة : أن تجتمع طريقة مع أحد أصحاب الكتب في شيخه ، وقد يكون مع علو على مالورواه من طريقه ؛ وقد لا يكون ؛ مثاله هذا الفن قراءة ابن كثير رواية البرزعي ، طريق ابن بنان عن أبي ربيعة عنه ، يرويها ابن الجزري من كتاب الفتح لأبي منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون ، ومن كتاب المصباح لأبي الكرم

الشهرزورى ، وقرأ بها كلٌّ من المذكورين على عبد السيد بن عتاب ، فراويته لها من أحد الطريقين ، تسمى موافقة للآخر ، باصطلاح أهل الحديث .

والبدل : أن يجتمع معه في شيخ شيخه فصاعداً ، وقد يكون أيضاً بعلو ، وقد لا يكون . مثاله هنا قراءة أبي عمرو رواية الدورىّ طريق ابن مجاهد ، عن أبي الزّعرار عنه ، رواها ابن الجزرىّ من كتاب التيسير ، قرأ بها الدّانى على أبي القاسم عبدالعزیز بن جعفر البغدادىّ ، وقرأ بها على أبي طاهر عن ابن مجاهد ؛ ومن المصباح ، قرأ بها أبو الكرم على أبي القاسم يحيى بن أحمد السّيبىّ ، وقرأ بها على أبي الحسن الحماوىّ ، وقرأ على أبي طاهر ؛ فروايتها من طريق المصباح تسمى بدلاً للدّانى في شيخ شيخه .

والمساواة : أن يكون بين الراوى والنّبىّ صلى الله عليه وسلم أو الصحابىّ أو من دونه إلى شيخ أحد أصحاب الكتب ، كما بين أحد أصحاب الكتب والنّبىّ صلى الله عليه وسلم أو الصحابىّ أو من دونه على ما ذكر من العدد .

والمصاحفة : أن يكون أكثر عدداً منه بواحد ؛ فكأنه لقي صاحب ذلك الكتاب وصاحبه ، وأخذ عنه ؛ مثاله قراءة نافع ؛ رواها الشاطبىّ عن أبي عبد الله محمد بن علىّ النّفريّ عن أبي عبد الله بن غلام الفرس ، عن سليمان بن نجاح وغيره ، عن أبي عمرو الدانى ، عن أبي الفتح فارس بن أحمد ، عن عبد الباقي بن الحسن ، عن إبراهيم بن عمر المقرئ ، عن أبي الحسين بن بويان ، عن أبي بكر بن الأشعث ، عن أبي جعفر الرّبعىّ المعروف بابىّ نشيط ، عن قالون ، عن نافع . ورواها ابن الجزرىّ عن أبي محمد بن البغدادىّ وغيره ، عن البصانغ عن الكمال بن فارس ، عن أبي اليّمن الكندىّ ، عن أبي القاسم هبة الله ابن أحمد الحريرىّ ، عن أبي بكر الخياط ، عن القَرَضىّ ، عن ابن بويان . فهذه مساواة لابن الجزرىّ ، لأن بينه وبين ابن بويان سبعة ، وهو العدد الذى بين الشاطبىّ وبينه ، وهى لمن أخذ عن ابن الجزرىّ مصاحفة للشاطبىّ .

ومما يشبه هذا التقسيم الذى لأهل الحديث ، تقسيم القراء أحوال الإسناد، إلى قراءة ورواية وطريق ووجه ، فالخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم ، وانفتحت عليه الروايات والطرق عنه فهو قراءة ، وإن كان للراوى عنه فرواية، وأولن بعده فإزلاً فطريق ، وأول على هذه الصفة مما هو راجع إلى تختيار القارى فيه، فوجه .

* * *

الرابع من أقسام العلوّ : تقدّم وفاة الشيخ عن قريبه الذى أخذ عن شيخه ، فالآخذ مثلاً عن التاج بن مكتوم أعلى من الآخذ عن أبى المعالى بن اللّبان ، وعن ابن اللّبان أعلى من البرهان الشامى ، وإن اشتركوا فى الآخذ عن أبى حيان ، لتقدم وفاة الأول على الثانى، والثانى على الثالث .

* * *

الخامس : العلوّ بموت الشيخ لامع التفاتٍ لأمرٍ آخر ، أو شيخ آخر متى يكون . قال بعض المحدّثين : يوصف الأسناد بالعلوّ إذا مضى عليه من موت الشيخ خمسون سنة . وقال ابن منده : ثلاثون ؛ فعلى هذا ، الآخذ عن أصحاب ابن الجزرى عالٍ من سنة ثلاث وستين وثمانمائة ؛ لأن ابن الجزرى آخر من كان سنّه عالياً ، ومضى عليه حينئذ من موته ثلاثون سنة .

فهذا ما حرّرتّه من قواعد الحديث ، وخرّجت عليه قواعد القراءات ، ولم أسبق إليه والله الحمد والمنّة .

وإذا عرفت العلوّ بأقسامه، عرفت النزول ، فإنه ضدّه ، وحيث ذمّ النزول فهو مالم ينجبر بكون رجاله أعلم وأحفظ وأتقن أو أجل أو أشهر أو أروع ؛ أما إذا كان كذلك فليس بمذموم ولا مفضول .

النوع الثاني والثالث والرابع والخامس
والسادس والسابع والعشرون
معرفة المتواتر والميشهور والآحاد
والشاذ والموضوع والمدرج

اعلم أن القاضي جلال الدين البلقيني قال : القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذ ، فالمتواتر القراءات السبعة المشهورة ، والآحاد قراءات الثلاثة التي هي تمام العشر ، ويلحق بها قراءة الصحابة ، والشاذ قراءات التابعين كالأعمش ويحيى بن وثاب وابن جبير ونحوهم .

وهذا الكلام فيه نظرٌ يُعرف مما سند كره ؛ وأحسن من تكلم في هذا النوع إمام القراء في زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير بن الجزري ، قال في أوّل كتابه النشر : كلُّ قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العمانية ولو احتمالاً ، وصحّ سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ، ولا يحلُّ إنكارها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها ، سواء كانت عن الأئمة السبعة ، أم عن العشرة ، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختلف ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ، سواء كانت عن السبعة أم عن كبر مناهم . هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف ، صرح بذلك الداني ومكي والمهدوي وأبو شامة ، وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحدٍ منهم خلافه .

قال أبو شامة في المرشد الوجيز : لا ينبغي أن يُفتَر بكلِّ قراءة تُقرَى ^(١) إلى أحد السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة ، وأنها أنزلت هكذا ، إلا إذا دخلت في ذلك الضابط ، وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره ، ولا يختصّ ذلك بنقلها عنهم ، بل إن نقلت عن غيرهم من القراء ، فذلك لا يخرجها عن الصحة ، فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف ، لا على

(١) العشر : « تعزى إلى واحد » .

مَنْ تَنَسَّبَ إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّ الْقِرَاءَةَ لِلنَّسُوبَةِ إِلَى كُلِّ قَارِئٍ مِنَ السَّبْعَةِ وَغَيْرِهِمْ مَنْقَسِمَةٌ إِلَى الْمَجْمَعِ عَلَيْهِ وَالشَّاذِّ ؛ غَيْرَ أَنَّ هَؤُلَاءِ السَّبْعَةَ لَشَهْرَتِهِمْ وَكَثْرَةَ الصَّحِيحِ الْمَجْمَعِ عَلَيْهِ فِي قِرَاءَتِهِمْ ، تَرَكْنَ النَّفْسَ إِلَى مَا نَقَلَ عَنْهُمْ فَوْقَ مَا يَنْقُلُ عَنْ غَيْرِهِمْ .

ثم قال ابن الجزريّ: فقولنا في الضابطة: «ولو بوجه» ، نريد به وجهاً من وجوه النحو، سواء كان أفصح أم فصيحاً، مجماً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع، وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح؛ إذ هو الأصل الأعظم، والركن الأقوم. وكمن قراءة أنكراها بعض أهل النحو أو كثير منهم؛ ولم يعتبر إنكارهم، كإسكان ﴿بَارئِكُمْ﴾^(١)، و﴿يَأْمُرُكُمْ﴾^(٢)، وخفض ﴿وَالْأَرْحَامِ﴾^(٣)، ونصب ﴿لِيُجْزَى قَوْمًا﴾^(٤)، والفصل بين المضافين في ﴿قَتَلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾^(٥) وغير ذلك.

قال الدانيّ: وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الألف في اللفظة والأفيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل، وإذا ثبتت الرواية لم يردّها قياس عربية ولافتوائية، لأنّ القراءة سنّة متبعة، يلزم قبولها والمصير إليها.

قلت: أخرج سعيد بن منصور في سنّنه، عن زيد بن ثابت، قال: القراءة سنّة متبعة. قال البيهقيّ: أراد اتباع مَنْ قبلنا في الحروف سنّة متبعة، لا يجوز مخالفة المصحف الذي هو إمام، ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة، وإن كان غير ذلك سائفاً في اللفظة أو أظهر منها.

ثم قال ابن الجزريّ: ونعني بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتاً في بعضها دون بعض؛ كقراءة ابن عامر: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ﴾^(٦) في البقرة بغير واو، و﴿بِالزَّبْرِ بِالْكِتَابِ﴾^(٧)

(١) سورة البقرة ٥٤ (٢) سورة البقرة ٦٧ (٣) سورة النساء ١
(٤) سورة البقرة ١٤ قال القرطبي: «يأء مضمومة وفتح الزاي على الفعل المجهول وقوماً بالنصب، قال السكّاني: معناها ليجزى الجزاء قوماً» . (٥) سورة الأنعام ١٣٧ وانظر القرطبي ٧ : ٩١ .
(٦) سورة البقرة ١١٦ (٧) سورة آل عمران ١٨٤

بإثبات الباء فيها ؛ فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي ، وكقراءة ابن كثير ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾^(١) في آخر براءة ، بزيادة « من » فإنه ثابت في المصحف المسكي ، ونحو ذلك ؛ فإن لم تكن في شيء من المصاحف العثمانية فشاذاً لمخالفتها الرسم المجمع عليه .

وقولنا : « ولو احتمالاً » ، نغني به ما وافقه ولو تقديرًا ك ﴿ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ، فإنه كتب في الجميع بلا ألف ، فقراءة الحذف توافقه تحقيقًا ، وقراءة الألف توافقه تقديرًا ، لحذفها في الخط اختصارًا كما كتب : ﴿ مَلِكٌ الْمَلِكِ ﴾^(٢) .

وقد يوافق اختلاف القراءات الرسم تحقيقًا ، نحو « تعلمون » بالتاء والياء و « يغفر لكم » بالياء والنون ؛ ونحو ذلك مما يدل تجرّده عن النقط والشكل في حذفه وإثباته على فضل عظيم للصحابة رضی الله عنهم في علم الهجاء خاصة وفهم ثاقب في تحقيق كل علم . وانظر كيف كتبوا « الصراط » بالصاد المبدلة من السين ، وعدلوا عن السين التي هي الأصل لتكون قراءة السين - وإن خالفت الرسم من وجه - قدأت على الأصل ، فيمتدلان ، وتكون قراءة الإشمام محتملة ، ولو كتب ذلك بالسين على الأصل لقات ذلك . وعُدت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل ، ولذلك اختلف في ﴿ بَصْطَةً ﴾^(٣) الأعراف دون ﴿ بسطة ﴾^(٤) البقرة ، لكون حرف البقرة كتب بالسين والأعراف بالصاد ، على أن مخالف صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يمدد مخالفًا إذا ثبتت القراءة به ، ووردت مشهورة مستفاضة ، ولذا لم يعدوا إثبات ياء الزوائد ، وحذف ياء ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي ﴾^(٥) في الكهف ، وواو ﴿ وَأَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(٦) والظاء من ﴿ بَصْنِينَ ﴾^(٧) ونحوه من مخالفة الرسم المرذودة ، فإن الخلاف في ذلك مفتقر ، إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد ، وتُشميه صحّة القراءة وشهرتها وتلقاها بالقبول ، بخلاف زيادة كلمة ونقصانها ، وتقديمها وتأخيرها ؛ حتى ولو كانت حرفًا واحدًا من حروف المعاني ،

(٢) سورة آل عمران ٢٦

(٤) سورة البقرة ٢٤٧

(٦) سورة المنافقين ٢٠

(١) سورة التوبة ١٠٠

(٣) سورة الأعراف ٦٩

(٥) سورة الكهف ٧٠

(٧) سورة التكاوير ٢٤

فإن حكمه في حكم الكلمة ، لا تسوغ مخالفة الرسم فيه ، وهذا هو الحد الفاصل في حقيقة اتباع الرسم ومخالفته .

قال : وقولنا : « وصح مسندها » نغني به أن يروى تلك القراءة العدل الضابط عن مثله ، وهكذا حتى ينتهي ، وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن ، غير معدودة عندهم من العاط ، أو مما شذ بها بعضهم .

قال : وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن ، ولم يكتب بصحة السند ؛ وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، وأن ما جاء بحج ، الأحاد لا يثبت به قرآن .

قال : وهذا مما لا يخفى ما فيه ؛ فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره ؛ إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب قبوله ، وقُطِع بسكونه قرآنًا ، سواء وافق الرسم أم لا . وإذا شرطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن السبعة . وقد قال أبو شامة : شاع على السنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن السمع كلها متواترة ، أي كل فردٍ فردٍ فيما روى عنهم .

قالوا : والقطع بأنها منزلة من عند الله واجب ، ونحن بهذا نقول ؛ ولكن فلما اجتمعت على نقله عنهم الطرق ، واتفقت عليه الفرق من غير تكبيره ، فلا أقل من اشتراط ذلك إذا لم يتفق التواتر في بعضها .

وقال الجعبري : الشرط واحد ؛ وهو صحة النقل ، ويلزم الآخران ، فمن أحكم معرفة حال النقلة وأمعن في العربية ، وأتقن الرسم ، انحلت له هذه الشبهة .

وقال مكي : ماروى في القرآن على ثلاثة أقسام :

قسم يُقرأ به ويكفر جاحده ، وهو ما نقله التفات ، ووافق العربية وخط للصحف .

وقدم صحح نقله عن الأحاد ، وصح في العربية ، وخالف لفظه الخط ، فيقبل ولا يقرأ به

لأمرين : مخالفته لما أُجمِع عليه ، وأنه لم يؤخذ بإجماع ، بل ببحر الأحاد ولا يثبت به قرآن ، ولا يكفر جاحده ، ولبس ما صنع إذ جده !

وقسم نقله ثقة ، ولا وجه له في العربية ، أو نقله غير ثقة ، فلا يقبل وإن وافق الخط .
وقال ابن الجزرى : مثال الأول كثير كـ « مالك » « وملك » ، و « يخذعون »
و « يخذعون » ، ومثال الثانى قراءة ابن مسعود وغيره « والد كَرِ والأنتى » ، ^(١) وقراءة ابن عباس : « وكان أمامهم ملكٌ يأخذُ كل سفينة صالحة » ^(٢) ، ونحو ذلك . قال :
واختلف العلماء في القراءة بذلك ، والأكثر على المنع ، لأنها لم تتواتر ، وإن ثبتت بالنقل ؛
فهي منسوخة بالعرضة الأخيرة ، أو بإجماع الصحابة على المصحف العمانى .

ومثال ما نقله غير ثقة كثيرٌ مما فى كتب الشواذ ، مما غالب إسناده ضعيف ؛
وكالقراءة النسوبة إلى الإمام أبى حنيفة التى جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعى ،
ونقلها عنه أبو القاسم الهدلى ، ومنها : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » ^(٣) يرفع « الله »
ونصب « العلماء » ، وقد كتب الدارقطنى وجماعة بأن هذا الكتاب موضوع ، لأصل له .
ومثال ما نقله ثقة ولا وجه له في العربية . قليل لا يكاد يوجد ، وجمل بعضهم منه
رواية خارجة عن نافع « معاش » بالهمز .

قال : وبقي قسم رابع مردود أيضا ، وهو موافق العربية والرسم ، ولم ينقل البيته
فهذا رده أحق ، ومنعه أشد ، ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر ، وقد ذكر جواز
ذلك عن أبى بكر بن مِقْسَم ، وعقد له بسبب ذلك مجلس وأجمعوا على منعه ، ومن تم
امتنت القراءة بالقياس المطلق الذى لأصل له يرجع إليه ولا ركن يعتمد فى الأداء عليه .
قال : أماما له أصل كذلك ، فإنه مما بصار إلى قبول القياس عليه كقياس إدغام « قال

(١) - سورة الليل ٤٥ فى قوله : « وما خلق الذكروالأنثى » . (٢) سورة الكهف ٧٩

(٣) - سورة قاطر ٢٨

رجلان « على « قال رب » ، ونحوه مما لا يخالف نصاً ولا أصلاً ، ولا يرد إجماعاً ، مع أنه قليل جداً (١) .

* * *

قلت : أتقن الإمام ابن الجزرى هذا الفصل جداً ، وقد تحررتلى منه أن القراءات أنواع : الأول : المتواتر وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، عن مثلهم إلى منتهاه : وغالب القراءات كذلك .

الثانى : المشهور ، وهو ما صحّ سنده ولم يبلغ درجة التواتر ، ووافق العربية والرسم ؛ واشتهر عند القراء ، فلم يعدّه من الغلط ولا من الشذوذ ، ويقرأ به على ما ذكر ابن الجزرى ويفهمه كلام ابن شامة السابق . ومثاله ما اختلفت الطرق فى نقله عن السبعة ، فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض ، وأمثلة ذلك كثيرة فى فرش الحروف من كتب القراءات كالذى قبله ، ومن أشهر ما صنف فى ذلك التيسير للدانى ، وقصيدة الشاطبى ، وأوعية النشر فى القراءات العشر ، وتقريب النشر ، كلاهما لابن الجزرى .

الثالث : الآحاد ، وهو ما صحّ سنده وخالف الرسم أو العربية ، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ، ولا يقرأ به ، وقد عقد الترمذى فى جامعه ، والحاكم فى مستدركه لذلك باباً أخرجا فيه شيئاً كثيراً صحيح الإسناد ؛ من ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجحدري عن أبى بكر أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ : « متكئين على رفارف خضرٍ وعباقرى حسان » (٢) .

وأخرج من حديث أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قرأ : « وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَاتٍ أَعْيُنٌ » (٣) .

وأخرج عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قرأ : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ » (٤)

(١) النشر ١ : ٩ - ١٨ مع تصرف واختصار (٢) سورة الرحمن ٧٦ ، وانظر تفسير القرطبي ١٧ : ١٩١

(٤) سورة التوبة ١٢٨

(٣) سورة السجدة ١٧

بفتح الفاء. وأخرج عن عائشة أنها صلى الله عليه وسلم قرأ: ﴿قُرْؤُوحٌ وَرَبِّحَانٌ﴾^(١) يعني بضم الراء .
الرابع الشاذ ، وهو ما لم يصحّ سنده ، وفيه كتب مؤلفة ، من ذلك قراءة « مَلَكٌ يَوْمَ
الدين » بصيغة الماضي ، ونصب « يوم » ، و « إِيَّاكَ يُعْبَدُ » بينائه للمفعول .
الخامس : الموضوع كقراءات الخزاعي .

وظهر لي سادس يشبهه من أنواع الحديث المدرج ؛ وهو ما زيد في القراءات على
وجه التفسير ، كقراءة سعد بن أبي وقاص « وَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِّنْ أُمَّ »^(٢) أخرجها
سعيد بن منصور .

وقراءة ابن عباس . « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ
الْحَجِّ »^(٣) . أخرجها البخاري .

وقراءة ابن الزبير : « وَ لَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَسْتَعِينُونَ بِاللَّهِ عَلَى مَا أُصَابِهِمْ »^(٤) قال عمر : فما أدري : أكانت
قراءته أم فسرر ؟ أخرجها سعيد بن منصور ، وأخرجها الأنباري ؛ وجزم بأنه تفسير .

وأخرج عن الحسن أنه كان يقرأ : « وَإِنْ مِنْكُمْ الْإِوَارِدُهَا » ، « الْوُرُودُ الدَّخُولُ »^(٥) .
قال ابن الأنباري : قوله : « الْوُرُودُ الدَّخُولُ » ، تفسير من الحسن لمعنى الورد . وغلط فيه
بعض الرواة فألحقه بالقرآن .

قال ابن الجزري في آخر كلامه : وربما كانوا يدخلون التفسير في القراءة
إيضاحاً وبياناً ، لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قرآناً ، فهم آمنون من
الالتباس ، وربما كان بعضهم يكتبه معه .

وأما من يقول : إن بعض الصحابة كان يميز القراءة بالمعنى ، فقد كذب . انتهى .
وسأفرد في هذا النوع — أعنى المدرج — تأليفاً مستقلاً .

(٢) سورة النساء ١٢

(٤) سورة آل عمران ١٠٤

(١) سورة الواقعة ٨٩

(٣) سورة البقرة ١٩٨

(٥) سورة مريم ٧١

تنبيهات

الأول : لاخلاف أن كل ما هو من القرآن يجب أن يكون متواتراً في أصله وأجزائه؛ وأما في محله ووضعه وترتيبه فكذلك عند محققى أهل السنّة ، للقطع بأنّ العادة تقضى بالتواتر في تفاصيل مثله ؛ لأنّ هذا المعجز العظيم الذى هو أصل الدين القويم والصراف المستقيم ، مما تتوفّر الدواعى على نقل جملته وتفصيله ، فما نُقلَ آحاداً ولم يتواتر ، يُقطع بأنه ليس من القرآن قطعاً . وذهب كثير من الأصوليين إلى أنّ التواتر شرط في ثبوت ما هو من القرآن بحسب أصله ؛ وليس بشرط في محله ووضعه وترتيبه ؛ بل يكفى فيها نقل الأحاد . قيل : وهو الذى يقتضيه صنع الشافعى في إثبات البسمة من كلّ سورة .

ورُدَّ وهذا المذهب بأنّ الدليل السابق يقتضى التواتر في الجميع ، ولأنّه لو لم يشترط لجاز سقوط كثير من القرآن المكرّر وثبوت كثير مما ليس بقرآن ، أمّا الأوّل فلأنّ لو لم نشترط التواتر في المحلّ جاز ألا يتواتر كثير من المتكرّرات الواقعة في القرآن ، مثل ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ؛ وأما الثانى فلأنّه إذ لم يتواتر بعض القرآن بحسب المحلّ ، جاز إثبات ذلك البعض في الموضع بنقل الأحاد .

وقال القاضى أبو بكر في الانتصار : ذهب قوم من الفقهاء والتكلميين إلى إثبات قرآن حكماً لا علماً بخبر الواحد دون الاستفاضة ، وكره ذلك أهل الحق وامتنعوا منه .

وقال قوم من المتكلميين : إنّه يسوغ إعمال الرأى والاجتهاد في إثبات قراءة وأوجه وأحرف ؛ إذا كانت تلك الأوجه صواباً في العربية ، وإن لم يثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ بها ؛ وأبى ذلك أهل الحق ، وأنسكروه وخطئوا من قال به . انتهى .

وقد بنى المالكية وغيرهم ممن قال بإنكار البسمة قولهم على هذا الأصل ،

وقرّوه بأنّها لم تتواتر في أوائل السور ، ومالم يتواتر فليس بقرآن .

وأجيب من قبلنا بمنع كونها لم تتواتر ، فربّ متواتر عند قوم دون آخرين ، وفي وقت دون آخر ، ويكفي في تواترها إثباتها في مصاحف الصحابة فمن بعدهم بحظ المصحف ، مع منعمهم أن بُكِّت في المصحف ما ليس منه ، كأسماء السور ، وآمين ، والأعشار ؛ فلو لم تكن قرآناً لما استجازوا إثباتها بحظه من غير تمييز ؛ لأنّ ذلك يُحْمَل على اعتقادها ، فيكونون مفرّرين بالمسلمين ، حاملين لهم على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآناً ، وهذا مما لا يجوز اعتقاده في الصحابة .

فإن قيل : لعلّها أُثبتت للفصل بين السور ؛ أجيب بأنّ هذا فيه تفرير ، ولا يجوز ارتكابه لمجرد الفصل ؛ ولو كانت له لكتبت بين برائة والأنفال .

وبدلّ لكونها قرآناً منزلاً ما أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم عن أمّ سلامة ، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الحمد لله رب العالمين ﴿ ... الحديث ؛ وفيه : وعد « بسم الله الرحمن الرحيم » آية ، ولم يعد « عليهم » .

وأخرج ابنُ خزيمة والبيهقيّ في المعرفة بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : استرق الشيطان من الناس أعظم آية من القرآن ؛ « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وأخرج البيهقيّ في الشعب وابن مردويه بسند حسن ، من طريق مجاهد عن ابن عباس قال : أغفل الناس آية من كتاب الله لم تنزل على أحد سوى النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن يكون سليمان بن داود ؛ « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وأخرج الدارقطنيّ والطبرانيّ في الأوسط بسند ضعيف عن بُريدة ، قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « لا أخرج من المسجد حتى أخبرك بآية لم تنزل على نبيّ بعد سليمان غيري » . ثم قال : « بأيّ شيء تفتتح القرآن إذا افتتحت الصلاة ؟ » ، قلت : « بسم الله الرحمن الرحيم » قال ، « هي هي » .

وأخرج أبو داود والحاكم والبيهقي والبزار من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه : « بسم الله الرحمن الرحيم » . زاد البزار : « فإذا نزلت عرف أن السورة قد ختمت واستقبلت ، أو ابتدئت سورة أخرى »

وأخرج الحاكم من وجه آخر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل « بسم الله الرحمن الرحيم » ، فإذا نزلت علموا أن السورة قد انقضت » . إسناده على شرط الشيخين .

وأخرج الحاكم أيضاً من وجه آخر عن سعيد بن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا جاءه جبريل فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، علم أنها سورة . إسناده صحيح .
وأخرج البيهقي في الشعب وغيره عن ابن مسعود ، قال : كنا لا نعلم فصلاً بين السورتين ، حتى تنزل : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

قال أبو شامة : يحتمل أن يكون ذلك وقت عرضه صلى الله عليه وسلم على جبريل ، كان لا يزال يقرأ في السورة إلى أن يأمره جبريل بالتسمية ، فيعلم أن السورة قد انقضت . وعبر صلى الله عليه وسلم بلفظ النزول إشعاراً بأنها قرآن في جميع أوائل السور . ويحتمل أن يكون المراد أن جميع آيات كل سورة كانت تنزل قبل نزول البسملة ، فإذا كملت آياتها نزل جبريل بالبسملة ، واستعرض السورة ، فيعلم النبي صلى الله عليه وسلم أنها قد ختمت ، ولا يلحق بها شيء .

وأخرج ابن خزيمة والبيهقي بسند صحيح ، عن ابن عباس ، قال : السبع المثاني فاتحة الكتاب ، قيل : فأين السابعة ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم .

وأخرج الدارقطني بسند صحيح ، عن علي : أنه سئل عن السبع المثاني ، فقال : الحمد لله رب العالمين ، فقيل له : إنما هي ست آيات ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم آية .

وأخرج الدارقطني وأبو نعيم والحاكم في تاريخه بسند ضعيف عن نافع ، عن ابن

عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « كان جبريل إذا جاءني بالوحي أول ما يلقي عليّ : بسم الله الرحمن الرحيم » .

وأخرج الواحدى من وجه آخر عن نافع عن ابن عمر ، قال : نزلت بسم الله الرحمن الرحيم في كلِّ سورة .

وأخرج البيهقي من وجه ثالث ، عن نافع عن ابن عمر ، أنه كان يقرأ في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم ، وإذا ختم السورة قرأها ، ويقول : ما كتبت في المصحف إلا لتقرأ .

وأخرج الدارقطنى بسند صحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قرأتم الحمد ، فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم ، إنها أم القرآن ، وأم الكتاب والسمع الثماني ، وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها » .

وأخرج مسلم عن أنس ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذا أغفى إغفاءة ، ثم رفع رأسه متبسماً ، فقال : أنزلت على آنفاسورة ، قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك الكوثر ... الحديث .

فيذه الأحاديث تعطى التواتر المعنوي بكونها قرآناً منزلاً في أوائل السور .

ومن المشكل على هذا الأصل ما ذكره الإمام نجر الدين ، قال : نُقِلَ في بعض الكتب القديمة أن ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والموذنين من القرآن ، وهو في غاية الصعوبة ، لأننا إن قلنا : إن التقل التواتر كان حاصلًا في عصر الصحابة بكون ذلك من القرآن ، فإنكاره يوجب الكفر ، وإن قلنا : لم يكن حاصلًا في ذلك الزمان ، فيلزم أن القرآن ليس بمتواتر في الأصل . قال : وإلا غلب على الظن أن نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل باطل ، وبه يحصل الخلاص عن هذه العقدة . وكذا قال القاضي أبو بكر : لم يصح عنه أنها ليست من القرآن ولا حفظ عنه . إنما حكها وأسقطها من مصحفه

إنكاراً لكتابتها ، لا جِدَدًا لكونها قرآنًا ؛ لأنَّه كانت السنة عنده ألا يُكتب في المصحف إلا ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإثباته فيه ، ولم يجده كتب ذلك ولا سمعه أمر به .
وقال النووي في شرح المهذب : أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاحة من القرآن ، وأن من حجد منها شيئًا كفر ، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح .

وقال ابن حزم في المحلى : هذا كذب على ابن مسعود وموضوع ، وإنما صح عنه قراءة عاصم عن زرعنه ، وفيها المعوذتان والفاحة .

وقال ابن حجر في شرح البخاري : قد صح عن ابن مسعود إنكار ذلك ، فأخرج أحمد وابن حبان عنه أنه كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه .

وأخرج عبد الله بن أحمد في زيادات المسند والطبراني وابن مردويه من طريق الأعمش عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي ، قال : كان عبد الله بن مسعود يحك المعوذتين من مصاحفه ، ويقول : إيهما ليستا من كتاب الله .

وأخرج البزار والطبراني من وجه آخر عنه ، أنه كان يحك المعوذتين من المصحف ويقول : إتمام أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ بهما ، وكان لا يقرأ بهما . أسانيد صحيحة .
قال البزار : لم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة ، وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بهما في الصلاة .

قال ابن حجر : فقول من قال إنه كذب عليه مردود ، والظن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل ، بل الروايات صحيحة ، والتأويل محتمل . قال : وقد أوله القاضي وغيره على إنكار الكتابة كما سبق . قال : وهو تأويل حسن ؛ إلا أن الرواية الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك حيث جاء فيها : « ويقول : إيهما ليستا من كتاب الله » . قال : ويمكن حمل لفظ « كتاب الله » على المصحف فيتم التأويل المذكور . قال : لكن من تأمل سياق الطرق المذكورة ، استبعد هذا الجمع .

قال : وقد أجاب ابن الصباغ ، بأنه لم يستقرَّ عنده القطع بذلك ، ثم حصل الاتفاق بعد

ذلك ، وحاصله أنهما كانتا متواترتين في عصره ؛ لكنهما لم يتواترا عنده. انتهى .

وقال ابن قتيبة في مشكل القرآن : ظنّ ابن مسعود أنّ المعوذتين ليستا من القرآن لأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ بهما الحسن والحسين ، فأقام على ظنّه ، ولاقول : إنه أصاب في ذلك وأخطأ المهاجرون والأنصار .

قال : وأما إسقاطه الفاتحة من مصحفه ، فليس لظنه أنها ليست من القرآن ، معاذ الله ! ولكنه ذهب إلى أن القرآن إنما كتبت وجمع بين اللوحين مخافة الشكّ والنسيان والزيادة والنقصان ، ورأى أن ذلك مأمون في سورة الحمد لقصرها ووجوب تعلّمها على كل واحد (١) .

قلت : وإسقاطه الفاتحة من مصحفه ، أخرجه أبو عبيد بسند صحيح كما تقدم في أوائل النوع التاسع عشر .

* * *
التنبيه الثاني

قال الزركشي في البرهان : القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز ، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كيفيةها ، من تخفيفٍ وتشديدٍ وغيرهما ، والقراءات السبع متواترة عند الجمهور . وقيل : بل مشهورة .

قال : الزركشي : والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة ، أما تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم ففيه نظر ، فإن إسنادهم هذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات ، وهي نقل الواحد عن الواحد .

قلت : في ذلك نظر لما سيأتي . واستثنى أبو شامة - كما تقدم - الألفاظ المختلف فيها عن القراء .

واستثنى ابن الحاجب ما كان من قبيل الأداء كاللدة والإمالة وتحقيق الممزة . وقال

(١) - نكل القرآن ص ٣٣ ، ٣٤ مع تصرف في العبارة واختصار

غيره : الحق أن أصل المدّ والإمالة متواتر ، ولكن التقدير غير متواتر للاختلاف في كلفيته .
كذا قال الزركشي ، قال : وأما أنواع تحقيق الهمزة فكلاهما متواترة .

وقال ابن الجزري : لانعلم أحداً تقدم ابن الحاجب إلى ذلك ، وقد نصّ على تواتر ذلك كله أئمة الأصول كلقاضي أبو بكر وغيره ، وهو الصواب ، لأنه إذا ثبت تواتر اللفظ ثبت تواتر هيئة أدائه ، لأن اللفظ لا يقوم إلا به ، ولا يصحّ إلا بوجوده .

* * *

التنبيه الثالث

قال أبو شامة : ظنّ قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث ، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبةً ، وإنما يظنّ ذلك بعض أهل الجهل .

وقال أبو العباس بن عمار : لقد نقل مسبّع هذه السبعة ما لا ينبغي له ، وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كلّ من قلّ نظره ، أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر ؛ وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أوزاد ليزيل الشبهة . ووقع له أيضاً في اقتصره عن كلّ إمام على راويين أنه صار من سمع قراءة راوئالك غيرهما أبطلها ، وقد تكون هي أشهر وأصح وأظهر . وربما بالغ من لا يفهم نطقاً أو كُفراً .

وقال أبو بكر بن العربي : ليست هذه السبعة متعيّنة للجواز حتى لا يجوز غيرها كقراءة أبي جعفر وشيبة والأعمش ونحوهم ؛ فإن هؤلاء مثلهم أو فوقهم . وكذا قال غير واحد ؛ منهم مكي وأبو العلاء الهمداني وآخرون من أئمة القراء .

وقال أبو حيان : ليس في كتاب ابن مجاهد ومن تبعه من القراءات المشهورة إلا النزر اليسير ، فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راوياً ثم ساق أسماءهم ، واقتصر في كتاب ابن مجاهد على اليزيديّ ، واشتهر عن اليزيديّ عشرة أنفس ،

فكيف يقتصر على الشوسى والدورى ، وليس لها مزية على غيرها ! لأن الجميع يشتركون في الضبط والإتقان والاشتراك في الأخذ . قال : ولا أعرف لهذا سببا إلا ما قُضى من نقص العلم .

وقال مكى : من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم هي الأحرف السبعة التى في الحديث فقد غلط غلطا عظيما . قال : ويلزم من هذا أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة وغيرهم ، ووافق خط المصحف ، ألا يكون قرآنا ، وهذا غلط عظيم ؛ فإن الذين صنفوا القراءات من الأئمة المتقدمين كآبى عبيد القاسم بن سلام وآبى حاتم السجستاني وآبى جعفر الطبرى وإسماعيل القاضي ، قد ذكروا أضعاف هؤلاء ، وكان الناس على رأس المائتين بالبصرة على قراءة أبى عمرو ويعقوب ، وبالكوكة على قراءة حمزة وعاصم ، وبالشام على قراءة ابن عامر ، وبمكة على قراءة ابن كثير ، وبالمدينة على قراءة نافع ، واستمروا على ذلك ، فلما كان على رأس الثلاثمائة أثبت ابن مجاهد اسم الكسائى وحذف يعقوب . قال : والسبب في الاقتصار على السبعة - مع أن في أئمة القراء من هو أجل منهم قدراً ومثلهم أكثر من عددهم - أن الرواة عن الأئمة كانوا كثيراً جداً ، فلما تقاصرت المهمم ، اقتصروا مما يوافق خط المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به ، فنظروا إلى من اشتهر بالثقة والأمانة وطول العمر في ملازمة القراءة والاتفاق على الأخذ عنه ، فأفردوا من كل مصر إماماً واحداً ، ولم يتركوا مع ذلك نقل ما كان عليه الأئمة غير هؤلاء من القراءات ولا القراءة به ، كقراءة يعقوب وآبى جعفر وشيبة وغيرهم . قال : وقد صنف ابن جبير المكى قبل ابن مجاهد كتابا في القراءات ، فاقصر على خمسة اختار من كل مصر إماماً ؛ وإنما اقتصر على ذلك لأن المصاحف التى أرسلها عثمان كانت خمسة إلى هذه الأمصار ؛ ويقال : إنه وجه بسبعة : هذه الخمسة ومصحفاً إلى اليمن ومصحفاً إلى البحرين ، لكن لما لم يُسمع لهذين

المصحفين خبر ، وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف ، استبدلوا من غير البحرين واليمن قارئين كمالهما العدد ، فصادف ذلك موافقة المدد الذي ورد الخبر به ، فوقع ذلك لمن لم يعرف أصل المسألة ؛ ولم تكن له فطنة ، فظن أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع . والأصل المعتمد عليه صحة السند في السماع ، واستقامة الوجه في العربية وموافقة الرسم . وأصحّ القراءات سنداً نافعاً وعامحاً ، وأصحها أبو عمرو والكسائي .

وقال القرّاب^(١) في الشافى : التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة ؛ وإنما هو من جمع بعض المتأخرين ، فانشر وأوهم أنه لا تجوز الزيادة على ذلك ، وذلك لم يقل به أحد .

وقال الكواشى : كل ما صحّ سنده واستقام وجهه في العربية ، ووافق خط المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوصة ، ومتى فُقد شرط من الثلاثة فهو الشاذ .

وقد اشتدّ إنكار أئمة هذا الشأن على من ظنّ انحصار القراءات الشهورة في مثل ما في التبسير والشاطبية ، وآخر من صرح بذلك الشيخ تقي الدين السبكي فقال في شرح المنهاج : قال الأصحاب : تجوز القراءة في الصلاة وغيرها بالقراءات السبع ؛ ولا تجوز بالشاذة وظاهر هذا يؤهم أن غير السبع المشهورة من الشواذ ، وقد نقل البغوى الاتفاق على القراءة بقراءة يعقوب وأبي جعفر مع السبع المشهورة ؛ وهذا القول هو الصواب .

قال : واعلم أن الخارج عن السبع المشهورة على قسمين : منه ما يخالف رسم المصحف فهذا لا شك فيه أنه لا تجوز قراءته لافى الصلاة ولا فى غيرها . ومنه ما لا يخالف رسم المصحف ، ولم تشتهر القراءة به ؛ وإنما ورد من طريق غريب لا يقول عليها ، وهذا يظهر المنع من القراءة به أيضاً . ومنه ما اشتهر عند أئمة هذا الشأن القراءة به قديماً وحديثاً ، فهذا الوجه للمنع منه ، ومن ذلك قراءة يعقوب وغيره .

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم القرّاب ، وانظر الفهرست ٤٦ :

قال : والبقوى أولى مَنْ يُعتمد عليه في ذلك ؛ فإنه مقرى ؛ فقيه جامع للعلوم . .
قال : وهكذا التفصيل في شواذ السبعة ، فإنّ عنهم شيئا كثيرا شاذًا . انتهى .

وقال ولده في منع الموانع : إنما قلنا في جمع الجوامع : والسبع متواترة ، ثم قلنا في الشاذ والصحيح : إنه ما وراء العشرة ، ولم نقل : والعشر متواترة ، لأنّ السبع لم يختلف في تواترها ، فذكرنا أولاً موضع الإجماع ، ثم عطفنا عليه موضع الخلاف . قال : على أن القول بأن القراءات الثلاث غير متواترة في غاية السقوط ، ولا يصحّ القول به عمّن يعتبر قوله في الدين ، وهي لا تخالف رسم المنسحف . قال : وقد سمعتُ أبي يشدّد النكير على بعض القضاة ، وقد بلغه أنّه منع من القراءة بها ، واستأذنه بعض أصحابنا مرّة في إقراء السبع ، فقال : أذنت لك أن تقرّ العشر . انتهى .

وقال في جواب سؤال سأله ابن الجزرى : القراءات السبع ، التي اقتصر عليها الشاطبي ، والثلاث التي هي قراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة ، وكلّ حرف انفرد به واحد من العشرة معلومٌ من الدين بالضرورة أنّه منزلٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهل .

* * *

التنبيه الرابع

باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام ، ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة في ﴿ لَمَسْتُمْ ﴾ و ﴿ لَمْ تَسْمُ ﴾^(١) . وجواز وطفء الحائض عند الانقطاع قبل الغسل وعدمه على الاختلاف في ﴿ يَطْهَرْنَ ﴾^(٢) ، وقد حكوا خلافا غريبا في الآية ، إذا قرئت بقراءتين ، فحكى أبو الليث السمرقندى في كتاب البستان قولين : أحدهما أن الله قال بهما جميعا ، والثاني أن الله قال بقراءة واحدة ، إلا أنه أذن أن نقرأ بقراءتين . ثم اختار توسطا ، وهو أنّه إن كان لكل قراءة تفسير يفاير الآخر

(١) سورة النساء ٤٣ ، وانظر تفسير القرطبي ٥ : ٢٢٣

(٢) سورة البقرة ٢٢٢ ، وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم ، وقراءة الفضل ﴿ يَطْهَرْنَ ﴾ بالشديد .

فقد قال بهما جميعاً، وتصير القراءتان بمنزلة آيتين، مثل ﴿حتى يطهرن﴾ وإن كان تفسيرهما واحداً كـ ﴿البيوت﴾^(١) و﴿البيوت﴾^(١)؛ فإتاما قال بإحدهما، وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة؛ على ما تعود لسأهم.

قال: فإن قيل: إذا قلتم إنه قال بإحدهما، فأتى القراءتين هي؟ قلنا: التي بلغة قريش. انتهى وقال بعض المتأخرين: لاختلاف التراءات وتنوعها فوائد:

منها: التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة.

ومنها: إظهار فضائها وشرفها على سائر الأمم، إذ لم ينزل كتابٌ غيرهم إلا على وجه

واحد.

ومنها: إعظام أجرها، من حيث أنهم يفرغون جهدهم في تحقيق ذلك وضبطه لفظاً لفظاً، حتى مقادير المدّات وتفاوت الإمالات، ثم في تتبع معاني ذلك واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتمايل والترجيح.

ومنها: إظهار سرّ الله في كتابه وصيائته له عن التبديل والاختلاف مع كونه على هذه

الأوجه الكثيرة.

ومنها: المبالغة في إعجازه بإيجازه، إذ تنوّع القراءات بمنزلة الآيات، ولو جعلت دلالة

كل لفظ آية على حدة، لم يخف ما كان فيه من التطويل، ولهذا كان قوله: ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾^(٢) منزلاً لفعل الرجل، والمسح على الخف، واللفظ واحد، لكن باختلاف إعرابه.

ومنها: أن بعض القراءات يبين مآلهه يُجْهَل في القراءة الأخرى، فقراءة ﴿يَطْهَرُونَ﴾

بالتشديد مبيّنة لمعنى قراءة التخفيف، وقراءة: ﴿فَامضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٣)، تبيّن

أن المراد بقراءة ﴿فَاسْعَوْا﴾ الذهاب، لا المشى السريع.

وقال أبو عبيد في فضائل القرآن: المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة

(١) سورة البقرة ١٨٩ (٢) سورة المائدة ٦، بالرفع والنصب والخفض، وانظر تفسير القرطبي، ٦: ٩١.

(٣) سورة الجمعة ٩، وهي قراءة ابن مسعود.

وتبيين معانيها ، كقراءة عائشة وحفصة « وَالْوُسْطَىٰ صَلَاةُ الْعَصْرِ » (١) ، وقراءة ابن مسعود « فَأَقْطَعُوا أَيْمَانَهُمَا » (٢) وقراءة جابر « فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (٣) قال : فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن ، وقد كان يُروى مثل هذا عن التابعين في التفسير فيستحسن ، فكيف إذا روى عن كبار الصحابة ثم صار في نفس القراءة ! فهو أكثر من التفسير وأقوى ، فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحّة التأويل . انتهى .

وقد اعتنيت في كتاب « أسرار التنزيل » ببيان كل قراءة أفادت معنى زائدا على القراءة المشهورة .

التنبيه الخامس

اختلف في العمل بالقراءة الشاذة ، فنقل إمام الحرمين في البرهان عن ظاهر مذهب الشافعي ، أنه لا يجوز ، وتبعه أبو نصر القشيري ، وجزم به ابن الحاجب ، لأنه نقله على أنه قرآن ، ولم يثبت . وذكر القاضيان : أبو الطيب والحسين ، والروائي والرافعي العمل بها ، تنزيلاً لها منزلة خبر الآحاد ، وصححه ابن السبكي في جمع الجوامع وشرح المختصر . وقد احتج الأصحاب على قطع يمين السارق بقراءة ابن مسعود ، وعليه أبو حنيفة أيضاً . واحتج على وجوب التابع في صوم كفارة اليمين بقراءته ﴿ مُتَّاعَاتٍ ﴾ (٤) ، ولم يحتج بها أصحابنا لثبوت نسخها كما سيأتي .

التنبيه السادس

من المهم معرفة توجيه القراءات ، وقد اعتنى به الأئمة ، وأوردوا فيه كتباً ، منها الحجة لأبي عليّ الفارسيّ والكشف لمكيّ ، والهداية للهدويّ ، والاحتساب في توجيه الشواذ لابن جنّي . قال الكواشي : وفائدته أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه ،

(١) سورة البقرة ٢٣٨ (٢) سورة المائدة ٣٨ (٣) سورة النور ٣٣

(٤) سورة المائدة ٨٨ ، وقراءة الجمهور : ﴿ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةٌ أَيَّمَانِكُمْ ﴾

وزاد ابن مسعود : ﴿ مُتَّاعَاتٍ ﴾ ، وانظر تفسير القرطبي ٦ : ٢٨٣

أو مرجحاً ؛ إلا أنه ينبغي التنبيه على شيء ، وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقطها ؛ وهذا غير مرضي ، لأن كلاً منهما متواتر .

وقد حكى أبو عمر الزاهد في كتاب اليواقيت ، عن ثعلب ، أنه قال : إذا اختلف الإعرابان في القرآن لم أفضل إعراباً على إعراب ، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى .

وقال أبو جعفر النحاس : السلامة عند أهل الدين ، إذا صحت القراءتان ألا يقال : إحداهما أجود ، لأنهما جميعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فيأثم من قال ذلك ، وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا .

وقال أبو شامة : أكثر المصنفون من الترجيح بين قراءة «مالك» و «مليك» ، حتى إن بعضهم يبلغ إلى حد يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى ؛ وليس هذا محمود بعد ثبوت القراءتين . انتهى .

وقال بعضهم : توجيه القراءات الشاذة أقوى في الصناعة من توجيه المشهورة .

* * *

خاتمة

قال النخعي : كانوا يكرهون أن يقولوا : قراءة عبد الله ؛ وقراءة سالم ؛ وقراءة أبي ، وقراءة زيد ، بل يقال : فلان كان يقرأ بوجه كذا ؛ وفلان كان يقرأ بوجه كذا . قال النووي : والصحيح أن ذلك لا يكره .

النوع الثامن والعشرون في معرفة الوقف والابتداء

أفردته بالتصنيف خلائق ؛ منهم أبو جعفر النحاس ، وابن الأنباري ، والزجاج ، والداني ، والعماني ، والسجاوندي ، وغيرهم . وهو فنٌ جليل ، به يعرف كيف أداء القراءة . والأصل فيه ما أخرج النحاس ، قال : حدثنا محمد بن جعفر الأنباري ، حدثنا هلال بن العلاء بن أبي وعبد الله بن جعفر ؛ قالوا : حدثنا عبد الله بن عمرو الزرقني ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن القاسم بن عوف البكري ، قال : سمعتُ عبد الله بن عمر يقول : لقد عشنا برهة من دهرنا ، وإنَّ أحدنا ليؤتي الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فتعلم حلالها وحرامها ، وما ينبغى أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم ، ولقد رأينا اليوم رجلا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان ؛ فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ، ما يدري ما أمره ولا زاجره ، ولا ما ينبغى أن يوقف عنده منه . قال النحاس : فهذا الحديث يدلُّ على أنهم كانوا يتعلمون الأوقاف ، كما يتعلمون القرآن .

وقول ابن عمر : « لقد عشنا برهةً من دهرنا » يدلُّ على أن ذلك إجماع من الصحابة . ثابت ، أخرج هذا الأثر البيهقي في سننه .

وعن علي في قوله تعالى : ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾^(١) ، قال : الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف .

قال ابن الأنباري : من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء فيه .

وقال النكراوي^(٢) : باب الوقف عظيم القدر ، جليل الخطر ؛ لأنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل .

وفي النشر لابن الجزري : لما لم يمكن القارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس

(١) سورة المزمل ٤

(٢) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر النكراوي ، مقرئ من أهل الإسكندرية ، وصاحب كتاب الاقتضاء في معرفة الوقف والابتداء . توفي سنة ٦٨٣ . طبقات القراء ١ : ٥٢

واحد ؛ ولم يحز التنفس بين كلمتين حالة الوصل ، بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة ،
 وجب حينئذ اختيارُ وقفٍ للتنفس والاستراحة ، وتعين ارتضاء ابتداء بعده ^(١) ، وتحمّ
 ألا يكون ذلك مما يحيل المعنى ^(٢) ، ولا يحلّ بالفهم ؛ إذ بذلك يظهر الإيجاز ، ويحصل
 القصد ؛ ولذلك حضّ الأئمة على تعلّمه ومعرفته ^(٣) . وفي كلام على دليل على وجوب
 ذلك ، وفي كلام ابن عمر برهان على أن تعلّمه إجماع من الصحابة ، وصحّ - بل تواتر -
 عندنا تعلّمه والاعتناء به من السلف الصالح ، كأبي جعفر يزيد بن القعقاع أحد أعيان التابعين ،
 وصاحبه الإمام نافع ، وأبي عمرو ، ^(٤) ويعقوب ^(٥) ، وعاصم ، ^(٦) ، وغيرهم من الأئمة ؛
 وكلامهم في ذلك معروف ، ونصوصهم عليه مشهورة في الكتب . ومن ثمّ اشترط
 كثير من الخلف من على الحيز الأبيحز أحداً إلا بعد معرفته الوقف والابتداء ^(٧) ، وصحّ
 عن الشعبي أنّه قال : إذا قرأت ﴿ كلُّ مَنْ عَلَيَهَا فإِنْ ﴾ فلا تسكت حتى تقرأ : ﴿ وَيَبْقَى
 وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ^(٨) .
 قلت : أخرجه ابن أبي حاتم ^(٩) .

* * *

فصل

[في أنواع الوقف]

اصطلح الأئمة [على أن] لأنواع الوقف والابتداء أسماء ، واختلفوا في ذلك ، فقال ابن

- (١) في النشر : « بعد النفس والاستراحة » .
 (٢) بعدها في النشر : « كما قدمنا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله : الترتيل معرفة الوقوف وتجويد
 الحروف . وروينا عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : لقد عشنا برهة من دهرنا ، وإن أحدنا ليؤتى
 الإيمان قبل القرآن ، وتزل السورة على النبي صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها ،
 وما ينفي أنه يوقف عليه عنده منها » .
 (٣) في النشر : « وأبي عمرو بن العلاء » .
 (٤) في النشر : « عاصم بن أبي الجود » .
 (٥) في النشر : « يعقوب الحضرمي » .
 (٦) في النشر : « وكان أئمتنا يوقفوننا عند كل حرف ، ويشيرون إينافيه بالأصابع ، سنة أخذوها
 كذلك عن شيوخهم الأولين » .
 (٧) في النشر : « وكان أئمتنا يوقفوننا عند كل حرف ، ويشيرون إينافيه بالأصابع ، سنة أخذوها
 كذلك عن شيوخهم الأولين » .
 (٨) سورة الرحمن ٢٦ ، ٢٧ .
 (٩) انظر النشر ١ : ٢٢٤ .

الأنباري : الوقف على ثلاثة أوجه : تام ، وحسن ، وقبيح .

فالتام : الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، ولا يسكون بعده ما يتعلق به ، كقوله : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ أَمْ لَمْ نُنذِرْهُمْ لَأَيُّ مَنُونٍ ﴾ ^(٢) .
والحسن : هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده ، كقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ لأن الابتداء بـ ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣) لا يحسن لكونه صفة لما قبله .

والقبيح : هو الذي ليس بتام ولا حسن ، كالوقف على « بسم » من قوله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ . قال : ولا يتم الوقف على المضاف دون المضاف إليه ، ولا المنعوت دون نعمته ، ولا الرفع دون مرفوعه وعكسه ، ولا الناصب دون منصوبه وعكسه ، ولا المؤكد دون توكيده ، ولا المعطوف دون المعطوف عليه ، ولا البدل دون مبدله ، ولا إن أو كان أو ظن أو أخواتها دون اسمها ، ولا اسمها دون خبرها ، ولا المستثنى منه دون الاستثناء ، ولا الموصول دون صلته ، اسمياً أو حرفياً ، ولا الفعل دون مصدره ، ولا حرف دون متعلقه ولا شرط دون جزائه .

* * *

وقال غيره : الوقف ينقسم إلى أربعة أقسام : تام مختار ، وكافٍ جائز ، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك .

فالتام : هو الذي لا يتعلق بشيء مما بعده ، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ؛ وأكثر ما يوجد عند رموس الآي غالباً ، كقوله : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(١) . وقد يوجد في أثنائها كقوله : ﴿ وَجَعَلُوا أَعْرََّةَ أَهْلِيَا أَذَلَّةً ﴾ ؛ هنا التام ؛ لأنه انقضى كلام بلقيس ، ثم قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ يَقْعَلُونَ ﴾ ^(٤) .

وكذلك : ﴿ لَقَدْ أَضَانِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾ ^(٥) هنا التام ؛ لأنه انقضى كلام

(٢) سورة البقرة ٦

(٥) سورة النمل ٣٠

(١) سورة البقرة ٥

(٣) سورة الفاتحة ١

(٥) سورة الفرقان ٢٩

الظالم أبي بن خلف ، ثم قال تعالى : ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ .
وقد يوجبها كقوله : ﴿ مُصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ ﴾ ^(١) هنا التمام لأنه معطوف على المعنى ،
أى بالصبح وبالليل ^(٢) .

ومثله : ﴿ يَتَكُونُونَ * وَزُخْرَفًا ﴾ ^(٣) ، رأس الآية « يَتَكُونُونَ » و « زُخْرَفًا » هو التمام
لأنه معطوف على ما قبله ^(٤) .

وآخر كل قصة وما قبل أولها ، وآخر كل سورة ^(٥) ، وقبل ياء النداء وفعل الأمر
والقسم ولامه ، دون القول والشرط ما لم يتقدم جوابه ، و « كان الله » ، و « ما كان » ،
و « ذلك » ، و « لولا » ، غالبهن تام ما لم يتقدمهن قسم أو قول أو مافى معناه ^(٦) .

والكافي منقطع في اللفظ متعلق في المعنى ، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده
أيضاً ، نحو ﴿ حَرَّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتِكُمْ ﴾ ^(٧) هنا الوقف وابتداء بما بعده ذلك ، وهكذا
كل رأس آية بعدها « لام كي » و « إلا » بمعنى « لكن » « وإن » الشديدة المكسورة ،
والاستفهام ، و « بل » ، « وألا » المحققة ، « والسين » ، « وسوف » ، للتهديد ^(٨) ،
و « نعم » و « بئس » ، و « كيلا » ، ما لم يتقدمهن قول أو قسم .

والحسن : هو الذي يحسن الوقف عليه ، ولا يحسن الابتداء بما بعده ، نحو ﴿ الحمد لله
رب العالمين ﴾ ^(٩) .

والقبيح : هو الذي لا يفهم منه المراد ، كالحمد ، وأقبح منه الوقف على : ﴿ لقد كفر الذين
قالوا ﴾ ، وابتدئ : ﴿ إن الله هو المسيح ﴾ ^(١٠) لأن المعنى مستحيل بهذا الابتداء ،

(٢) عبارة البرهان ١ : ٣٥١ : « مصبحين ،

(١) سورة الصافات ١٣٧ ، ١٣٨ رأس الآية ، والليل التمام .

(٣) سورة الزخرف ٣٤ ، ٣٥

(٤) بعدها في البرهان : « من قوله : (ستفأ)

(٥) بعدها في البرهان : « والأحزاب ، والأنصاف ، والأرباع والآمان ، والأسباع ، والأنواع

(٦) البرهان ١ : ٣٥١ .

والاعشار ، والأخماس » .

(٨) البرهان : « على التهديد .

(٧) سورة النساء ٢٣

(٩) البرهان ١ : ٣٥٢ ، وبقية الكلام : « والرحمن الرحيم » ، والوقف عليه حسن ، لأن المراد مفهوم ، والابتداء

بقوله : « رب العالمين » و « الرحمن الرحيم » و « مالك يوم الدين » ، لا يحسن ، لأن ذلك مجرور ، والابتداء بالجرور قبيح .

(١٠) سورة المائدة ١٧

وَمَنْ تَعَمَّده وَقصد معناه فقد كفر . ومثله في الوقف : ﴿ قَبِهتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ (١) .
﴿ فَلَهَا النَّصْفُ وَالْأَبْوَيْهَ ﴾ (٢) .

وأقبح من هذا الوقف على المنفى دون حرف الإيجاب ، نحو : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٣) .
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٤) ؛ فإن اضطر لأجل التنفس جاز ، ثم يرجع إلى
ماقبله حتى يصله بما بعده ولا حرج . انتهى .



وقال السَّجَّانُدي : الوقف على خمس مراتب : لازم ، ومطابق ، وجائز ، ومجوز
لوجه ، ومرخص ضرورة .

١ — فاللازم مالم وصل طرفاه غير المراد ، نحو ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥) يلزم الوقف هنا
إذ لو وصل بقوله : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ ﴾ (٦) تُؤْهِمُّ أَنَّ الْجُمْلَةَ صِفَةٌ لِقَوْلِهِ : ﴿ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، فانتفى
الخداع عنهم ، وتقرّر الإيمان خالصاً عن الخداع ، كما تقول : ما هو بمؤمن مخداع .

وكما في قوله : ﴿ لَا ذَّلُولُ تَتَّيْرُ الْأَرْضِ ﴾ (٧) فإن جملة «تتير» صفة «الذلول» ، داخلة
حيز النفي ، أى ليست ذلولاً مثيرة للأرض ، والقصد في الآية إثبات الخداع بعد نفي الإيمان .

ونحو ﴿ سُبْحَانَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ (٨) ، فلو وصلها بقوله : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ ﴾ ، لأوهم أنه صفة لولد ، وأن المنفى ولد موصوف بأن له ما في السموات ؛ والمراد
الولد مطلقاً .

٢ — والمطلق ما يحسن الابتداء بما بعده ، كالاسم المبتدأ به نحو ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي ﴾ (٩) .
والفعل المستأنف نحو ﴿ يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ (١٠) ، و﴿ سَيَقُولُ الشُّقَّاءُ ﴾ (١١) ،

- | | |
|-------------------------|-------------------------|
| (٢) سورة المائدة ٨١٩٥ | (١) سورة البقرة ٢٥٨ |
| (٤) سورة الإسراء ١٠٥ | (٣) سورة محمد ١٩ |
| (٦) سورة البقرة ٧١ | (٥) سورة البقرة ٨ ، ٩ |
| (٨) سورة الشورى ١٣ | (٧) سورة النساء ١٧١ |
| (١٠) سورة البقرة ١٤٢ | (٩) سورة النور ٥٥ |

﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾^(١) .

ومفعول المحذوف نحو : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ ﴾^(٢) ، ﴿ سَنَّةَ اللَّهِ ﴾^(٣) .

والشرط : نحو ﴿ مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ ﴾^(٤) .

والاستفهام ولو مقدرًا ، نحو ﴿ أُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا ﴾^(٥) ، ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ﴾^(٦) .

والنفي : ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾^(٧) ، ﴿ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾^(٨) ، حيث لم يكن

كل ذلك مقولا لقول سابق .

٣ — والجائز ما يجوز فيه الوصل والفصل لتجاذب الموجبين من الطرفين ، نحو

﴿ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾^(٩) ، فإن واو العطف تقتضى الوصل ، وتقديم المفعول على الفعل يقطع

النظم فإن التقدير : « ويوقنون بالآخرة » .

٤ — والمجوز لوجه ، نحو : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾^(١٠) لأن

القاء في قوله ﴿ فَلَا يَخْتَفِعُ عَنْهُمْ ﴾^(١٠) تقتضى التسبب والجزاء ، وذلك يوجب الوصل ،

وكون نظم الفعل على الاستئناف يحمل الفصل وجها .

٥ — والمرخص ضرورة ، ما لا يستغنى ما بعده عما قبله ؛ لكنه يرخص لا تقطاع النفس

وطول الكلام ، ولا يلزمه الوصل بالعود ، لأن ما بعده جملة مفهومة ، كقوله ﴿ وَالسَّمَاءُ

بِنَاءٍ ﴾^(١١) لأن قوله : ﴿ وَأَنْزَلَ ﴾^(١١) لا يستغنى عن سياق الكلام ، فإن فاعله ضمير يعود

إلى ما قبله ، غير أن الجملة مفهومة .

(٢) سورة النساء ١٢٢

(٤) سورة الأنعام ٣٩

(٦) سورة الأثقال ٦٧

(٨) سورة الأحزاب ١٣

(١٠) سورة البقرة ٨٦

(١) سورة الطلاق ٧

(٣) سورة الأحزاب ١٣٨

(٥) سورة النساء ٨٨

(٧) سورة القصص ٦٨

(٩) سورة البقرة ٤

(١١) سورة البقرة ٢٢

وأما ما لا يجوز الوقف عليه ، فكالشرط دون جزائه ، والمبتدأ دون خبره ، ونحو ذلك .

* * *

وقال غيره : الوقف في التنزيل على ثمانية أضرب : تام ، وشبيهه به ، وناقص ، وشبيهه به ، وحسن ، وشبيهه به ، وقبيح ، وشبيهه به .

وقال ابن الجزرى : أكثر ما ذكر الناس في أقسام الوقف غير منضبط ولا منحصر ، وأقرب ما قلته في ضبطه : إن الوقف ينقسم إلى اختياري واضطرابي ، لأن الكلام إما أن يتم أولا ، فإن تم كان اختياريًا ، وكونه تامًا لا يخلو إما ألا يكون له تعلق بما بعده البتة - أى لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى - فهو الوقف المسمى بالتام لتامه المطلق يوقف عليه ويبتدأ بما بعده ، ثم مثله بما تقدم في التام^(١) .

قال : وقد يكون الوقف تامًا في تفسير وإعراب وقراءة ، غير تام على آخر ، نحو : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٢) تام ، إن كان ما بعده مستأنفا ، غير تام إن كان معطوفا . ونحو فواتح السور ، الوقف عليها تام إن أعربت مبتدأ والخبر محذوف أو عكسه ، أى ألم هذه ، أو هذه ألم ، أو مفعولا بـ « تمل » مقدرًا غير تام إن كان ما بعدها هو الخبر . ونحو ﴿ مَثَابَةٌ لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾^(٣) ، تام على قراءة ﴿ وَاتَّخِذُوا ﴾ بكسر الخاء ، كاف على قراءة الفتح . ونحو ﴿ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾^(٤) ، تام على قراءة من رفع الاسم الكريم بعدها ، حسن على قراءة من خفض .

وقد يتفاضل التام ، نحو ﴿ مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^(٥) كلاهما ، تام إلا أن الأول آتم من الثانى ، لاشتراك الثانى فيما بعده فى معنى الخطاب بخلاف الأول^(٦) .

وهذا هو الذى سماه هو بعضهم شبيها بالتام .

(٢) سورة آل عمران ٧
(٤) سورة سبأ ٦ ؟
(٦) النشر ١ : ٢٢٧ ، ٢٢٨

(١) النشر ١ : ٢٢٥
(٣) سورة البقرة ١٢٥
(٥) سورة الفاتحة ٣ ، ٤

ومنه ما يتأكد استحسانه لبيان المعنى المقصود به ، وهو الذي سماه السجاوندى باللازم ، وإن كان له تعلق ، فلا يخلو إما أن يكون من جهة المعنى فقط ، وهو المسمى بالكافي للاكتفاء به واستغنائها عما بعده ، واستغناء ما بعده عنه ، كقوله : ﴿ وَتَمَارِزَقَنَا هُمْ يَنْفِقُونَ ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ ^(٢) ، وقوله : ﴿ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ ^(٣) .

أو بتفاضل في الكفاية كتفاضل التمام نحو ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ كاف ، ﴿ فزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ أ كفى منه ، ﴿ بَمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ ^(٤) أ كفى منهما .

وقد يكون الوقف كافيا على تفسير وإعراب وقراءة ، غير كافٍ على آخر ، نحو قوله : ﴿ يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّخِرَ ﴾ ^(٥) كافي إن جعلت « ما » بعده نافية ، حسن إن فُتِرت موصولة .

﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ^(٦) كافي إن أعراب ما بعده مبتدأ خبره ﴿ عَلَى هُدًى ﴾ ^(٧) . حسن إن جعل خبر ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ ^(٨) ، أو خبر ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ ﴾ ^(٩) .

﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ ^(١٠) كافي على قراءة ﴿ أَمْ تَقُولُونَ ﴾ ^(١١) بالخطاب ، حسن على قراءة الْعَيْبِ .

﴿ يَحْسَبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ كافي على قراءة من رفع ﴿ فَيَغْفِرُ ﴾ و﴿ يَعْذِبُ ﴾ ^(١٢) ، حسن على قراءة من جزم .

وإن كان التعلق من جهة اللفظ ؛ فهو المسمى بالحسن ، لأنه في نفسه حسن مفيد ، يجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده للتعلق اللفظي ؛ إلا أن يكون رأس آية ، فإنه يجوز في اختيار أكثر أهل الأداء ، لمجيئه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أم سلمة الآتي .

وقد يكون الوقف حسنا على تقدير ، وكافيا أو تاما على آخر ، نحو ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١٣)

(٢) سورة البقرة ٤
 (٤) سورة البقرة ١٠
 (٦) سورة البقرة ٤
 (٨) سورة البقرة ٣
 (١٠) سورة البقرة ١٣٩
 (١٢) سورة البقرة ٢٨٤

(١) سورة البقرة ٣
 (٣) سورة البقرة ٥
 (٥) سورة البقرة ١٠٢
 (٧) سورة البقرة ٥
 (٩) سورة البقرة ٤
 (١١) سورة البقرة ١٤٠
 (١٣) سورة البقرة ٢

حسن إن جعل ما بعده نعتاً ، كافٍ إن جعل خبراً مقدرًا ، أو مفعولاً مقدرًا ، على القطع . تامٌّ إن جعل مبتدأً خبره ﴿ أولئك ﴾ .

وإن لم يتم الكلام ؛ كان الوقف عليه اضطرارياً ، وهو المسمى بالقبيح ، لا يجوز تعمد الوقف عليه إلا لضرورة ، من انقطاع نفس ونحوه ، لعدم الفائدة أو لفساد المعنى ، نحو ﴿ صراط الذين ﴾ .^(١)

وقد يكون بعضه أقبح من بعض ، نحو ﴿ فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا بُوَيْبَةَ ﴾^(٢) ، لإيهامه أنها مع البنت شركاء في النصف .

وأقبح منه نحو : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ﴾^(٣) ، ﴿ قَوْلِيلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾^(٤) ، ﴿ لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ ﴾^(٥) .

فهذا حكم الوقف اختياريًا واضطرارياً .

وأما الابتداء فلا يكون إلا اختياريًا ، لأنه ليس كالوقف تدعو إليه ضرورة ، فلا يجوز الإيمسقل بالمعنى موفٍ بالمقصود ، وهو في أقسامه كأقسام الوقف الأربعة ، وتتفاوت تمامًا وكفاية وحسنًا وقبحًا ، بحسب التمام وعدمه ، وفساد المعنى وإحالاته ، نحو الوقف على ﴿ وَمِنَ النَّاسِ ﴾^(٦) ، فإن الابتداء بـ « الناس » قبيح ، و﴿ آمَنَّا ﴾ تامٌّ ؛ فلو وقف على ﴿ مَنْ يَقُولُ ﴾ كان الابتداء بـ « يقول » أحسن من الابتداء بـ « مَنْ » .

وكذا الوقف على ﴿ ختم الله ﴾^(٧) قبيح ، والابتداء بـ « الله » أقبح وبـ « ختم » كافٍ . والوقف على ﴿ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ و﴿ المسيح ابن الله ﴾^(٨) قبيح ، والابتداء بـ ابن أقبح ، وبعزير والمسيح أشد قبحًا .

ولو وقف على ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ ﴾^(٩) ضرورة ، كان الابتداء بالجلالة قبيحًا ، و﴿ وَعَدَنَا » أقبح منه وبـ « ما » أقبح منهما .

(٣) سورة البقرة ٢٦

(٦) سورة البقرة ٨٤

(٩) سورة الأحزاب

(٢) سورة النساء ١١

(٥) سورة النساء ٤٣

(٨) سورة التوبة ٣٠

(١) سورة الفاتحة ٦

(٤) سورة الماعون ٤

(٧) سورة البقرة ٧

وقد يكون الوقف حسنا والابتداء به قبيحا ، نحو : ﴿مُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِنَّا لَكُمُ﴾^(١)
 الوقف عليه حسن ، والابتداء به قبيح ، لفساد المعنى ، إذ يصير تحذيرا من الإيمان بالله .
 وقد يكون الوقف قبيحا والابتداء جيّدا ، نحو ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرَاقِدِنَا هَذَا﴾^(٢) ،
 الوقف على « هذا » قبيح لفصله بين المبتدأ وخبره ، ولأنه يوهم أن الإشارة إلى المرقد ،
 والابتداء بهذا كافٍ أوتامّ لاستثناؤه .

تنبهات

الأول : قولهم : لا يجوز الوقف على المضاف دون المضاف إليه ولا كذا ، قال ابن
 الجزرى : إتما يريدون به الجواز الأدائى ؛ وهو الذى يحسن فى القراءة ويروق فى التلاوة ،
 ولا يريدون بذلك أنه حرام ولا مكرهه ؛ اللهم إلا أن يقصد بذلك تحريف القرآن وخلاف
 المعنى الذى أراداه الله ، فإنه يكفر فضلا عن أن يأنم^(٣) .

الثانى : قال ابن الجزرى أيضا : ليس كلما يتعسف به بعض العربيين أوبتكلفه بعض
 القراء ، أوبتأوله بعض أهل الأهواء مما يقتضى وقفا أو ابتداء ينبغى أن يتعمد الوقف عليه ،
 بل ينبغى تحريم المعنى الأتم ، والوقف الأوجه ؛ وذلك نحو الوقف على : ﴿وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ﴾
 والابتداء ﴿مَوْلَانَا فَأَنْصُرْنَا﴾^(٤) على معنى النداء .

ونحو ﴿ثُمَّ جَاءَوكَ يَخْلِفُونَ﴾ ، وابتدى ﴿بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا﴾^(٥) .

ونحو ﴿يَابُنَى لَا تُشْرِكْ﴾^(٦) ، وابتدى ﴿بِاللّهِ إِنْ الشَّرِكُ﴾ ، على معنى القسم .

ونحو ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء﴾ وابتدى ﴿اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٧) .

(١) سورة المنتحنة ١
 (٢) النسر ١ : ٢٣ مع اختصار وتصرف (٤) سورة البقرة ٢٥٦
 (٥) سورة النساء ٦٢
 (٦) سورة لقمان ١٣
 (٧) سورة الإنسان ٣٠

ونحو ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ ، ويتندى ﴿عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾^(١) .
فكله تعسف وتمحل وتحريف للكلم عن مواضعه^(٢) .

الثالث : يفتقر في طول الفواصل والقصص والجل المعترضة ونحو ذلك وفي حالة جمع القراءات وقراءة التحقيق والتزليل مالا يفتقر في غيرها ، فربما أجزى الوقف والابتداء لبعض ما ذكر ، ولو كان لغير ذلك لم يبيح ، وهذا الذي سماه السجاوندى المرخص ضرورة ، ومثله بقوله : ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾^(٣) .

قال ابن الجزرى : والأحسن تمثيله بنحو ﴿قَبِيلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾^(٤) وبنحو ﴿النَّبِيِّينَ﴾^(٥) ، وبنحو ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَأَتَى الزَّكَاةَ﴾^(٦) ، وبنحو ﴿عَاهَدُوا﴾^(٧) ، وبنحو كل من فواصل ﴿قد أفلح المؤمنون...﴾ إلى آخر القصة^(٨) .

وقال صاحب المستوفى^(٩) : النحويون يكرهون الوقف الناقص في التزليل مع إمكان التام ، فإن طال الكلام ولم يوجد فيه وقف تام ، حسن الأخذ بالناقص ، كقوله : ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾ إلى قوله : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ إن كسرت بعده إن ، وإن فتحها فإلى قوله : ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لُبَدًا﴾^(١٠) .

* * *

قال : ويحسن الوقف الناقص أمور منها أن يكون لضرب من البيان ، كقوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ فإن الوقف هنا يبين أن ﴿قِيمًا﴾^(١١) منفصل عنه ، وأنه حال في نية التقديم . وكقوله : ﴿وَبَنَاتُ الْأَخْتِ﴾^(١٢) ليفصل به بين التحريم النسبي والسببي . ومنها أن يكون الكلام مبنيًا على الوقف ، نحو ﴿يَا لَيْتَنِي لِمَ أُوتِ كِتَابِيهِ﴾ * ولم أدر ما حسابيه^(١٣) .

(١) سورة البقرة ١٥٨

(٢) سورة البقرة ٢٢

(٣) سورة البقرة ٦١

(٤) سورة النحر ١ : ٢٣٦

(٥) (٢) النحر ١ : ٢٣١

(٦) سورة البقرة ١٧٧ الأحزاب ١٥

(٧) سورة البقرة ١٧٧ (٧) سورة البقرة ١٧٧

(٨) هو جمال الدين أبو سمد علي بن مسعود بن محمود

ابن أحمد بن الحكيم الفرغاني ، وكتاب المستوفى منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم — ١٧٦١ — نحد

(٩) سورة الكهف ١ ، ٢

(١٠) سورة الجن ١ — ١٩

(١١) سورة الحاقة ٢٥ ، ٢٦

(١٢) سورة النساء ٢٣

قال ابن الجزرى : وكما اغتفر الوقف لما ذكر ، قد لا يغتفر ولا يحسن فيما قصر من الجمل ، وإن لم يكن التعلق لفظيا ، نحو ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ... ﴾ ^(١) ، ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ ^(٢) ؛ لقرب الوقف على ﴿ بِالرَّسْلِ ﴾ ^(٣) وعلى ﴿ الْقُدْسِ ﴾ ^(٤) . وكذا يراعى فى الوقف الازدواج ، فى وصل ما بوقف على نظيره مما يوجد التمام عليه وانقطع تعلقه بما بعده لفظا ، وذلك من أجل ازدواجه ، نحو ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ — مع — وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ ^(٥) . ونحو ﴿ مَنْ تَعَجَّلَ فى بَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ — مع — وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ ، ونحو ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فى النَّهَارِ — مع — وَيُولِجُ النَّهَارَ فى اللَّيْلِ ﴾ ^(٦) ، ﴿ وَنَحْوِ ﴾ ^(٧) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ — مع — وَمَنْ أَسَاءَ فَلِمِهَا ﴾ ^(٨) .

الرابع : قد يميزون الوقف على حرف [ويجيز آخرون الوقف ^(٩)] على آخر ، ويكون بين الوقفين مراقبة على التضاد ؛ فإذا وقف على أحدهما امتنع الوقف على الآخر ، كمن أجاز الوقف على ﴿ لَارَيْبَ ﴾ فإنه لا يميزه على ﴿ فِيهِ ﴾ ، والذي يميزه على ﴿ فِيهِ ﴾ ، لا يميزه على ﴿ لَارَيْبَ ﴾ ^(١٠) .

وكالوقف على ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ ﴾ ، فإن بينه وبين ﴿ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ ﴾ ^(١١) مراقبة . والوقف على ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ ﴾ فإن بينه وبين ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فى الْعِلْمِ ﴾ ^(١٢) مراقبة . قال ابن الجزرى : وأول من نبه على المراقبة فى الوقف أبو الفضل الرازى ، أخذه من المراقبة فى العروض ^(١٣) .

الخامس : قال ابن مجاهد : لا يقوم بالتتام فى الوقف إلا نحوى عالم بالقراءات ، عالم

(١) سورة البقرة ٨٧	(٢) سورة البقرة ١٣٤
(٣) سورة البقرة ٢٠٣	(٤) سورة فاطر ١٣
(٥) سورة فصلت ٤٦ ، وانظر النشر ١ : ٢٣٧ (٦) من النشر	(٧) سورة البقرة ٢
(٨) سورة البقرة ٢٨٢	(٩) سورة آل عمران ٧
(١٠) سورة آل عمران ٧	(١١) المراقبة فى العروض ، تأتى فى عروض المضارع
والمقتضب وهو أن يكون الجزء مرة مفاعيل . ومرة مفاعيلن وانظر النشر ١ : ٢٣٧	(١٢) الإتيان — ج ١)

بالتفسير والتعصص وتحليص بعضها من بعض ، عالم باللغة التي نزل بها القرآن .

وقال غير متوكدنا علم الله ، ولذا من لم يقبل شهادتنا الخالف وإن تاب ، وقف عند قوله : ﴿ وَلَا تَقِيلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ ^(١) . وعن شرح بذلك التكراروى ، قال فى كتب الوقف : لا بد للقرأى من معرفة بعض مذاهب الأئمة المشهورين فى الله ، لأن ذلك بين على معرفة لوقف والابتداء ؛ لأن فى القرآن مواضع يبنى الوقف على مذهب بعضهم ، وتمتع على مذهب آخرن .

فما احتياجه إلى علم النحو وتدريبه ، فلأن من جل ﴿ مِثْلَهُ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ^(٢) متصو على الإغراء ، وقف على ما قبله ، أو أعمل فيما قبله فلا [وقف] .
وأما احتياجه إلى القراءات ، فها تقدم من أن الوقف قد يكون ثلثا على قراءته غير تام على أخرى .

وأما احتياجه إلى التفسير ، فلهذا إنا وقف على ﴿ فَإِنَّا نَحْنُ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ ^(٣) كان للنى : إياهم حرمة عليهم هذه اللدة ، وإنا وقف على ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ كان للنى إياها حرمة عليهم أبداً ، وأن التيمارسين ؛ فرجع فى هذا إلى التفسير . وقد تقدم أيضاً أن الوقف يكون ثلثا على تفسير وإعراب ، غير تام على تفسير وإعراب آخر .

وأما احتياجه إلى اللنى ضرورة ، لأن معرفة مقاطع الكلام إنما تكون بد معرفة مثله ، كقوله : ﴿ وَلَا يَجْرُؤُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَزَّاهُ ﴾ ^(٤) قوله : ﴿ إِنَّا نَزَّاهُ ﴾ استئناف لا قائلهم . وقوله : ﴿ وَلَا يَجْرُؤُونَ إِلَيْكَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ ^(٥) ويحصى ﴿ أَنْتُمْ ﴾ ، وقال الشيخ عز الدين الأحسن الوقف على ﴿ إِلَيْكُمْ ﴾ ، لأن إضاعة التالفة إلى الآيات أولى من إضاعة علم الوصول إليها ؛ لأن الرادى الآيات المعاصمات بها مودة غيرا بها الحرة ، ولم تتمع عنهم فرعون . وكذا الوقف على قوله : ﴿ وَوَلَقَدْ هَمَّتْ بِه ﴾ ^(٦) ويحصى ﴿ وَوَمَّ بِهَّا ﴾ ^(٧)

(٢) سورة الحج ٧٨
(٤) سورة يونس ٦٥
(٦) سورة يوسف ٢٤

(١) سورة البور ٤
(٣) سورة البقرة ٢١
(٥) سورة النقص ٢٥

على أن المعنى: «لولا أن رأى برهان ربه لم بها»؛ قدّم جواب «لولا»؛ ليكون فهمتياً،
فيلم بذلك أن معرفة المعنى أصل في ذلك كبير.

السادس: حكى ابن برهان التصوي عن أبي يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة، أنه
ذهب إلى أن تقدير الوقوف عليه من القرآن بالتام والناقص والحسن والقيح، وتسميته
بذلك بآفة، وتمدّد الوقوف على نحوه مبتدع، قال: لأن القرآن معجز وهو كاتطة
الواحدة، فكله قرآن وبضه قرآن، وكله تام حسن، وبضه تام حسن.

السابع: لأئمة الفراء مذاهب في الوقف والابتداء، فقلع كلن يرأى مجلسها يجب
المعنى، وابن كثير وحزرة حيث يقطع النفس. واستثنى ابن كثير ﴿ وَمَا يَلْمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا
اللَّهُ ﴾^(١)، ﴿ وَمَا يَشْعُرْكُمْ ﴾^(٢)، ﴿ إِنَّمَا يَلْمُ يَشْرُ ﴾^(٣)، فتمدّد الوقف عليها. وعلم
والكافي حيث تم الكلام بأبو عمرو يتمددروس الآي ويقول: هو أحب إلى قد
قال بعضهم: إن الوقف عليه سنة.

وقال البيهقي في الشعب وآخرون: الأفضل الوقف على روس الآيات، وإن تعلق
بما بعدها، أتباعاً لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته.

روى أبو داود وغيره عن أم سلمة، أن النبي صلى الله عليه وسلم كلن إذا قرأ قطع
قراءته آية آية، يقول: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾، ثم يقف، ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾،
ثم يقف، ﴿ الرحمن الرحيم ﴾، ثم يقف.

الثامن: الوقف والقطع والسكت، عبارات يُطلقها المتقدمون غالباً، مرادها
الوقف، والتأخرون، فرقوا قالوا:

(٢) سورة الأنعام ١-٩

(١) سورة آل عمران ٧

(٢) سورة النحل ١-٣

القطع : عبارة عن قطع القراءة رأساً فهو كالانتهاء ، فالقارئ به كالمعرض عن القراءة ، والمنتقل إلى حالة أخرى غيرها ، وهو الذي يستعاذ بعده للقراءة المستأنفة ، ولا يكون إلا على رأس آية ، لأنّ رءوس الآي في نفسها مقاطع ؛ أخرج سعيد بن منصور في سننه ، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، أنه قال : كانوا يكرهون أن يقرأوا بعض الآية ويدعوا بعضها . إسناده صحيح . وعبد الله بن أبي الهذيل تابعي كبير ، وقوله : « كانوا » ، يدل على أنّ الصحابة كانوا يكرهون ذلك .

والوقف : عبارة عن قطع الصّوت عن الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لانية الإعراض ، ويكون في رءوس الآي وأوساطها ، ولا يأتي في وسط الكلمة ، ولا فيما اتصل رسماً .

والسكت : عبارة عن قطع الصوت زمناً هودون زمن الوقف عادة من غير تنفس . واختلفت ألفاظ الأئمة في التأدية عنه ، مما يدل على طوله وقصره ؛ فعن حمزة في السكت على الساكن قبل الهمزة سكتة بسيرة ، وقال الأشناني : قصيرة ، وعن الكسائي . سكتة مختلصة من غير إشباع . وقال ابن غلبون : وقفة بسيرة ، وقال مكّي : وقفة خفيفة . وقال ابن شريح : وقّيفة . وعن قتيبة : من غير قطع نفس ، وقال الداني : سكتة لطيفة من غير قطع . وقال الجعبري : قطع الصوت زمناً قليلاً أقصر من زمن إخراج النفس ، لأنه أن طال صار وقفاً ؛ في عبارات آخر .

قال ابن الجزري : والصحيح أنه مقيد بالسماع والنقل ، ولا يجوز إلا فيما صحت الرواية به ، لمعنى مقصود بذاته . وقيل : يجوز في رءوس الآي ، مطلقاً حالة الوصل لقصد البيان . وحمل بعضهم الحديث الوارد على ذلك ^(١) .

* * *

ضوابط

١ — كل ما في القرآن من « الذي » و « الذين » ، يجوز فيه الوصل بما قبله نعمًا ، والقطع على

أنه خبر ، إلا في سبعة مواضع ، فإنه يتمين الابتداء بها .

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ ﴾^(١) ، في البقرة .

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾^(٢) ، فيها وفي الأنعام أيضا .

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾^(٣) في البقرة .

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا ﴾^(٤) ، في براءة .

﴿ الَّذِينَ يُحْشِرُونَ ﴾ ، في الفرقان^(٥) .

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ﴾^(٦) في غافر .

وفي الكشاف في قوله : ﴿ الَّذِي يُوسِسُ ﴾^(٧) ، يجوز أن يقف القارىء على الموصوف

ويبتدىء « الذي » إن حملته على القطع ، بخلاف ما إذا جعلته صفة .

وقال الرماني : الصفة إن كانت للاختصاص امتنع الوقف على موصوفها دونها ، وإن

كانت للمدح جاز ، لأن عاملها في المدح غير عامل الموصوف^(٨) .

* * *

٢ — الوقف على المستثنى منه دون المستثنى ، إن كان منقطعا ، فيه مذاهب :

الجواز مطلقا ، لأنه في معنى مبتدأ حذف خبره للدلالة عليه .

والمنع مطلقا ، لاحتياجه إلى ما قبله لفظا ، لأنه لم يعهد استعمال « إلا » وما في معناها إلا

متصلة بما قبلها ، ومعنى ، لأن ما قبلها مشعر بتمام الكلام في المعنى ، إذ قولك : ما في الدار أحد

هو الذي صحح « إلا الحمار » ، ولو قلت : « إلا الحمار » على انفراده كان خطأ .

والثالث التفصيل ؛ فإن صرح بالخبر جازلا استقلال الجملة واستفنائها عما قبلها ، وإن

لم يصرح به فلا ، لافتقارها . قاله ابن الحاجب في أماليه .

(٢) سورة البقرة ١٤٦ وفي الانعام ٢٠

(٤) سورة التوبة ٢٠

(٦) سورة غافر ٧

(٨) البرهان ١ : ٣٥٨

(١) سورة البقرة ١٢١

(٣) سورة البقرة ٢٧٥

(٥) سورة الفرقان ٤٣

(٧) سورة الناس ٥

٣ - الوقف على الجملة التدايية جازر، كما نقله ابن الحاجب عن المحققين، لأنها مستقلة وما يبدؤها جملة أخرى، وإن كانت الأولى تتعلق بها

٤ - كل ما في القرآن من القول لا يجوز الوقف عليه، لأن ما يبدؤه حكاية -
قله الميربوتي في تفسيره -

٥ - كلاً في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعاً، منها سبعة للردع اصطفاً، فيوقف عليها، وذلك:

﴿عَبَّأً * كَلَّامًا﴾ في مريم (١)

﴿عَزَّاءً * كَلَّامًا﴾ في مريم (٢)

﴿أَنْ يَقُولُونَ * قَالَ كَلَّامًا﴾ في الشعراء (٣)

﴿إِنَّمَا لَكُم مَّا تُرَدُّونَ * قَالَ كَلَّامًا﴾ في الشعراء (٤)

﴿شُرَكَاءَ * كَلَّامًا﴾ في سبأ (٥)

﴿أَنْ تَرْبُدَ * كَلَّامًا﴾ في الدثر (٦)

﴿أَتَى الْقَوْمَ * كَلَّامًا﴾ في القيلة (٧)

والباقي منها لمعنى حاصلاً، فلا يوقف عليه ومثلها احتصل الأمر من فيه الوجهان -

وقال مكي: هي أربعة أقسام: الأول ما يحسن الوقف فيه عليها على معنى الردع وهو

الاختيار، ويجوز الإبتداء بها على معنى «حاشا»، وذلك أحد عشر موضعاً:

اثنان في مريم، ووق قد أطلع حوسياً، واثنان في الطرح، واثنان في الدثر: ﴿أَنْ تَرْبُدَ * كَلَّامًا﴾ (١)

﴿مُنْتَشِرَةً * كَلَّامًا﴾ (٢) فوق اللطيفين ﴿أَسَاطِيرَ الْأُولِينَ * كَلَّامًا﴾ (٣) فوق الصجر

﴿وَأَعَانٍ * كَلَّامًا﴾ (٤)، ووق القمرة ﴿أَخْلَاهُ * كَلَّامًا﴾ (٥)

(١) سورة مريم ٧٨ ، ٧٩ (٢) سورة مريم ٨١ ، ٨٢ (٣) سورة الشعراء ١٥ ، ١٥

(٤) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢ (٥) سورة سبأ ٢٧ (٦) سورة الدثر ١٥ ، ١٦

(٧) سورة القيلة ١١ ، ١١ (٨) سورة الدثر ١٥ ، ١٦ (٩) سورة الدثر ٥٢ ، ٥٣

(١٠) سورة اللطيفين ١٣ ، ١٤ (١١) سورة الصجر ١٦ ، ١٧ (١٢) سورة القمرة ٤ ، ٤

الثاني : ما يحسن الوقف عليها ولا يجوز الابتداء بها ، وهو موضعان في الشعراء : ﴿ أَنْ يَقْتُلُونَ ﴾ قال كلاً^(١) ، ﴿ إِنَّا لَنُدْرِكُوكُمْ ﴾ قال كلاً^(٢) .

الثالث : ما لا يحسن الوقف عليها ولا الابتداء بها ، بل توصل عقابها وما بعدها ، وهو موضعان في عم و النكار : ﴿ تَمَّ كَلَّا سَيَكُونُ ﴾^(٣) ، ﴿ تَمَّ كَلَّا سَوْفَ تَكُونُونَ ﴾^(٤) .

الرابع : ما لا يحسن الوقف عليها ، ولكن يُبتدأ بها ، وهو الثمانية عشر البقية .

٦ - يلي في القرآن في اثنين وعشرين موضعا ، وهي ثلاثة أعلام :

الأول : ما لا يجوز الوقف عليها إجمالا لخلق ما بعدها بما قبلها ، وهو ستة مواضع :

في الأسماء : ﴿ يَلَىٰ وَرَبِّي ﴾^(١) .

في الفعل : ﴿ يَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾^(٢) .

في آيا : ﴿ قُلْ يَلَىٰ وَرَبِّي لَأَتِيَنَّكُمْ ﴾^(٣) .

في الزم : ﴿ يَلَىٰ قَلْبًا مِّنْكَ ﴾^(٤) .

في الأحرف : ﴿ يَلَىٰ وَرَبِّي ﴾^(٥) .

في التثنية : ﴿ قُلْ يَلَىٰ وَرَبِّي ﴾^(٦) .

في البنية : ﴿ يَلَىٰ قَلْبِيرِينَ ﴾^(٧) .

الثاني : ما فيه خلاف هو الاختيار التبعي فلكل حصة مواضع :

في البقرة : ﴿ يَلَىٰ وَتَكُنْ لِيَكْفُرَ قَلْبِي ﴾^(٨) .

- (١) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢
- (٢) سورة النكار ٢
- (٣) سورة الشعراء ٢٨
- (٤) سورة الزم ٥١
- (٥) سورة الأحرف ٧
- (٦) سورة البقرة ٢١٠

- (١) سورة الشعراء ١٤ ، ١٥
- (٢) سورة النبأ ٤
- (٣) سورة الأسماء ٢٠
- (٤) سورة آيا ٢
- (٥) سورة الأحرف ٢٦
- (٦) سورة البقرة ٤٤

- في الزمر : ﴿ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّ حَقَّتِ ﴾^(١) .
في الزخرف : ﴿ بَلَىٰ وَرُسُلِنَا ﴾^(٢) .
في الحديد : ﴿ قَالُوا بَلَىٰ ﴾^(٣) .
في تبارك : ﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا ﴾^(٤) .

الثالث : ما الاختيار جواز الوقف عليها ؛ وهو العشرة الباقية .

* * *

٧ - نعم في القرآن في أربعة مواضع :

في الأعراف : ﴿ قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ ﴾^(٥) ، والاختار الوقف عليها ؛ لأن ما بعدها غير متعلق بما قبلها ، إذ ليس من قول أهل النار .

وفيها وفي الشعراء : ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنِّكُمْ إِذُنَ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾^(٦) .

وفي الصافات : ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾^(٧) . والاختار لا يوقف عليها ، لتعلق ما بعدها بما قبلها ، لاتصاله بالقول .

ضابط

قال ابن الجزري في النشر : كل ما أجازوا الوقف عليه أجازوا الابتداء بما بعده^(٨) .

* * *

فصل في كيفية الوقف على أواخر الكلم

لوقف في كلام العرب أوجه متعددة ؛ والاستعمل منها عند أئمة القراءة تسعة : السكون ، والرزوم ، والإشمام ، والإبدال ، والنقل ، والإدغام ، والحذف ، والإثبات ، والإلحاق .

(٢) سورة الزخرف ٨٠

(٤) سورة الملك ٩

(١) سورة الزمر ٧١

(٣) سورة الحديد ١٤

(٥) سورة الأعراف ٤٤

(٦) سورة الشعراء ٤٢ ، وفي الأعراف ١١٤ ، وفيها : ﴿ وَإِنِّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ .

(٨) النصر ١ : ٢٣٤

(٧) سورة الصافات ١٨

فأما السكون ، فهو الأصل في الوقف على الكلم المحركة وصلًا ، لأن معنى الوقف التّرك والقطع ، ولأنه ضدّ الابتداء ، فكما لا يُبتدأ ساكن لا يُوقف على متحرك ، وهو اختيار كثير من القراء .

وأما الرّؤم : فهو عند القراء عبارة عن النطق ببعض الحركة ، وقال بعضهم : تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها . قال ابن الجزريّ : وكلا القولين واحد . ويختص بالرفوع والمجزوم والمضوم والمكسور ، بخلاف المفتوح ؛ لأنّ الفتححة خفيفة ، إذا خرج بعضها خرج ساثرها ، فلا تقبل التبعيض .

وأما الإشمام : فهو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت . وقيل : أن تجعل شفطيك على صورتها ، وكلاهما واحد . ويختص بالضمّة ، سواء كانت حركة إعراب أم بناء ؛ إذا كانت لازمة ، أمّا العارضة وميم الجمع عند من ضمّ وهاء التأنيث فلارؤم في ذلك ولا إشمام . وقيد ابن الجزري هاء التأنيث بما يوقف عليها بالهاء ، بخلاف ما يوقف عليها بالتاء للرسم . ثم إنّ الوقف بالرؤم والإشمام ورد عن أبي عمرو والكوفيين نصًّا ، ولم يأت عن الباقيين فيه شيء ، واستعجه أهل الأداء في قراءتهم أيضا ؛ وفائدته بيان الحركة التي تثبت في الوصل للحرف الموقوف عليه ، ليظهر للسامع أو الناظر كيف تلك الحركة الموقوف عليها .

وأما الإبدال : ففي الاسم المنصوب المنون ، يوقف عليه بالألف بدلاً من التنوين ، ومثله إذن ، وفي الاسم المفرد المؤنث بالتاء ، يوقف عليه بالهاء بدلاً منها . وفيما آخره همزة متطرّفة بعد حركة أوألف ، فإنه يوقف عليه عند حمزة بإبدالها حرف مدّ من جنس ما قبلها . ثم إن كان ألقًا جاز حذفها نحو ، اقرأ ، وتبيّ ، وبيدأ ، وإن امرؤ ، من شاطيء ، ويشاء ، ومن السماء ، ومن ماء .

وأما النقل : ففيها ما آخره همزة بعد ساكن ، فإنه يوقف عليه عند حمزة بنقل حركتها إليه ، فتحرك بهاء ثم تحذف هي ، سواء كان الساكن صحيحًا - نحو دفعه ، ملء ، ينظر

للرء ، لكل باب منهم جزء ، بين الرء وقلبه ، بين الرء وزوجه ، يخرج الحبء ؛ ولا تلمن لها - أمها أو أولادها - سواء كانتا حرف مد ، نحو اللسىء ، وحىء ، ووضىء ، أن تبوء ، لتبوء ، وما علمت من سوء ، أم لين نحو شىء ، قوم سوء ، مثل سوء .

وأما الإدغام : فبما آخره همز بعد ياء أو واو زائدتين ، فإنه يوقف عليه عند حمزة أيضا بالإدغام بعد إبدال الهمز من جنس ما قبله ، نحو القسىء ، وبرىء ، وقروء .

وأما المدف : ففي الإياءات الزوائد عند من يثبتها وصلًا ، ومخذفها وقفا . وياءات الزوائد - وهي التي لم ترسم - مائة وإحدى وعشرون ، منها خمس وثلاثون في حشوائىء ، والباقي في رموس الآىء ؛ فتابع وأبو عمرو وحمزة والكسائىء وأبو جعفر يثبتونها في الوصل دون الوقف ، وابن كثير ويعقوب يثبتان في الحالين ، وابن عامر وعاصم وحلف يمدفون في الحالين ، وربما خرج بعضهم عن أصله في بعضها .

وأما الإيئات : ففي الإيئات المدفوقات وصلًا عند من يثبتها وقفاً ، نحو هادىء ، ووالىء ، وواقىء ، وواقىء .

وأما الإلحاق : فما يلحق آخر الكلم من هاءات السكت عند من يلحقها في عمء ، وفيمء ، وبمء ، ولمء ، وممء ، والنون المشددة من جمع الإناث ، نحوهنء ، ومثلهنء ، والنون المفتوحة ، نحو العالمينء ، والذينء ، والمفلحونء ، والمشددء ، النبىء ، نحو الآءملو علىء ، وخلقت بىدىء ، ومصرخىء ، ولدىء .

* * *

قائمة

أجمعوا على لزوم اتباع رسم المصاحف العثمانية في الوقف إبدالاً وإثباتاً ، وحذفاً ووصلاً وقطعاً ، إلا أنه ورد عنهم اختلاف في أشياء بأعيانها ، كالوقف بالماء على ما كتب بالياء ، وبالإلحاق الماء فيما تقدم وغيره ، وإثبات الياء في مواضع لم ترسم بها ،

والواو في « ويدع الإنسان » « يوم يدع الداع » ، « استدع الزبانية » ، و « يمح الله الباطل »
والآلف في « آية المؤمن » ، « آية الساحر » ، « آية القلان » .

وتحذف النون في « كآين » حيث وقع ، فإن أبا عمرو وقف عليه بالياء ويوصل
« آياماً » في الإسراء ، ومال في النساء ، والكهف والفرقان وسأل . وقطع ، « ويكأن »
« ويكأنه » ، « وألأيسجلوا » .

ومن القراء من يتبع الرسم في الجميع .

النوع التاسع والبشرون
في بيان الموصول لفظ المفضل معنى

هو نوع مهم جديران أن يفرد بالتصنيف ؛ وهو أصل كبير في الوقف ، ولهذا جعلته عقبه ، وبه يحصل حل إشكالات وكشف معضلات كثيرة ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ ، إلى قوله : ﴿ جَعَلَهَا لَكُمْ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ، فإن الآية في قصة آدم وحواء كما يفهمه السياق ؛ وصرح به في حديث أخرجه أحمد والترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه من طريق الحسن عن سمرة مرفوعا ، وأخرجه ابن أبي حاتم وغيره بسند صحيح عن ابن عباس ، لكن آخر الآية مشكل ، حيث نسب الإشراف إلى آدم وحواء ، وآدم نبي مكرم ، والأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها إجماعا ، وقد جر ذلك بعضهم إلى حمل الآية على غير آدم وحواء ، وأنها في رجل وزوجته كانا من أهل الملل ، وتعدى إلى تعليل الحديث والحكم بنكارته ؛ وما زالت في وقفة من ذلك ، حتى رأيت ابن أبي حاتم قال : أخبرنا أحمد بن عثمان بن حكيم ؛ حدثنا أحمد بن مفضل ، حدثنا أسباط ، عن السدي في قوله : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(١) قال : هذه فصل من آية آدم خاصة في آلهة العرب .

وقال عبدالرازق : أخبرنا ابن عيينة ، سمعت صدقة بن عبد الله بن كثير المسكي ، يحدث عن السدي ، قال : هذا من الموصول المفضل .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن أبي حمزة ، حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، قال : هذه مفصلة ، إطاعاه في الولد ، ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ، هذه تقوم محمد ؛ فاتحلت عنى هذه العقدة ، وانجملت لي هذه المفصلة

واتضح بذلك أن آخر قصة آدم وحواء ﴿فِيآ آتَاهُمَا﴾ ، وأن ما بعده تخلص إلى قصة العرب ، وإشراكهم الأصنام . ويوضح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع بعد الثنية ، ولو كانت القصة واحدة لقال : «عما يشركان» كقوله : ﴿دَعَاَ اللّٰهُ رَبَّهُمَا فَاِذَا آتَاهُمَا صَالِحًا جَمَلًا لَّهُ شُرَكَاءَ فِىآ آتَاهُمَا﴾^(١) ، وكذلك الضمائر في قوله بعده : ﴿اَيُّشْرِكُوْنَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾^(٢) ، وما بعده إلى آخر الآيات ؛ وحسن التخلص والاستطراد من أساليب القرآن .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَاوِيلَهُ اِلَّا اللّٰهُ وَالرَّاسِخُوْنَ ...﴾^(٣) الآية ، فإنه على تقدير الوصل يكون : «الراسخون يعلمون تأويله» وعلى تقدير الفصل بخلافه . وقد أخرج ابن أبي حاتم عن أبي الشَّعثاء وأبي نهبك ، قالا : إنكم تصلون هذه الآية وهي مقطوعة . ويؤيد ذلك كون الآية دلت على ذم متبعي المشابه ووصفهم بالزيغ .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٤) فإن ظاهر الآية يقتضى أن القصر مشروط بالخوف ، وأنه لا يقصر مع الأمن ، وقد قال به لظاهر الآية جماعة منهم عائشة ، لكن بين سبب الزول أن هذا من الموصول ، فأخرج ابن جرير من حديث على ، قال : سأل قوم من بنى النجار^(٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، إننا نضرب في الأرض ، فكيف نصلى ؟ فأنزل الله : ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ ثم انقطع الوحي ، فلما كان بعد ذلك بحول ، غزا النبي صلى الله عليه وسلم ، فصلّى الظهر ، فقال المشركون : لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم ، هلا شددتم عليهم ! فقال قائل منهم : إن لهم أخرى مثلها في أثرها ، فأنزل الله بين الصلاتين : ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله . ﴿عَذَابًا مَّهِينًا﴾ ، فترلت صلاة الخوف ؛ فتبين بهذا الحديث أن قوله : ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ شرط فيما بعده ، وهو صلاة الخوف لاقى صلاة القصر ، وقد قال ابن جرير : هذا تأويل في

(٢) سورة الأعراف ١٩١

(٤) سورة النساء ١٠١

(١) سورة الأعراف ١٩٠

(٣) سورة آل عمران ٧

(٥) في الطبري : « من النجار » .

الآية حسن ؛ لو لم تكن في الآية « إذا » (١) .

قال ابن القيس : ويصح مع « إذا » على جعل الواو زائدة .

قلت : يعنى ويكون من اعتراض الشرط على الشرط ، وأحسن منه أن يجعل « إذا » زائدة بناء على قول من يجيز زيادتها .

وقال ابن الجوزى فى كتابه التفسير : قد تآى العرب بكلمة إلى جانب كلمة أخرى كأنها معها ، وهى غير متصلة بها ، وفى القرآن : ﴿ يَرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾ (٢) هذا قول اللأ ، فقال فرعون : ﴿ فَأَيَّ تَأْمُرُونَ ﴾ (٣) .

ومثله : ﴿ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٤) . انتهى كلامها ، فقال يوسف : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ (٥) .

ومثله : ﴿ إِنْ الْمُلُوكُ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آذِنَةً ﴾ (٦) هذا منتهى قولها ، فقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (٧) .

ومثله : ﴿ مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ (٨) انتهى قول الكفار ، فقالت الملائكة : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ ﴾ . وأخرج ابن أبى حاتم عن قتاده فى هذه الآية ، قال : آية من كتاب الله : أولها أهل الضلالة وآخرها أهل الهدى ، قالوا : ﴿ يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ ، هذا قول أهل النفاق ، وقال أهل الهدى حين بُعثوا من قبورهم : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ .

وأخرج عن مجاهد فى قوله : ﴿ وَمَا يَشْعُرُكُمْ إِنْهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٩) قال : وما يدريك أنهم يؤمنون إذا جاءت ! ثم استقبل بـ « إنها إذا جاءت لا يؤمنون » .

(٢) سورة الأعراف ١١٠

(٤) سورة النمل ٣٤

(٦) سورة الأنعام ١٠٩ ، بكسر همزة إن ،

(١) تفسير الطبرى ٩ : ١٢٧

(٣) سورة يوسف ٥١ ، ٥٢

(٥) سورة يس ٥٢

وهى قراءة أبى عمرو ابن كثر أيضا - وانظر تفسير القرطبي ٧ : ٦٤

التعريف الثلاثون
في الإمامة والفتح وآبائنا

أفرده بالتصنيف جماعة من القراء منهم ابن القماح^(١) عمل كتابه : قرّة العين
في الفتح والإمامة وبين القظين .

قال الدائى : الفتح والإمامة لغتان مشهورتان قاشيتان على السنة الفصحاء من العرب
الذين نزل القرآن باقتهم ، فالفتح لغة أهل الحجاز ، والإمامة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد
وقيس ، قال : والأصل فيها حديث حذيفة مرفوعا : « أقرعوا القرآن بليحون العرب
وأصواتها ، وإياكم وأصوات أهل الفسق وأهل الكتابين » ، قال : فالإمامة لاشك من
الأحرف السبعة ، ومن لحون العرب وأصواتها .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، قال :
كانوا يرون أن الألف والياء في القراءة سواء ، قال : يعنى بالألف والياء التفضيم والإمامة .

وأخرج في تاريخ القراء من طريق أبي عاصم الضرير الكوفى ، عن محمد بن
عبد الله^(٢) ، عن عاصم ، عن زر بن حبيش ، قال : قرأ رجل على عبد الله بن مسعود
« طه » ولم يكسر ، فقال عبد الله : « طِه » وكسر الطاء والهاء ، فقال الرجل « طَه »
ولم يكسر ، فقال عبد الله : « طِه » وكسر الطاء والهاء ، فقال الرجل : « طَه » ولم
يكسر ، فقال عبد الله : « طِه » وكسر ثم قال : هكذا علمنى رسول الله صلى الله عليه
وسلم . قال ابن الجزرى : هذا حديث غريب ، لانعرفه إلا من هذا الوجه ، ورجاله ثقات

(١) هو على بن عثمان بن محمد ، المعروف بابن القماح ، شارح الشاطبية وكتاب قرّة العين وغيرهما من

القراءات ، توفى سنة ٨٠١ . الجواهر المضية ١ : ٢٦٦

(٢) في الأصول : « عبيد » وما أنبته من النشر

إلا محمد عبيد الله ، وهو الغزرمي^(١) ، فإنه ضعيف عند أهل الحديث ، وكان رجالاً صالحاً ، لكن ذهب كُتبه فكان يحدث من حفظه ، فأُتِيَ عليه من ذلك^(٢) . قلت : وحديثه هذا أخرجه ابن مردويه في تفسيره وزاد في آخره : وكذا أنزل بها جبريل .

وفي جمال القراء ، عن صفوان بن عسال ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ : ﴿ يا يحيى ﴾ ، فقيل له : يا رسول الله ، تميل وليس هي لغة قريش ؟ فقال : هي لغة الأخوال بنى سعد .

وأخرج ابن أشتة ، عن أبي حاتم قال : احتج الكوفيون في الإمامة بأنهم وجدوا في المصحف الياءات في موضع الألفات ، فاتبعوا الخط وأمالوا ليقربوا من الياءات . الإمامة أن ينحوا بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء كثيراً ، وهو المحض . ويقال له : الإضجاع والبطح والكسر قليلاً وهو بين اللفظين ، ويقال له أيضاً : التقايل والتلطيف ، وبين بين ، فهي قسمان : شديدة ومتوسطة ، وكلاهما جائز في القراءة ، والشديدة يجتنب معها القلب الخالص ، والإشباع المبالغ ، فيه والمتوسطة ، بين الفتح المتوسط والإمالة الشديدة .

قال : الداني : وعلمائونا مختلفون أيهما أوجه وأولى ؟ وأنا أختار الإمامة الوسطى التي هي بين بين ؛ لأن الغرض من الإمامة حاصل بها ، وهو الإعلام بأن أصل الألف الياء ، والتنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع ، أو مشاكتها للكسر المجاور لها أو الياء . وأما الفتح ؛ فهو فتح القارئ فاه بلفظ الحرف ، ويقال له التفتيح ، وهو شديد ومتوسط فالشديد هو نهاية فتح الشخص فاه بذلك الحرف ، ولا يجوز في القرآن بل هو معدوم في

(١) في النشر : « وأبو عاصم هنا هو محمد بن عبد الله يقال له : الكنون ويعرف بالمسجدي ، ومحمد ابن عبيد الله شيخه هو الغزرمي الكوفي .
(٢) (النشر ٢ : ٣١)

لغة العرب ، والمتوسط ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة . قال الدائى : وهذا هو الذى يستعمله أصحاب الفتح من القراء .

واختلفوا : هل الإمالة فرع عن الفتح ، أو كل منهما أصل برأسه ؟ ووجه الأول أن الإمالة لا تكون إلا لسبب ، فإن فقد لزم الفتح ، وإن وجد جاز الفتح والإمالة ؛ فما من كلمة تمال إلا فى العرب من يفتحها ، فدل أطراد الفتح على أصلها وفتحها .

* * *

والكلام فى الإمالة من خمسة أوجه : أسبابها ، ووجوهها ، وفائدتها ، ومن يُميل ، وما يُتمال^(١) .

أما أسبابها فذكرها القراء عشرة ، قال ابن الجزرى : وهى ترجع إلى شيتين : أحدهما الكسرة ، والثانى الياء ، وكل منهما يكون مقدماً على محل الإمالة من الكلمة أو متأخراً عنه ، ويكون أيضاً مقدراً فى محل الإمالة . وقد تكون الكسرة والياء غير موجودتين فى اللفظ ولا مقدرتين فى محل الإمالة ؛ ولكنتهما مما يعرض فى بعض تصاريف الكلمة . وقد تمال الألف أو الفتحة لأجل ألف أخرى أو فتحة أخرى مائلة ، وتسمى هذه إمالة لأجل إمالة ، وقد تمال الألف تشبيهاً بالألف المائلة .

قال ابن الجزرى : وتمال أيضاً بسبب كثرة الاستعمال . وللفرق بين الاسم والحرف ، فتبلغ الأسباب اثني عشر سبباً . فأما الإمالة لأجل الكسرة السابقة ، فشرطها أن يكون الفاصل بينها وبين الألف حرفاً واحداً ، نحو كتاب وحساب — وهذا الفاصل إنما حصل باعتبار الألف ، وأما الفتحة المائلة فلا فاصل بينها وبين الكسرة — أو حرفين أولهما ساكن نحو إنسان ، أو مفتوحين والثانى هاء خلفها .

(١) آخر النشر ٢ : ٢٢ وما بعدها .

وأما الياء السابقة فإما ملاصقة الألف كالحياة، والأياى، أو منفصلة بحرفين أحدهما الهاء كيدها.
وأما الكسرة المتأخرة، فسواء كانت لازمة نحو عابد، أم عارضة نحو من الناس، وفي
النار. وأما الياء المتأخرة فنحو مبيع، وأما الكسرة المقدره فنحو خاف، إذا أصل «خوف».
وأما الياء المقدره، فنحو يحشى والهدى وأبى والثرى، فإن الألف فى كل ذلك متقلبة
عن ياء، تحركت وانفتح ما قبلها.

وأما الكسرة العارضة فى بعض أحوال الكلمة، فنحو طاب، وجاء، وشاء، وزاد،
لأن الفاء تكسر من ذلك مع ضمير الرفع المتحرك.

وأما الياء العارضة كذلك نحو تلاوغزا، فإن الفها عن واو، وإمّا أميلت
لاقتلابها ياء فى تلي وغزى.

وأما الإمالة لأجل الإمالة، فكإمالة الكسانى الألف بعد النون من «إن الله» لإمالة
الألف من «الله»، ولم يعل «وإنا إليه» لعدم ذلك بعده، وجعل من ذلك إمالة الضحى والقري،
وضحاها، وتلاها.

وأما الإمالة لأجل الشبه، بإمالة ألف التانيث فى نحو الحسنى، وألف موسى وعيسى
لشبهها بألف الهدى.

وأما الإمالة لكثرة الاستعمال، فكإمالة الناس فى الأحوال الثلاث، على مارواه
صاحب المبهج.

وأما الإمالة للفرق بين الاسم والحرف، فكإمالة الفوايح كإقال سيبويه: إن إمالة باء وتاء
فى حروف المعجم لأنها أسماء ما يلفظ به، فليست مثل ما ولا وغيرهما من الحروف (١).

* * *

وأما وجوها: فأربعة، ترجع إلى الأسباب المذكورة. أصلها اثنان: المناسبة والإشطار؛
فأما المناسبة فقسم واحد، وهو فيما أميل لسبب موجود فى اللفظ. وفيما أميل لإمالة غيره،
فإنهم أرادوا أن يكون عمل اللسان ومجاورة النطق بالحرف المأل ولسبب الإمالة من وجه
واحد، وعلى نمط واحد.

وأما الإشعار فثلاثة أقسام : إشعار بالأصل ^(١) ، وإشعار بما يعرض في الكلمة في بعض المواضع ^(٢) ، وإشعار بالشبه ^(٣) المشعر بالأصل .

* * *

وأما فائدتها فسهولة اللفظ ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة ، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع ، فلهذا أمال من أمال ، وأما من فتح فإنه راعى كون الفتح أمثلاً أو الأصل .

* * *

أما من أمال فكل القراء العشرة إلا ابن كثير ، فإنه لم يمل شيئاً في جميع القرآن .

* * *

وأما ما يمال فموضع استيعابه كتب القراءات والكتب المؤلفة في الإمالة .

ونذكر هنا ما يدخل تحت ضابط :

خمزة والكسائي وخلف أمالوا كل ألف متقلبة عن ياء ، حيث وقعت في القرآن ، في اسم أو فعل ؛ كلهدي ، والهوى ، والفتى ، والعمى ، والزنا ، وآتى ، وأبى ، وسمى ، ويحشى ، ويرضى ، واجتبي ، واشترى ، ومذوى ، وماوى ، وأدى ، وأزكى .

وكل ألف تأتي على «فعل» بضم الفاء أو كسرهما أو فتحها ، كطوبى ، وبشرى ، وقصوى ، والقرنى ، والأثني ، والدنيا ، وإحدى ، وذكرى ، وسيا ، وضيزى ، وموتى ، ومرضى ، والسوى ، والتقوى . وألقوا بذلك موسى ، وعيسى ، ويحيى .

وكل ما كان على وزن «فعل» بالضم أو الفتح ، كسكاري ، وكسالى ، وأسارى ، ويتامى ، ونصارى ، والأياحى .

وكل ما رسم في المصاحف بالياء ، نحو نبى ، ومتى ، وبأسنى ، وباوياتى ، وباحسرتى ، وآتى للاستفهام . واستثنى من ذلك : حتى ، وإلى ، وعلى ، ولدى ، ومازكى ؛ فلم تمل بحال .

وكذلك أمالوا من الواوى ما كسر أوله أو ضم ، وهو الربا كيف وقع ، والضحي كيف جاء ، والقوى والعلى .

(١) النسر : « وذلك إذا كانت الألف المائلة متقلبة عن ياء أو عن واو مكسورة . »

(٢) النسر : « الإشعار بما يعرض في الكلمة في بعض المواضع من ظهور كسرة أو ياء حسبما تقتضيه النصاريف دون الأصل . »

(٣) النسر : « الإشعار بالشبه المشعر بالأصل ، وذلك كإمالة ألف التانيث والمعلق بها . »

وأملوا رءوس الآي من إحدى عشرة سورة جاءت على نسق ، وهي : طه ، والنجم ،
وسأل ، والقيامة ، والنازعات ، وعبس ، والأعلى ، والشمس ، والليل ، والضحى
والعلق . ووافق على هذه السور أبو عمرو وورش .

وأمال أبو عمرو وكل ما كان فيه راء بعد ألف ؛ بأى وزن كان ، كذكري ، وبشري ،
وأسرى ، وأراه ، واشترى ، ويرى ، والقرى ، والنصارى ، وأسارى ، وسكارى ،
ووافق على ألفات « فعلى » كيف أتت .

وأمال أبو عمرو والكسائى كل ألف بعدها راء متطرفة ، مجرورة ، نحو الدار ، والنار
والقهار ، والغفار ، والنهار ، والديار ، والكفار ، والأبكار ، وبقنطار ، وأبصارهم ،
وأوبراها ، وأشعارها ، وحمارك ؛ سواء كانت الألف أصلية أم زائدة .

وأمال حمزة الألف من عين الفعل الماضى من عشرة أفعال ، وهي : زاد ، وشاء ، وجاء ،
وخاب ، وران ، وخاف ، وزاغ ، وطاب ، وضاق ، وحق ، حيث وقعت ، وكيف جاءت .

وأمال الكسائى هاء التانيث وما قبلها وقفا مطلقا بعد خمسة عشر حرفا يجمعها قولك :
« نجحت زينب لذود شمس » ، فالهاء كخليفة ورأفة ، والجيم كوليحة ولجة ، والهاء كشلاثة
وخبيثة ، والهاء كبقته والميثة ، والزاي كبارزة وأعزة ، والياء كخشية وشيبة ، والنون
كسنة وجنة ، والباء كحبة والتوبة ، واللام كليلة وثلة ، والذال كلذة والموقوذة ، والواو
كقسوة والمروة ، والذال كبلدة وعدة ، والشين كالفاحشة وعيشة ، والميم كرحمة ونعمة ،
والسين كالخامسة وخمسة .

ويفتح مطلقا بعد عشرة حرف ، وهي : جاع وحروف الاستعلاء « قط خص ضغط » ، والأربعة
الباقية وهي « أكهر » إن كان قبل كل منهما ياء ساكنة أو كسرة متصلة أو منفصلة بساكن
يميل ، وإلا يفتح .

وبقى أحرف فيها خلف وتفصيل ، ولا ضابط يجمعها ؛ فلتنظر من كتب الفن .

وأما فواتح السور ، فأمال « الر » فى السور الخمسة حمزة والكسائى وخلف وأبو عمرو
وابن عامر وأبو بكر ، وبين وبين وورش .

- وأمال الهاء من فاتحة مريم وطه أبو عمرو والكسائي وأبو بكر
- وأمال حمزة وخآف طه دون مريم
- وأمال الياء من أول مريم من أمال « الرا » ، إلا بأعمرو على المشهور عنه
- ومن أول يس ، الثلاثة الأوّلون وأبو بكر
- وأمال هؤلاء الأربعة الطاء من طه ، وطسم ، وطس والهاء من حم في السور السبع ، وواقفهم في الهاء ابن ذكوان .

خاتمة

كره قوم الإمامة لحديث « نزل القرآن بالتفخيم » ، وأجيب عنه بأوجه :

أحدها : أنه نزل بذلك ثم رخص في الإمامة .

ثانيها : أن معناه أنه يقرأ على قراءة الرجال ، لا يخضع الصوت فيه كلام النساء .

ثالثها : أن معناه أنزل بالشدة والغلظة على المشركين ، قال في جمال القراء : وهو بعيد

في تفسير الخبر ، لأنه نزل أيضا بالرحمة والرافة .

رابعها : أن معناه بالتعظيم بالتبجيل ، أي عظموه ، ومجّلوه ، فخصّ بذلك على تعظيم

القرآن وتبجيله .

خامسها : أن المراد بالتفخيم تحريك أوساط الكلم بالضمّ والكسر في المواضع

المختلفة فيها دون إسكانها ، لأنه أشبع لها وأنغم .

قال الداني : وكذا جاء مفسرا عن ابن عباس ، ثم قال : حدثنا ابن خاقان ، حدثنا

أحمد بن محمد ، حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا القاسم ، سمعت الكسائي يخبر عن

سلمان : عن الزهري ، قال : قال ابن عباس : نزل القرآن بالثقل والتفخيم ، نحو قوله :

«الجمعة» وأشبه ذلك من التثقيب ، ثم أورد حديث الحاكم عن زيد بن ثابت مرقوعا :
«نزل القرآن بالتضخيم» .

وقال محمد بن مقاتل أحد رواة : سمعت عمرا يقول : ﴿عُنْرًا أَوْ تَنْرًا﴾^(١)
و﴿الصَّادِقِينَ﴾ يعنى بتحريك الأوسط في ذلك .

قال : ويؤيده قول أبي عبيدة : أهل الحجاز يفخمون الكلام كله لإحرفا واحدا :
«عشرة» فإهم يجزموه ، وأهل نجد يتركون التضخيم في الكلام ؛ إلا هذا الحرف فإنهم
يقولون «عشيرة» بالكسر .

قال الداني : فهذا الوجه أولى في تفسير الخبر .

(١) سورة المرسلات ٦ ، وهي قراءة روح والحسن ، وانظر إتحاف فضلاء البشر ٤٣٠ وتفسير

القرطبي ١٩ : ١٥٤

(٢) سورة الكهف ٩٦ ، وانظر تفسير القرطبي ١١ : ٦١

التحريك الحادي والثلاثون في الإدغام والإظهار والإختلاف والإدغام

أورد ذلك بالصنيف جماعة من القراء .
الإدغام : هو التقطع بحرفين حرفاً كالثاني ، متشديداً ، وينقسم إلى كبير وصغير :

[الإدغام الكبير]

قال كبير ما كان أول الحرفين فيه متحركاً ، سواء كانا مثلين أم جنسين ، أم متقاربين ،
وسمى كبيراً لكثرة وقوعه ، إذا لم يكن أكثر من السكون . وقيل لتأثيره في إسكان
المتحرك قبل إدغامه ، وقيل لما فيه من الصعوبة ، وقيل : لشموله نوعي اللتين والجنسين
والمقاربين ، والمشهور بنسبته إليه من الأئمة المشرة هو أبو عمرو بن العلاء . وورد عن
جماعة خارج المشرة ، كالحسن البصري ، والأعمش ، وابن محيصن ، وغيرهم .
ووجهه : طلب التخفيف ، وكثير من المصنفين في القراءات لم يذكره البتة
كأبي عبيد في كتابه ^(١) ، وابن مجاهد في سمعته ^(٢) ، ومكي في تبصرته ^(٣) ، والطنسكي
في روضته ^(٤) ، وابن سفيان في هدايته ^(٥) ، وابن شريح في كافيته ^(٦) ، والمهدوي في
هدايته ^(٧) وغيرهم .

- (١) هو الكتاب المسمى بالإمام ، قال صاحب النشر : كان أول إمام يعتبر جمع القراءات في كتاب ،
هو أبو عبيد القاسم بن سلام ، وجعلها فيما أحسب خسة وعشرين فارقاً .
- (٢) هو كتاب السبعة لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ، المتوفى سنة ٣٢٤ ، ذكره
صاحب النشر في ١ : ٨١ ، وذكر طريق روايته عنه .
- (٣) التنصرة في القراءات السبع ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسبي المتوفى سنة ٤٣٧ ، ذكره
صاحب كنف الضنون ، وقال : « في خسة أجزاء ، وهو من أشهر مصنفاته » .
- (٤) كتاب الروضة لأبي عمر أحمد بن عبد الله بن أبي الطلحسكي الأندلسي المتوفى سنة ٤٢٩ ، ذكره صاحب
النشر في الجزء الأول ص ٧١ .
- (٥) الهادي في القراءات السبع لأبي عبد الله محمد بن سفيان القيرواني المتوفى سنة ٤١٥ ، ذكره
صاحب كنف الضنون .
- (٦) الكافي في القراءات السبع لأبي عبد الله محمد بن شريح المتوفى سنة ٤٨٦ ، ذكره صاحب كنف الضنون .
- (٧) الهداية في القراءات لأبي العباس أحمد بن عمار المتوفى سنة ٤٣٠ ، ذكره في كنف الضنون .

قال في تقريب النثر: ونعني بالمتماثلين ما اتفقا مخرجاً وصفة، والمتجانسين ما اتفقا مخرجاً واختلفا صفة، وبالتقاربيين ما تقاربا مخرجاً أو صفة. فأما المدغم من المتماثلين، فوقع في سبعة عشر حرفاً: وهى الباء، والتاء، والثاء، والحاء، والراء، والسين، والعين، والغين، والفاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون، والواو، والهاء، والياء، نحو «الكتاب بالحق»، «الموت تحبسونهما»، «حيث تفقتموه»، «النكاح حتى»، «شهر رمضان»، «الناس سكارى»، «يشفع عنده»، «يبتغ غير الإسلام»، «اختلف فيه»، «أفاق قال»، «أنك كنت»، «لاقبل لهم»، «الرحيم مالك»، «نحن نسبح» «فهو ولتهم»، «فيه هدى»، «يأتى يوم».

وشرطه أن يلتقي المثلان خطأ، فلا يدغم^(١) في نحو «أنا نذير» من أجل وجود الألف^(٢)، وأن يكونا من كلمتين، فإن التقيان كلمة فلا يدغم، إلا في حرفين نحو «مناسيكم» في البقرة، و«ماسلككم» في المدثر، وألا يكون الأول تاء ضمير المتكلم أو خطاباً، فلا يدغم، نحو «كنت تراباً»، «أفأنت تسمع»، ولا مشدداً، فلا يدغم نحو «مس مقر»، «رب بما» و«لامنوناً»، فلا يدغم نحو «غفور رحيم»، «سميع عليم»،^(٣) وأما المدغم من المتجانسين والتقاربيين فهو ستة عشر حرفاً، يجمعها: «رض سنشد بحتك بذل قم»، وشرطه ألا يكون الأول مشدداً نحو «أشد ذكرًا»، و«لامنوناً» و«في ظلمات ثلاث»، ولاتاء ضمير نحو «خاقت طينا»، فالباء تدغم في الميم في «يعذب ن يشاء» فقط.

والتاء في عشرة أحرف: التاء «بالبينات تم»، والجيم «الصالحات جنات»، والذال «السينات ذلك»، والزاي «الجنة زمرا»، والسين «الصالحات سندخلهم»، ولم يغم «ولم يؤت سمّة» للجزم مع خفة الفتحة، والشين «بأربعة شهداء»، والصاد «الملائكة صفًا»، والضاد «والعاديات ضبجاً»، والطاء «أقم الصلاة طرفي النهار»، والظاء «الملائكة ظالمى».

(١) عبارة تقريب النثر: «يدغم نحو (إنه هو)، ولا يمنع الصلة ويظهر في نحو (أنا نذير)».

(٢) التقريب: «وجود الألف خطأ»

(٣) تقريب النثر ٩، ١٠.

والتاء في خمسة أحرف : التاء «حيث تؤمرون» ، والذال «الحرث ذلك» ، والسين «وورث سليمان» ، والشين «حيث شتما» ، والضاد «حديث ضيف» .

والجيم في حرفين : الشين «أخرج شطأه» ، والتاء «ذى المعارج تعرج» .
والحاء في العين ، في «زحزح عن النار» فقط .

والدال في عشرة أحرف : التاء «المساجد تلك» ، «بعد تو كيدها» ، والتاء «يريد ثواب» ، والجيم «داود جالوت» ، والذال «القلائد ذلك» ، والزاي «يكاد زيتها» والسين «الأصفاد سرايلهم» ، والشين «شهدشاهد» ، والصاد «نفقد صواع» ، والضاد «من بعدضراء» ، والظاء «يريدظلما» . ولا تدغم مفتوحة بعدسا كن إلا في التاء لقوة التجانس .

والذال في السين في قوله : «فأخذ سبيله» ، والصاد في قوله : «ماأخذ صاحبة» .
والراء في اللام ، نحو «هن أظهر لكم» «المصير لا يكلف» ، «والنهار آيات» . فإن فتحت وسكن ما قبلها لم تدغم ، نحو «والحمير لتركبوها» .

والسين في الزاي في قوله : «وإذا النفوس زوجت» ، والشين في قوله : «الرأس شيبا» .
والشين في السين في «ذى العرش سبيلا» فقط . والضاد «لبعض شأنهم» فقط .

والقاف في الكاف إذا ما تحرك ما قبلها نحو «ينفق كيف يشاء» ، وكذا إذا كانت معها في كلمة واحدة وبعدها ميم ، نحو «خلقكم» .

والكاف في القاف إذا تحرك ما قبلها نحو «تقدس لك قال» ؛ إلا إن سكن نحو «وتركوك قائما» (١) .

واللام في الراء إذا تحرك ما قبلها ، نحو «رسل ربك» ، أو سكن وهي مضمومة أو مكسورة نحو «لقول رسول» ، «إلى سبيل ربك» ، إلا إن فتحت نحو «فيقول رب» ، إلا لام قال تدغم حيث وقعت ، نحو «قال رب» ، «قال رجلان» .

والحم تسكن عند الباء إذا تحرك ما قبلها فتختفي بفتح نحو « أعلم بالثا كرن » ، « يحكم بينهم » ، « سرهمياتا » ؛ وهذا نوع من الإخلاء المذكور في الترجمة . وقد كرر ابن الجزري له في أنواع الإدغام ، تبع فيه بعض الصلبيين ، وقد قل هو في النشر : إنه غير صواب ؛ فإن سكن ما قبلها أظهرت ، نحو « إبراهيم بيه » .

والتون تلغم إذا تحرك ما قبلها في الراء وفي اللام ، نحو « تأقن ريك » ، « لن تون لك » ، « فإن سكن أظهرت عدما ، نحو « مخلوقون رهم » ، « أن تكون لهم » الأتون تمن ، قبلها تلغم نحو « تمن له » « وما تمن لك » ، لكثرة دورها وتكرار التون فيها ، ولزوم حركتها وظلما^(١) .

تسهيلان

الأول : واتى أبو عمرو حزمة ومقرب في أحرف مخصوصة استوعبها ابن الجزري في كتابيه : النشر والقريب .

الثاني : أجمع الأعمش على إدغام (مالك لا تملك على يوسف)^(٢) ، واختلفوا في الظية ، قرأ أبو جعفر بإدغامه محمداً بلا إنشابة ، وقرأ الباقون بلا إنشابة رؤما وإظلاما .

ملحوظ

قال ابن الجزري : جمع ما دغمه أبو عمرو من اللتين والطارقين ، إظا وصل السورة بالسورة ، ألف حرق وثلاثمائة وأربعة أحرف ، لدخول آخر القدر لم يكن ، وإظا يسلم ووصل آخر السورة باليسلة ، ألف وثلاثمائة وخمسة ، لدخول آخر الرعد بأول

(٢) سورة يوسف آية ١٠ -

(١) « حروب النصر » ١٠ ، ١١

إبراهيم هو آخر إبراهيم بأول الحجر، وإذا فصل بالكت ولم يسيل، ألفوا ثلاثاً وثلاثين.

[الإِدْغَامُ الصَّغِيرُ]

وأما الإِدْغَامُ الصَّغِيرُ، فهو ما كان الحرف الأول فيه ساكناً وهو واجب وممتنع وجائز، والتي جرت عادة القراء على كره في كتب الخلاف، هو الجائز لأن الذي اختلف القراء فيه، وهو قسمان:

الأول إدغام حرف من كلمة في حروف متعددة من كلمات متفرقة وتختصق: إذ هو قد، وتاء التانيث، وهل، ويل.

فإذ، اختلف في إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف: التاء «إذ تيراً» والهمزة «إذ جيل»، واللام «إذ دخلت»، والزاي «إذ زالت»، والسين «إذ سميت»، والصاد «إذ صرفت». وقد اختلف فيها عند ثمانية أحرف: الهمزة «ولقد جله ك»، واللام «ولقد قرأتنا»، والزاي «ولقد زينا»، والسين «قد سلما»، والشين «قد شقها»، والصاد «ولقد صرفت»، والظاء «قد ظلم».

وتاء التانيث، اختلف فيها عند ستة أحرف: التاء «بليت حمود»، والهمزة «تصيت جودهم»، والزاي «حيث زدناهم»، والسين «أبيت سبع سائل»، والصاد «هدمت صوامع»، والظاء «كانت ظلة».

ولام «هل» هو «يل» اختلف فيها عند ثمانية أحرف، تخص بل منها بحجة الزاي «يل زين»، والسين «يل سوات»، والصاد «يل خلوا»، والظاء «يل طبع»، والظاء «يل ظنتم».

وتخص هل بالتاء «هل ثوب»، ويشتركان في التاء والنون «هل تنصون»، «يل تائبهم»، «هل تمن» «يل تنبع».

القسم الثاني : إدغام حروف قرُبتٍ مخارجها وهي ، سبعة عشر حرفاً اختلف فيها :
أحدها: الباء عند الفاء في «أويقلب فسوف» ، « وإن تعَجَّب فعجَب » « اذهب
» ، « فاذهب فإن » ، « ومن لم يتب فأولئك » .

الثاني : « يُعَذَّبُ مَنْ يَشَاءُ » في البقرة .

الثالث : « اركب معنا » في هود .

الرابع : « نخسف بهم » في سبأ .

الخامس : الراء الساكنة عند اللام نحو « يَغْفِرُ لَكُمْ » ، « وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ » .

السادس : اللام الساكنة في الذال « مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ » حيث وقع .

السابع : التاء في الذال في « يَلْمِثُ ذَلِكَ » .

الثامن : الدال في التاء « من يرد ثواب » حيث وقع .

التاسع : الذال في التاء من « اتخذتم » ، وما جاء من لفظه .

العاشر : الذال فيها من « فنبذتها » في طه .

الحادي عشر : الذال فيها أيضاً في « عُدْتُ بِرَبِّي » في غافر والدخان .

الثاني عشر : التاء من « لَبِثْتُمْ » و « لَبِثْتُ » كيف جاء .

الثالث عشر : التاء في « أَوْزَنْتُمُوهَا » في الأعراف والزخرف .

الرابع عشر : الدال في الذال في « كهيص ذِكرٌ » .

الخامس عشر : النون في الواو من « يس والقرآن » .

السادس عشر : النون فيها من « ن والقلم » .

السابع عشر : النون عند الميم من « طسّم » أول الشعراء والقصاص .

قاعدة

كلّ حرفين التقييا ؛ أولهما ساكن وكانا مثلين ، أو جنسين وجب إدغام الأول منهما لغة وقراءة .

فالمثلان نحو « اضرب بعصاك » ، « ربحت تجارتهم » ، « وقد دخلوا » ، « اذهب وقل لهم » « وهم من » ، « عن نفس » ، « يدرككم » ، « بوجهه » .
والجنسان : نحو « قالت طائفة » ، « وقد نبين » ، « إذ ظلمتم » ، « بل زان » ، « هل رأيتم » ، « قل رب » ، « ما لم يكن أول المثلين حرف مدّ نحو « قاتلوا وهم » ، « الذي يوسوس » ، « أو أول الجنسين حرف حلق نحو « فاصفح عنهم » .

فائدة

كره قوم الإدغام في القرآن ، وعن حمزة أنه كرهه في الصلاة ، فتحصلنا على ثلاثة أقوال .

تذنيب

يلحق بالتسمين السابقين قسم آخر اختلف في بعضه ، وهو أحكام النون الساكنة والتنوين ، ولها أحكام أربعة : إظهار ، وإدغام ، وإقلاب ، وإخفاء .

فالإظهار لجميع القراء عند ستة أحرف ، وهي حروف الحلق : الهمزة ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والحاء ، نحو « بناؤن » « من آمن » ، « فأنهار » ، « من هادي » ، « جرف هار » « أنمت » ، « من عمل » ، « عذاب عظيم » ، « وأمحر » ، « من حكيم حميد » ، « فيسئفون » « من غل » ، « إله غيره » ، و « المنخفة » ، « من خير » ، « قوم خصمون » .

وبعضهم يخفي عند الحاء والغين .

والإدغام في ستة ؛ حرفان بلاغنة ؛ وهما اللام والراء ، نحو « فإن لم تفعلوا » ، « هدى للمتقين » ، « من ربهم » ، « ثمرة رزقا » . وأربعة بغنة ، وهي : النون ، والميم ، والياء والواو ،

نحو «عن نس» ، «حطة تغفر» ، «من مال» ، «مثلاً ما» ، «من وال» «رعد وبرق» ،
«من يقول» ، «وبرق يجعلون» .

والإقلاب عند حرف واحد ، وهو الباء نحو «أنبتهم» ، «من بعدم» ، «صم بكم»
بقلب النون والتنوين عند الباء مما خاصة فتخفي بفئة .

* * *

والإخفاء عند باقى الحروف وهى خمسة عشر : التاء ، والتاء ، والجيم ، والذال ،
والذال ، والزاي ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والقاف ،
والقاف ، والسكاف ، نحو كنتم ، من باب ، جنات تجري ، والآتى ، من ثمرة ، قولاً هيلاً ،
أنجبتنا ، أن جعل ، خلقاً جديداً ، أندادا ، أن دعوا ، كأساً دهاقا ، أنذرهم ، من ذهب ، وكلا
ذرية ، تنزيل ، من زوال ، صعيداً زلقاً ، الإنسان ، من سوء ، رجلاً سلماً ، لما أنشروه ، إن شاء ،
غفور شكور ، الأنصار ، أن صدوكم ، جمالات صفر ، منضود ، من ضل ، وكلا ضربتنا ،
مقنطرة ، من طين ، صعيداً طيباً ، ينظرون ، من ظهير ، ظلاً ظليلاً ، فافلق ، من
فضله ، خالداً فيها ، اقلبوا ، من قرار ، سميع قريب ، المنكر ، من كتاب ، كتاب كريم .
والإخفاء حالة بين الإدغام والإظهار ، ولأبد من الفئة معه .

التَوْعُ الشَّانِي وَالثَّلَاثُونَ
فِي الْمَثَرِ وَالْقَصْرِ

أقره جماعة من القراء بالتصنيف، والأصل في اللد ما أخرجه سعيد بن منصور في سننه ،
حدثنا شهاب بن خراش ، حدثني مسعود بن يزيد الكندي ، قال : كان ابن مسعود
يقري رجلا ، قرأ الرجل : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ ^(١) رسالة ، قال
ابن مسعود : ما هكذا قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كيف أقرأها
يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : قرأها : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ فدد .
وهذا حديث جليل حجة ، ونص في الباب ، رجال إسناده قات ، أخرجه الطبراني
في الكبير .

اللد : عبارة عن زيادة مطر في حرف اللد على اللد الطبيعي ؛ وهو التي لا تقوم
ذات حرف اللد دونه ^(٢) .

والقصر : تركت تلك الزيادة ، وإبقاء اللد الطبيعي على حاله .

وحرف اللد الألف مطلقا ، والواو الساكنة الضموم ما قبلها ، والياء الساكنة
اللكور ما قبلها .

وسيه لفظي ومعنوي ، فاللفظي إما همز أو سكون ، فالهمز يكون بعد حرف اللد
وقبله ، والثاني نحو آدم ، ورأي ، وإيمان ، وخاطنين ، وأوتوا ، واللومعة .
والأول إن كان منه في كلمة واحدة فهو اتصل ، نحو أولئك ، شاء الله ، والسوى ،
ومن سوء ، وضى .

وإن كان حرف اللد آخر كلمة والهمز أول أخرى فهو للتفصل نحو بما أنزل ،
يا أيها ، قالوا آمنا ، أسمه إلى الله ، في أنتم ، به إلا الفاسقين .

ووجه المدّ لأجل الهمز أن حرف المدّ خفيّ ، والهمز صعب ، فزيد في الخفيّ ليتمكّن من النطق بالصعب .

والسكون إما لازم ، وهو الذي لا يتغيّر في حاله ، نحو الضالّين ، ودآبة ، والم ، وأتخاجوني . أو عارض وهو الذي يعرض للوقف ونحوه ، نحو العباد ، والحساب ، ونستعين ، والرحيم ، ويوقنون حالة الوقف ، وفيه هدى ، وقال لهم ، ويقول ربنا حالة الإدغام .

ووجه المدّ للسكون التمكن من الجمع بين الساكنين ، فكانه قام مقام حركة .

* * *

وقد أجمع القراء على مدّ نوعيّ المتصل وذو الساكن اللازم ، وإن اختلفوا في مقداره . واختلفوا في مدّ النوعين الآخرين وهما المنفصل وذو الساكن العارض ، وفي قصرهما .

فأما المتصل فاتفق الجمهور على مدّه قدرًا واحدًا مشبعًا من غير إغش .

وذهب آخرون إلى تفاضله كتفاضل المنفصل ، فالطويل لحزّة وورش ، ودونها لعاصم ، ودونها لابن عامر والكسائي وخلف ، ودونها لأبي عمرو والباقيين .

وذهب بعضهم إلى أنه مرتبتان فقط : الطويل لمن ذكر ، والوسطى لمن بقى .

وأما ذو الساكن — ويقال له مدّ العدل لأنه يمدل حركة — فالجمهور أيضا على مدّه مشبعًا قدرًا واحدًا من غير إفراط ، وذهب بعضهم إلى تفاوته .

وأما المنفصل — ويقال له مدّ الفصل ، لأنه يفصل بين الكلمتين ، ومدّ البسط لأنه يبسط بين الكلمتين ، ومدّ الاعتبار ، لاعتبار الكلمتين من كلمة ، ومدّ حرف بحرف ، أي مدّ كلمة بكلمة ، والمدّ الجائز ، من أجل الخلاف في مدّ وقصره — فقد اختلفت العبارات في مقدار مدّه اختلافًا لا يمكن ضبطه .

والحاصل أن له سبع مراتب :

الأولى : القصر ؛ وهو حذف المدِّ العرَضِيّ ، وإبقاء ذات حرف المدِّ على ما فيها من غير زيادة ؛ وهي في المنفصل خاصة لأبي جعفر وابن كثير ، ولأبي عمرو عند الجمهور .

الثانية : فُوق القصر قليلا ، وقُدِّرت بألفين . وبعضهم بألفٍ ونصف ، وهي لأبي عمرو ، في المتصل والمنفصل عند صاحب التيسير ^(١)

الثالثة : فُوقها قليلا ، وهي التوسُّط عند الجميع ؛ وقُدِّرت بثلاث أَلِفَات ، وقيل بألفين ونصف ، وقيل بألفين ، على أن ما قبلها بألف ونصف ، وهي لابن عامر والكسائي في الضريبن عند صاحب التيسير .

الرابعة : فُوقها قليلا ، وقُدِّرت بأربع أَلِفَات ، وقيل بثلاث ونصف ، وقيل بثلاث على اختلاف فيما قبلها ؛ وهي لعاصم في الضريبن عند صاحب التيسير .

الخامسة : فُوقها ^(٢) قليلا ، وقُدِّرت بخمس أَلِفَات ، وبأربع ونصف ، وبأربع ، على الخلاف ، وهي فيها حمزة وورش عنده .

السادسة : فوق ذلك ، وقُدِّرها الهذليّ بخمس أَلِفَات على تقدير الخامسة بأربع ، وذكر أنها حمزة .

السابعة : الإفراط ، قُدِّرها الهذليّ بست ، وذكرها الورش . قال ابن الجزريّ : وهذا الاختلاف في تقدير المراتب بالألِفَات لآتعميق وراءه ، بل هو لفظيّ ، لأن المرتبة الدنيا — وهي القصر — إذا زيد عليها أدنى زيادة صارت ثانية ، ثم كذلك حتى تنتهي إلى القصى .

* * *

وأما العارض فيجوز فيه لكلّ من القراء كلٌّ من الأوجه الثلاثة : المدِّ

(١) ط : « التفسير » ، وهو خطأ ، صوابه من الأصل والتيسير لأبي عمرو الداني .

(٢) ط : « فوائدها » ، تحريف .

والقصر، وهى أوجه تخيير؛ وأما السبب المعنوى فهو قصد المبالغة فى النفي، وهو سبب قوى مقصود عند العرب، وإن كان أضعف من اللفظى عند القراء، ومنه مد التعظيم فى نحو «لا إله إلا هو»، «لا إله إلا الله»، «لا إله إلا أنت». وقد ورد عن أصحاب القصر فى المنفصل لهذا المعنى، ويسمى مد المبالغة. قال ابن مهران فى كتاب المئات: إنما سمى مد المبالغة لأنه كلب للمبالغة فى نفي الألهمية سوى الله تعالى. قال: وهذا مذهب معروف عند العرب، لأنها تمد عند الدعاء وعند الاستغاثة، وعند المبالغة فى نفي شئ، ويمدون ما لا أصل له بهذه العلة. قال ابن الجزرى: وقد ورد عن حمزة مد المبالغة للنفي فى «لا» التى للتبرئة، نحو «لاريب فيه» «لاشية فيها»، «لامرد له»، «لاجرم»، وقدره فى ذلك وسط، لا يبلغ الإشباع لضعف سببه. نص عليه ابن الفصاح (١).

وقد يجتمع السببان: اللفظى والمعنوى، فى نحو «لا إله إلا»، و«لا إكراه فى الدين» و«لا إثم عليه»، فتمد لجرمة مدًا مشبعًا على أصله فى المد لأجل الهمز، ويبلغ المعنوى، إعمالاً للأقوى وإلغاء الأضعف.



قاعدة

إذا تغير سبب المد جاز المد مراعاة للأصل، والقصر نظرًا للفظ، سواء كان السبب همزا أو سكونا، سواء تغير الهمز بين بين، أو بإبدال، أو حذف؛ والمد أولى فيمابقى لتغيره أثر، نحو ﴿هؤلاء إن كنتم﴾ (٢) فى قراءة قالون والبرى، والقصر فيما مذهب أثره نحوها فى قراءة أبى عمرو (٣).

(١) هو محمد بن إسرائيل بن أبى بكر، أبو عبدالله السلمى المعروف بابن الفصاح، مقرأ من أهل دمشق، وهو صاحب كتاب الاستبصار والفتى، وكلامهما فى القراءات. توفى سنة ٦٧١. طبقات القراء ٢: ١٠٠.

(٢) سورة البقرة ٣١

(٣) قراءة قالون والبرى «تسهيل الهمزة الأولى بين الهمزة والياء، وتحقيق الثانية»، وقرأ أبو عمرو بإسقاط الأولى وتحقيق الثانية. وانظر إتحاف بحلا، بشر ١٣٢

قاعدة

متى اجتمع سببان : قوى و ضعيف عمل بالقوى ، وأُنْفَى الضعيف إجماعا ، ويتخرج عليها فروع :

منها الفرع السابق في اجتماع اللفظي والمعنوي .

ومنها نحو « جاءوا أباهم » ، و « رأى أيديهم » إذ اقرب لورش لا يجوز فيه القصر ولا التوسط بل الإشباع ؛ عملا بأقوى السببين ، وهو المد لأجل الهمز بعده ، فإن وقف على « جاءوا » أو « رأى » جازت الأوجه الثلاثة بسبب تقدم الهمز على حرف المد وذهاب سببية الهمز بعده .

فائدة

قال أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابورى : مدّات القرآن على عشرة أوجه :
مدّ الحجز في نحو « أنذرتهم » ، « أننت قلت للناس » ، « إذا متنا » ، « أولق عليه الذكر » ؛ لأنه أدخل بين الهمزتين حاجزا بينهما لاستئصال العرب جمعهما ، وقدره ألف تامّة بالإجماع ، فحصل الحجز بذلك .

ومدّ العدل في كلّ حرف مشدّد وقبله حرف مدّولين نحو « الضالين » ، لأنه يعدل حركة ، أى يقوم مقامها في الحجز بين الساكنين .

ومدّ التمكن في نحو « أوئك » ، و « الملائكة » و « شعائر » ؛ من ^(١) المدّات التي تليها همزة لأنه جلب ليتمكن به من تحقيقها وإخراجها من مخرجها .

ومدّ البسط ويسمى أيضا مدّ الفصل في نحو « بما أنزل » ، لأنه يبسط بين كلمتين ، ويصل به بين كلمتين متصلتين .

ومدّ الرّيم في نحو « ها أنتم » لأنهم يرومون الهمزة من « أنتم » ولا يحقّقونها ولا يتركونها أصلا ، ولكن يلينونها ؛ ويشيرون إليها ؛ وهذا على مذهب من لا يهمز « ها أنتم » ، وقدره ألف ونصف .

ومدّ الفرق في نحو « الآن » لأنه يفرق به بين الاستفهام والخبر ، وقدره ألف

تامة بالإجماع . فإن كان بين ألف المدّ حرف مشدّد زيد ألف أخرى ليتمكن به من تحقيق الهمزة نحو «الذاكرين الله» .

ومدّ البنية في نحو ماء ، ودعاء ، ونداء ، وزكرياء ، لأن الاسم بني على المدّ ، فرقا بينه وبين المقصور .

ومدّ المبالغة في نحو «لا إله إلا الله» .

ومدّ البدل من الهمزة في نحو آدم وآخر وآمن ، وقدره ألف تامة بالإجماع .

ومدّ الأصل في الأفعال الممدودة ، نحو جاء ، وشاء ، والفرق بينه وبين مدّ البنية أن تلك الأسماء بُنيت على المدّ ، فرقا بينها وبين المقصور ، وهذه مدّات في أصول أفعال أحدثت لمان . انتهى

التَّوَعُّ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ فِي تَخْفِيفِ الْمُهْمَزِ

فيه تصانيف مفردة .

اعلم أن المهمز لما كان أنقل الحروف نطقاً ، وأبعدها مخرَجاً ، تنوع العرب في تخفيفه بأنواع التخفيف ، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم له تخفيفاً ؛ ولذلك أكثر ما يرد تخفيفه من طرقهم ؛ كابن كثير من رواية ابن فليح ، وكنافع من رواية ورش وكأبي عمرو ، فإن مادة قراءته عن أهل الحجاز . وقد أخرج ابن عدى من طريق موسى بن عبيدة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : ما همز رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمرو ، ولا الخلفاء ، وإنما المهمز بدعة ابتدعوها من بعدهم .

قال أبو شامة : هذا حديث لا يحتج به ، وموسى بن عبيدة الرِّبْدِيُّ ضعيف عند أئمة الحديث . قلت : وكذا الحديث الذي أخرجه الحاكم في المستدرک ، من طريق حمران بن أعين ، عن أبي الأسود الدؤلى ، عن أبي ذر ، قال : جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبيَّ الله ، فقال : لست بنبيِّ الله ، ولكنني نبيُّ الله . قال الذهبي : حديث منكر ، وحمران رافضى ليس بثقة .

وأحكام المهمز كثيرة لا يحصيها أقل من مجلد ، والذي نوردُه هنا أن تحقيقه أربعة أنواع : أحدها : النقل لركنائه إلى الساكن قبله ، فيسقط نحو « قَدْ أَفْلَحَ » بفتح الـدالِ ، وبه قرأ نافع من طريق ورش ، وذلك حيث كان الساكن صحيحاً آخرًا والمهمزة أولاً . واستثنى أصحاب يعقوب عن ورش ﴿ كِتَابِيَّةٌ * إِنِّي ظَنَنْتُ ﴾ ^(١) ؛ فسكنوا الـهـاء وحققوا المهمزة ، وأما الباقون فحققوا وسكنوا في جميع القرآن .

وثانيهما: الإبدال، بأن تُبدل الهمزة الساكنة حرف مدٍّ من جنس حركة ما قبلها، فتبدل ألفاً بعد الفتح نحو ﴿ وَاْمُرْ أَهْلَكَ ﴾ وواو بعد الضمّ، نحو ﴿ يَوْمَنون ﴾، وياء بعد الكسر نحو ﴿ جيت ﴾، وبه قرأ أبو عمرو، وسواء كانت الهمزة فاه أم عينا أم لاماً، إلا أن يكون سكونها جزماً، نحو ﴿ نَنسأها ﴾ أو بناء نحو ﴿ أَرْجئُهُ ﴾، أو يكون ترك الهمزة في أنقل، وهو ﴿ تُؤوى إِلَيْكَ ﴾ في الأحزاب، أو يوقع في الالتباس وهو ﴿ رثياً ﴾ في مريم، فإن تحرّكت فلا خلاف عنه في التحقيق نحو « يؤدّه ».

ثالثها: التسهيل بينها وبين حرّكتها. فإن اتفق الهمزتان في الفتح سهّل الثانية الحرّميّان وأبو عمرو وهشام، وأبدلها ورش ألفاً، وابن كثير لا يدخل قبلها ألفاً، وقالون وهشام وأبو عمرو ويدخلونها، والباقون من السبعة يحقّقون. وإن اختلفا بالفتح والكسر سهّل الحرّميّان وأبو عمرو الثانية، وأدخل قالون وأبو عمرو قبلها ألفاً، والباقون يحقّقون. أو بالفتح والضم، وذلك في « قُلْ أُوْتِبْتُكُمْ »، « أُوْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ »، « أُوْلَئِى » فقط. فالثلاثة يسهّلون، وقالون يدخل ألفاً، والباقون يحقّقون.

قال الدانى: وقد أشار الصحابة إلى التسهيل بكتابة الثانية واوا.

رابعها: الإسقاط بلا نقل، وبه قرأ أبو عمرو، إذا اتفقا في الحركة وكانا في كلمتين، فإن اتفقا كسرا نحو « هؤلاء إن كنتم »، جعل ورش وقنبل الثانية كياء ساكنة وقالون والبنى الأولى كياء مكسورة وأسقطها أبو عمرو والباقون يحقّقون. وإن اتفقا فتحا نحو « جاء أجابهم » جعل ورش وقنبل الثانية كمدة، وأسقط الثلاثة الأولى، والباقون يحقّقون. أو ضموا هو « أولياء أولئك »، فقط أسقطها أبو عمرو، وجعلها قالون والبنى كواو مضمومة، والآخراّن يحملان الثانية كواو ساكنة، والباقون يحقّقون.

ثم اختلفوا في الساقط: هل هو الأولى أو الثانية؟ الأول عن أبي عمرو، والثانى عن الخليل من النحاة.

وتظهر فائدة الخلاف في المدّ، فإن كان الساقط الأولى فهو منفصل، أو الثانية فهو متصل.

النوع الرابع والثلاثون في كيفية تحمُّل

اعلم أن حفظ القرآن فرض كفاية على الأمة، صرح به الجرجاني في الشافعي^(١) والعبادي وغيرهما. قال الجويني: والمعنى فيه ألا ينقطع عدد التواتر فيه، فلا يتطرق إليه التبديل والتحريف، فإن قام بذلك قومٌ يباغون هذا العدد سقط عن الباقيين، وإلا أتم الكل. وتعليمه أيضا فرض كفاية، وهو من أفضل القرب، ففي الصحيح: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٢).

وأوجه التحمُّل عند أهل الحديث، السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه، والسماع عليه بقراءة غيره، والمناولة والإجازة والمسكاتية والوصية والإعلام والوجداء، فأما غير الأولين فلا يأتي هنا، لما يعلم مما سند كره.

وأما القراءة على الشيخ فهي المستعملة سلفاً وخلفاً، وأما السماع من لفظ الشيخ فيحتمل أن يقال به هنا؛ لأن الصحابة رضوا الله عنهم إنما أخذوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم؛ لكن لم يأخذ به أحدٌ من القراء، والمنع فيه ظاهر؛ لأن المقصود هنا كيفية الأداء، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء كهيئته، بخلاف الحديث، فإن المقصود فيه المعنى أو اللفظ لا بالهيئات المعتبرة في أداء القرآن؛ وأما الصحابة فكانت فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضى قدرتهم على الأداء؛ كما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه نزل بلفظهم.

وتما يدل للقراءة على الشيخ عرض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن على جبريل في

(١) كتاب الشافعي في فروع الشافعي، لأبي العباس أحمد بن محمد الجرجاني، المتوفى سنة ٤٨٢، ذكره صاحب كشف الظنون، ونقل الزركشي عنه في البرهان ١: ٤٥٦.

(٢) قوله في البرهان ١: ٣٥٦.

رمضان كل عام ؛ ويحكى أن الشيخ شمس الدين بن الجزرى لما قدم القاهرة وازدحت عليه الخلق ، لم ينسح وقته لقراءة الجميع ، فكان يقرأ عليهم الآية ، ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة ، فلم يكتف بقراءته .

وتجوز القراءة على الشيخ ؛ ولو كان غيره يقرأ عليه في تلك الحالة ، إذا كان بحيث لا يخفى عليه حالهم . وقد كان الشيخ علم الدين السخاوى يقرأ عليه اثنان وثلاثة في أما كن مختلفة ، ويرد على كل منهم ، وكذا لو كان الشيخ مشتغلاً بشغل آخر كنسخ ومطالعة .
وأما القراءة من الحفظ فالظاهر أنها ليست بشرط ، بل يكفي ولو من المصحف .

* * *

فصل

كيفية القراءة ثلاث :

أحدها: التحقيق، وهو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق الهزمة وإتمام الحركات واعتماد الإظهار والتشديدات ، وبيان الحروف وتفكيكها وإخراج بعضها من بعض ، بالسكت والترتيل والتؤدة وملاحظة الجائز من الوقوف بلا قصر ولا اختلاس ولا إسكان محرك ولا إدغامه ؛ وهو يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ . ويستحب الأخذ به على المتعلمين من غير أن يتجاوز فيه إلى حد الإفراط بتوليد الحروف من الحركات ، وتكرير الرّاءات ، وتحريك السّوا كن وتطين التّونات بالمبالغة في الغنات ، كما قال حمزة لبعض من سمعه يبالغ في ذلك : أما علمت أن ما فوق البياض برص ، وما فوق الجمود قَطَط ، وما فوق القراءة ليس بقراءة !

وكذا يحتر من الفصل بين حروف الكلمة ، كمن يقف على التاء من « نستعين » وقفة لطيفة ، مدعياً أنه يرتل ؛ وهذا النوع من القراءة مذهب حمزة وورش ، وقد أخرج فيه الدانى حديثاً في كتاب التجويد مسلاً إلى أبي بن كعب ، أنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم التحقيق ، وقال : إنه غريب مستقيم الإسناد .

الثانية : الحَذْر ، بفتح الحاء وسكون الدال المهملتين ؛ وهو إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين ، والاختلاس والبدل والإدغام الكبير ، وتخفيف الهمزة ، ونحو ذلك مما صححت به الرواية مع مراعاة إقامة الإعراب وتقويم اللفظ ، وتمكّن الحروف بدون بثّر حروف المدّ ، واختلاس أكثر الحركات ، وذهاب صوت الغنة والتفريط إلى غاية لا تصحّ بها القراءة ، ولا توصف بها التلاوة ؛ وهذا النوع مذهب ابن كثير وأبي جعفر . ومن قصر المنفصل كأبي عمرو ويعقوب .

الثالثة : التدوير ، وهو التوسط بين المقامين من التحقيق والحَذْر ، وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة من مدّ المنفصل ، ولم يبلغ فيه الإشباع ، وهو مذهب سائر القراء ، وهو المختار عند أكثر أهل الاداء .

* * *

تذنيه

سيأتى في النوع الذى يلي هذا استحباب الترتيل فى القراءة ، والفرق بينه وبين التحقيق — فيما ذكره بعضهم — أن التحقيق يكون للرياضة والتعليم والتمرين ، والترتيل يكون للتدبر والتفكير والاستنباط ؛ فكلّ تحقيق ترتيل ، وليس كلّ ترتيل تحقيقا .

* * *

فصل

من المهمات تجويد القرآن ، وقد أفرده جماعة كثيرون بالتصنيف ؛ ومنهم اللدائى وغيره . أخرج عن ابن مسعود أنه قال : « جودوا القرآن » .

قال القراء : التجويد حلية القراءة ، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ، وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله ، وتلطيف النطق به على كمال هيئته ، من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تنكّاف ، وإلى ذلك أشار صلى الله عليه وسلم بقوله : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يقرأ

القرآن غَضًّا كما أنزل ، فليقرأه على قراءة ابن أم عَبْدِه - يعنى ابن مسعود - وكان رضى الله عنه قد أعطى حفا عظيمًا فى تجويد القرآن ، ولاشك أن الأمة ، كما هم متعبّدون بفهم معانى القرآن وإقامة حدوده ، هم متعبّدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصّفة المتعلّقة من أئمة القراء ، المتصلة بالحضرة النبوية . وقد عدّ العلماء القراءة بغير تجويد لحناً ، فقسّموا اللحن إلى جلى وخفى ، فاللحن خلل بطراً على الألفاظ فيخل ، إلا أن الجلى يخل إخلالاً ظاهراً ؛ يشترك فى معرفته علماء القراءة وغيرهم ، وهو الخطأ فى الإعراب ، والخفى يخل إخلالاً يختصّ بمعرفة علماء القراءة وأئمة الأداء الذين تلقّوه من أفواه العلماء ، وضبطوه من ألفاظ أهل الأداء (٢) .

قال ابن الجزرى : ولا أعلم لمبلوغ النهاية فى التجويد مثل رياضة الألسن والتكرار على اللفظ المتماق من فم الحين . وقاعدته ترجع إلى معرفة كيفية الوقف والإمالة والإدغام وأحكام الهمز والترقيق والتفخيم ومخارج الحروف ؛ وقد تقدمت الأربعة الأول ، وأما الترقيق فالحروف المستقلة كلّها مرقّقة ، لا يجوز تفخيمها ، إلا اللام من اسم الله بعد فتحة أو ضمة إجماعاً ، أو بعد حروف الإطباق فى رواية ، إلا الراء المضمومة أو المفتوحة مطلقاً ، أو الساكنة فى بعض الأحوال . والحروف المستعملة كلّها منخّمة لا يستثنى منها شيء فى حال من الأحوال (٣) .

وأما مخارج الحروف ؛ فالصحيح عند القراء ومتقدّمى النحاة كالخليل أنّها سبعة عشر . وقال كثير من الترقيين : ستمّة عشر ، فأسقطوا مخرج الحروف الجوفية ، وهى حروف المدّ واللين ، وجعلوا مخرج الألف من أقصى الخلق (٤) والواو من مخرج المتحركة ، وكذا الباء (٥) .

(١) اظر النشر ١ : ٢١٢ وإعبارة فى : « وكان رضى الله عنه قد أعطى خطأ عظيماً فى تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله كما أنزله الله تعالى ، وناهيك برجل أحبّ إلى الله عليه وسلم أن يسمع القرآن منه . »
(٢) النشر ١ : ٢٣٤
(٣) ط : « الحاقى » ، وما أثبتته من النشر
(٤) « الحاقى » ، وما أثبتته من النشر

وقال قوم : أربعة عشر^(١) ، فأسقطوا مخرج النون واللام والراء ، وجملوها من مخرج واحد .

قال ابن الحاجب : وكل ذلك تقريب ، وإلا فلكل حرف مخرج على حدة .
قال القراء : واختيار مخرج الحرف محققاً ، أن تلفظ بهمزة الوصل وتأتي بالحرف بعده ساكناً أو مشدداً ، وهو أبين ، ملاحظاً فيه صفات ذلك الحرف^(٢) :

المخرج الأول : الجوف للألف والواو والياء الساكنين بعد حركة تجانسها^(٣) .
الثاني : أقصى الحلق ، للمهزة والهاء .

الثالث : وسطه ، للعين والحاء المهملتين .

الرابع : أدناه للقم^(٤) ، للفين والحاء .

الخامس : أقصى اللسان مما يلي الحلق وما فوقه من الحنك تقاف .

السادس : أقصاه من أسفل مخرج القاف قليلاً ، وما يليه من الحنك للكاف^(٥) .

السابع : وسطه^(٦) ، بينه وبين وسط الحنك ، للجيم والشين والياء .

الثامن : للضاد المعجمة ، من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب

الأيسر ، وقيل : الأيمن .

التاسع : اللام من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه ، وما بينها وبين ما يليها

من الحنك الأعلى^(٧) .

(١) في النثر : « ذهب قطرب والجزمي والقراء وابن دريد وابن كيسان إلى أنها أربعة عشر »

(٢) النثر ١ : ١٩٨

(٣) عبارة النثر : « وهو للألف والواو الساكنة المضمومة قبلها ، والياء الساكنة المكسور ما قبلها ، وهذه الحروف تسمى حروف الدوليين ، وتسمى الهوائية والجوفية ، وإنما سبب إلى الجوف لأنه انقطاع مخرجين » .

(٤) النثر : « أدنى الحلق إلى القم » .

(٥) النثر : « وهذان الحرفان يقال لكل منهما هوى ، نسبة إلى الهباء ، وهي بين القم والحلق » .

(٦) أي وسط اللسان . (٧) النثر : « مما فوق الضاحك والناز والرابعة والثنية » :

العاشر : للنون من طرفه ، أسفل اللام قليلا .

الحادى عشر : للراء من مخرج النون ، لسكنها أدخل في ظهر اللسان ^(١) .

الثانى عشر : للاطاء والدال والتاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعداً إلى جهة الحنك ^(٢) .

الثالث عشر : الحرف الصغير ، والصاد والسين والزأى ، من بين طرف اللسان وفوق الثنايا السفلى ^(٣) .

الرابع عشر : للاطاء والتاء والذال ، من بين طرفه ، وأطراف الثنايا العليا ^(٤) .

الخامس عشر : للفاء ، من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا .

السادس عشر : للباء والميم والواو غير المديّة بين الشفتين ^(٥) .

السابع عشر : الخيشوم للغنة في الإدغام والنون أو والميم الساكنة ^(٦) .

قال في النشر : فالهمزة والهاء اشتركا مخرجاً وانفتاحاً واستفلاً ، وانفردت الهمزة بالجهر والشدة ، والعين والحاء اشتركا كذلك ، وانفردت الحاء بالهمس والرخاوة الخالصة ، والغين والحاء اشتركا مخرجاً ورخاوة واستعلاءً وانفتاحاً ، وانفردت الغين بالجهر ، والجيم والشين والياء اشتركت مخرجاً وانفتاحاً واستفلاً ، وانفردت الجيم بالشدة ، واشتركت مع الياء في الجهر ، وانفردت الشين بالهمس والتشبي ، واشتركت مع الياء في الرخاوة ، والصاد والطاء اشتركا صفة جهر اورخاوة واستعلاءً ، وإطباقاً ، وانفردا مخرجاً ، وانفردت الصاد

(١) النشر : « وهذه الثلاثة يقال لها الداقية ، نسبة إلى موضع مخرجها ، وهو طرف اللسان ، إذ طرف كل شيء ذاقه » .

(٢) النشر : « ويقال لهذه الثلاثة النطقية ، لأنها تخرج من نطق الفار الأعلى ، وهو سقفه » .

(٣) النشر : « وهذه الثلاثة الأحرف هي الأسلية ، لأنها تخرج من أسلة اللسان ، وهو مستدقه » .

(٤) النشر : « ويقال لها : اللثوية ، نسبة إلى اللثة ، وهو اللحم المركب فيه الأسنان » .

(٥) النشر : « وهذه الأحرف الأربعة يقال لها الشفوية ، نسبة إلى الموضع الذى تخرج منه ، وهو الشفتان » .

(٦) النشر : ١ : ١٩٩ — ٢٠١

بالاستطالة ، والطاء والهمال والناء اشتركت مخرجاً وشدة ، وانفردت الطاء بالإطباق والاستملاء ، واشتركت مع الدال في الجهر ، وانفردت الناء بالهمس ، واشتركت مع الدال في الانفتاح والاستفال ، والطاء والذال والناء اشتركت مخرجاً ورخاوة ، وانفردت الطاء بالاستملاء والإطباق ، واشتركت مع الدال في الجهر ، وانفردت الناء بالهمس ، واشتركت مع الدال انفتاحاً واستفالاً ، والصاد والزاي والسين اشتركت مخرجاً ورخاوة وصفيراً ، وانفردت الصاد بالإطباق والاستملاء واشتركت مع السين في الهمس ، وانفردت الزاي بالجهر ، واشتركت مع السين في الانفتاح والاستفال ، فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته مؤنقاً حقه ، فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الأفراد ، بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب ؛ وقوى وضعيف ، ومفخم ومرفق ، فيجذب القوى الضعيف ، ويفلب المفخم المرفق ، ويصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة ؛ فمن أحكم صحة التلفظ حالة التركيب ، حصل حقيقة التجويد ^(١) .

ومن قصيدة الشيخ علم الدين في التجويد — ومن خطه نقلت :

أومت ما لامدّ فيه لوان	لا تحسب التجويد مدّاً مفرداً
أو أن تلوك الحروف كالسكران	أو أن تشدد بعد مدّ همزة
فيقرأ سامعها من الغنيان	أو أن تفوه بهمزة متهوعاً
فيه ولا تك محسر الميزان	للحرف ميزان فلاتك طاعياً
من غير ما بهز وغير توان	فإذا همزت فجيء به متلفظاً
أو همزة حسناً أبا إحسان	وامدد حروف المدّ عند مسكن

قائده

قال في جمال القراء : قد ابتدع الناس في قراءة القرآن أصوات الغناء ، ويقال : إن أول ما غنى به من القرآن قوله تعالى : ﴿ أَمَّا السَّمِيعَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾ ^(٢) ؛ نقلوا ذلك من تفهيم بقول الشاعر :

(١) النشر ١ : ٢١٤

(٢) سورة الكهف : ٧٩

أما التظاوة فإنى سوف أنعتها * نعمتاً يوافق عندى بعض ما فيها
وقد قال صلى الله عليه وسلم فى هؤلاء : « مفتونة وقلوبهم قلوب من يعجبهم شأنهم » .
ومما ابتدعه شئ - سموه الترعيد ، وهو أن يرعد صوته كالذى يرعد من برد أو ألم .
وأخر سموه الترقيص ، وهو أن يروم السكون على الساكن ، ثم ينفجر مع الحركة كأنه
فى عدو أو هرولة .

وأخر يسمى التطريب ، وهو أن يترنم بالقرآن وينغم به فيمد فى غير مواضع المد ،
ويزيد فى المد على ما لا ينبغى .

وأخر يسمى التحزين ، وهو أن يأنى على وجه حزين يكاد يبكى مع خشوع وخضوع .
ومن ذلك نوع أحدثه هؤلاء الذين يجتمعون فيقرءون كلهم بصوت واحد ،
فيقولون فى قوله تعالى : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ «أفل تعقلون» ، بحذف الألف ، و «قال أمانا»
بحذف الواو ، ويمدّون ما لا يمدّ ، ليستقيم لهم الطريق التى سلكوها ، وينبغى أن يسمى
التحريف . انتهى

فصل

فى كيفية الأخذ بإفراد القراءات ، وجمعها

الذى كان عليه السلف أخذ كل ختمه برواية ، لا يجمعون رواية إلى غيرها إلا
أثناء المائة الخامسة ، فظهر جمع القراءات فى الختمه الواحدة ، واستقرت عليه العمل ، ولم
يكونوا يسمحون به إلا لمن أفرد القراءات ، وأتقن طرقها ، وقرأ لكل قارئه بختمه
على حدة ، بل إذا كان للشيخ روايان قرءوا لكل راوٍ بختمه ، ثم يجمعون له ، وهكذا .
وتساهل قوم ، فسمجوا أن يقرأ لكل قارئ من السبعة بختمه ، سوى نافع وحمزة ،
فإنهم كانوا يأخذون بختمه لقالون ، ثم ختمه لورش ، ثم ختمه لخلف ، ثم ختمه لخلاّد ، ولا يسمح

أحد بالجمع إلا بعد ذلك ، نعم إذا رأوا شخصاً أفرد وجمع على شيخ معتبر ، وأجيز وتأهل ، وأراد أن يجمع القراءات في ختمه ، لا يكلفونه الإفراد لعلمهم بوصوله إلى حد المعرفة والإتقان . ثم لهم في الجمع مذهبان :

أحدهما : لجمع بالحرف بأن يشرع في القراءة ، فإذا مرَّ بكلمة فيها خُلف أعادها بمفردها ؛ حتى يستوفى ما فيها ، ثم يقف عليها إن صلحت للوقف ، وإلا وصلها بآخر وجه ، حتى ينتهي إلى الوقف ؛ وإن كان الخلف يتعلق بكلمتين كالمد المنفصل ، وقف على الثانية ، واستوعب الخلاف ، وانتقل إلى ما بعدها ؛ وهذا مذهب المصريين ، وهو أوثق في الاستيفاء ، وأخف على الآخذ ، لكنه يخرج عن رونق القراءة وحسن التلاوة .

الثاني : الجمع بالوقف بأن يشرع بقراءة من قدمه حتى ينتهي إلى وقف ، ثم يعود إلى القارئ الذي بعده إلى ذلك الوقف ، ثم يعود ، وهكذا حتى يفرغ ؛ وهذا مذهب الشاميين ، وهو أشد استحضاراً ، وأشد استظهاراً ، وأطول زمناً ، وأجود مكاناً . وكان بعضهم يجمع بالآية على هذا الرسم ^(١) ، وذكر أبو الحسن القبحاقي ^(٢) في قصيدته وشرحها : الجامع القراءات شروطاً سبعة ، حاصلها خمسة :

أحدها : حسن الوقف .

ثانيها : حسن الابتداء .

ثالثها : حسن الأداء .

رابعها : عدم التركيب ، فإذا قرأ قارئ لا ينتقل إلى قراءة غيره حتى يتم ما فيها ، فإن فعل لم يدعه الشيخ ، بل يشير إليه بيده ؛ فإن لم يتفطن ، قال : لم تصل ، فإن لم يتفطن مكث حتى يتذكر ، فإن عجز ذكر له .

(٢) هو الإمام أبو الحسن علي بن عمربن إبراهيم

(١) احسن النشر ٢ : ١٩٦ ، ١٩٧

الكتاتيب الفيحاطي ، المتوفى سنة ٧٢٣ ، وقصيدته على وزن الشاطبية . نظم فيها مراد عليها من تبصرة

شكي وكان لابن شريح ولوجيز الأهوازي . النشر ١ : ٩٧

الخامس : رعاية الترتيب في القراءة والابتداء بما بدأ به المؤلفون في كتبهم ، فيبدأ
بنافع قبل ابن كثير ، ويقالون قبل ورش .

قال ابن الجزرى : والصواب أن هذا ليس بشرط بل مستحب ، بل الذين أدركتناهم من
الأستاذين لا يعدون الماهر إلا من يلتزم تقديم شخص بعينه ، وبعضهم كان يراعى في
الجمع التناوب ، فيبدأ بالقصر ، ثم بالرتبة التي فوقه وهكذا إلى آخر مراتب المد ،
ويبدأ بالمشبع ، ثم بما دونه إلى القصر ، وإنما يُسَلَّك ذلك مع شيخ بارع عظيم الاستحضار ،
أمّا غيره فيُسَلَّك معه ترتيب واحد .

قال : وعلى الجامع أن ينظر ما في الأحرف من الخلاف أصولاً وقَرُشاً ، فما أمكن
فيه التداخل اكتفى منه بوجه ، وما لم يمكن ، فيه نظر ، فإن أمكن عطفه على ما قبله
بكلمة أو كلمتين أو بأكثر من غير تخليط ولا تركيب اعتمده ، وإن لم يحسن عطفه رجع
إلى موضع ابتدائه حتى يستوعب الأوجه كلها من غير إهمال ولا تركيب ولا إعادة مداخل ؛
فإن الأول ممنوع ، والثاني مكروه ، والثالث معيب ^(١) .

وأما القراءة بالتلفيق وخط قراءة بأخرى ، فسيأتى بسطه في النوع الذى يلي هذا .
وأما القراءات والروايات والطرق والأوجه فليس للقارئ أن يدع منها شيئاً أو يتخل
به ، فإنه خللٌ في إكمال الرواية ، إلا الأوجه ، فإنها على سبيل التخيير ، فأى وجه أتى
به أجزاء في تلك الرواية .

وأما قدر ما يقرأ حال الأخذ ، فقد كان الصدر الأول لا يزيدون على عشر آيات لكأن
من كان ، وأما من بعدهم فرأوه بحسب قوّة الأخذ .

قال ابن الجزرى : والذى استقرّ عليه العمل الأخذ في الأفراد بجزء من أجزاء مائة
وعشرين ، وفي الجمع بجزء من أجزاء مائتين وأربعين ، ولم يحدث له آخرون حداً ، وهو
اختيار السخاوى .

وقد تلخصت هذا النوع ، ورتبت فيه متفرقات كلام أئمة القراءات ، وهو نوع
مهم يحتاج إليه القارئ ، كاحتياج الحدّث إلى مثله من علم الحديث .

فائدة

ادعى ابن خبير الإجماع على أنه ليس لأحد أن ينقل حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ما لم يكن له به رواية ، ولو بالإجازة ؛ فهل يكون حكم القرآن كذلك ؛ فليس لأحد أن ينقل آية أو يقرأها ما لم يقرأها على شيخ ؛ لم أرفى ذلك نقلاً ، ولذلك وجه من حيث أن الاحتياط في أداء الفاظ القرآن أشد منه في ألفاظ الحديث . ولعدم اشتراطه فيه وجه ، من حيث أن اشتراط ذلك في الحديث ؛ إنما هو لخوف أن يدخل في الحديث ما ليس منه ، أو يتقول على النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله ، والقرآن محفوظ متأنى متداول ميسر ، وهذا هو الظاهر .

فائدة ثانية

الإجازة من الشيخ غير شرط في جواز التصدي للإقراء والإفادة ، فمن علم من نفسه الأهلية جاز له ذلك ، وإن لم يجزه أحد ، وعلى ذلك السلف الأولون والصدور الصالح ، وكذلك في كل علم ، وفي الإقراء والإفتاء ؛ خلافاً لما يتوهمه الأغبياء من اعتقاد كونها شرطاً ؛ وإنما اصطاح الناس على الإجازة ، لأن أهلية الشخص لا يعلمها غالباً من يريد الأخذ عنه من المبتدئين ونحوهم ، لقصور مقامهم عن ذلك ، والبحث عن الأهلية قبل الأخذ شرط ، فحملت الإجازة كالشهادة من الشيخ للمجاز بالأهلية .

فائدة ثالثة

ما اعتاده كثير من مشايخ القراء ؛ من امتناعهم من الإجازة إلا بأخذ مال في مقابلها ، لا يجوز إجماعاً ، بل إن علم أهليته وجب عليه الإجازة ، أو عدمها حرم عليه ، وليست الإجازة مما يقابل بالمال ، فلا يجوز أخذه عنها ، ولا الأجرة عليها ؛ وفي فتاوى الصدر موهوب الجزرى من أصحابنا ، أنه سئل عن شيخ طلب من الطالب شيئاً على إجازته ،

فهل للطالب رفعه إلى الحاكم وإجباره على الإجازة؟ فأجاب : لا تجب الإجازة على الشيخ ، ولا يجوز أخذ الأجرة عليها .

وسُئِلَ أيضا عن رجل أجازه الشيخ بالإقراء ، ثم بان أنه لا دين له ، وخاف الشيخ من تفريطه ، فهل له النزول عن الإجازة؟ فأجاب : لا تبطل الإجازة بكونه غير دين . وأما أخذ الأجرة على التعليم فخائر ؛ ففي البخاري : « إن أحقّ ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله » . وقيل : إن تعين عليه لم يجز ، واختاره الحلبي . وقيل : لا يجوز مطلقاً ، وعليه أبو حنيفة ، لحديث أبي داود عن عبادة بن الصامت ، أنه علم رجلاً من أهل الصُّفَّة القرآن ، فأهدى له قوساً ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « إن سرك أن تطوَّق بها طوقاً من نار فاقبلها » .

وأجاب من جوّزه بأن في إسناده مقالا ، ولأنه تبرع بتعليمه ، فلم يستحق شيئاً ، ثم أهدى إليه على سبيل العوّض ، فلم يجز له الأخذ ، بخلاف من يعقد معه إجازة قبل التعليم .

وفي البستان ^(١) لأبي الليث : التعليم على ثلاثة أوجه :

أحدها : للحسبة ، ولا يأخذ به عوّضاً .

والثاني : أن يعلم بالأجرة .

والثالث : أن يعلم بغير شرط ، فإذا أهدى إليه قبل .

فالأوّل مأجور وعليه عمل الأنبياء ، والثاني مختلف فيه ، والأرجح الجواز ، والثالث يجوز إجماعاً ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان معلماً للخلق ، وكان يقبل الهدية .

(١) هو كتاب بستان العارفين لأبي الليث صرين محمد السمرة قندي المتوفى سنة ٣٥٥ ، ذكره صاحب كشف الضنون وقال : « هو كتاب مختصر مفيد على مائة وخمسين باباً في الأحاديث والآثار الواردة في آداب الشرعية والحاصل والأخلاق وبعض الأحكام الفرعية » .

فائدة رابعة

كان ابن بَصْحَانَ إِذَا رَدَّ عَلَى الْقَارِئِ شَيْئًا فَاتَهَ فَلَمْ يَعْرِفْهُ ، كَتَبَهُ عَلَيْهِ عِنْدَهُ ، فَإِذَا أَكْمَلَ الْخُتْمَةَ وَطَلَبَ الْإِجَازَةَ ، سَأَلَهُ عَنْ تِلْكَ الْمَوَاضِعِ ، فَإِنْ عَرَفَهَا أَجَازَهُ ، وَإِلَّا تَرَكَهُ يَجْمَعُ خُتْمَةَ أُخْرَى .

* * *

فائدة أخرى

على مر بدتحقيق القراءات وإحكام تلاوة الحروف ، أن يحفظ كتابا كاملا يستحضر به اختلاف القراءة ، وتمييز الخلاف الواجب من الخلاف الجائز .

* * *

فائدة أخرى

قال ابن الصلاح في فتاويه ^(١) : قراءة القرآن كرامة أكرم الله بها البشر ، فقد ورد أن الملائكة لم يعطوا ذلك ، وأنها حريصة لذلك على استماعه من الأنس .

(١) هو أبو عمرو وعثمان بن عبد الرحمن بن موسى بن نصر الدمشقي المعروف بابن الصلاح ، المتوفى سنة ٦٤٣ ، وصاحب المقدمة المعروفة باسمه في علوم الحديث ، قال ابن خالكان « وكانت فتاويه مسددة ، وهو أحد أشياخي » . وقال صاحب كشف الظنون . « فتاوى ابن الصلاح جميعها بمضطلته . . . وهي في مجلد كبير الهوائد . وانظر ضوابط الشافعية ٥ : ١٣٧ »

النوع الخامس والثلاثون
في آداب تلاوته وتأليفه

إفردته بالتصنيف جماعة ، منهم النووي في التبيان ^(١) ، وقد ذكر فيه ، وفي شرح المهذب ، وفي الأذكار ، جملة من الآداب ، وأنا ألتخصها هنا ، وأزيد عليها أضعافها ، وأفصلها مسألة مسألة ليسهل تناولها .

* * *

مسألة

يستحب الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته ، قال تعالى مثنياعلى من كان ذلك دأبه : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ ^(٢) .

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر : « لاحسدَ إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار... » ^(٣) .

وروى الترمذي من حديث ابن مسعود : « مَنْ قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها » .

وأخرج من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم : « يقول الرب سبحانه وتعالى : مَنْ شغله القرآن وذكرى عن مسألتى ، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله سائر على خلقه » .

وأخرج مسلم من حديث أبي أمامة : « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » .

وأخرج البيهقي من حديث عائشة : « البيت الذي يُقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السماء كما تراءى النجوم لأهل الأرض » .

(١) هو الإمام محيي الدين يحيى بن بربري بن بربري النووي الشافعي ، أحد علماء الشام وحفاظ الحديث بها ، ولد بزوى من أعمال دمشق سنة ٦٣١ ، وتوفي بها سنة ٦٧٧ . وكتاب التبيان في آداب حملة القرآن ، مرتب على عشرة أبواب ، وكتاب الأذكار منتخب من كلام سيد الأبرار ، والمهذب في فروع فقه الشافعية . وانظر ترجمة في طبقات الشافعية ٥ : ١٦٥

(٢) سورة آل عمران ١١٢

(٣) بقية الحديث كما في لفظ مسلم ٥٢٨ : « ورجل آتاه الله مالا ، فهو ينفقه آناء الليل والنهار » .

وأخرج من حديث أنس : « نوروا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن » .
وأخرج من حديث النعمان بن بشير : « أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن » .
وأخرج من حديث سُمرة بن جُنْدَب : « كل مؤدبٍ يُحب أن تؤتى مأدبته ، ومأدبة
الله القرآن ، فلا تهجروه » .

وأخرج من حديث عبيدة المكي مرفوعاً وموقوفاً : « يا أهل القرآن ، لا تتوسدوا
القرآن وأتلوه حتى تلاوته آناء الليل والنهار وأفشوه ، وتدبروا ما فيه ، لعلكم تفلاحون » .
وقد كان للسلف في قَدْر القراءة عادات ، فأكثر ما ورد في كثرة القراءة : « مَنْ
كان يحتم في اليوم واللييلة ثمانى ختمات : أربعاً في الليل ، وأربعاً في النهار » ، وبلية : « من كان
يحتم في اليوم واللييلة أربعاً » ، وبلية ثلاثاً ، وبلية ، ختمين ، وبلية ختمة .

وقد ذمت عائشة ذلك ، فأخرج ابنُ أبي داود عن مسلم بن مخرق ، قال : قلت
لعائشة : إن رجلاً يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثاً ، فقالت : قرءوا ولم يقرءوا ،
كنت أقوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة التمام ، فيقرأ بالبقرة وآل عمران
والنساء ، فلا يمرّ بآية فيها استبشار إلا دعا ورغب ، ولا بآية فيها تحذير إلا دعا واستعاذ .
وبلى ذلك مَنْ كان يحتم في ليلتين ، وبلية من كان يحتم في كل ثلاث ، وهو حسن .
وكره جماعات الختم في أقل من ذلك ، لما روى أبو داود والترمذى ، وصححه من
حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً : « لا يفقه مَنْ قرأ القرآن في أقل من ثلاث » .

وأخرج ابن أبي دواد وسعيد بن منصور عن ابن مسعود موقوفاً ، قال : « لا تقرأوا
القرآن في أقل من ثلاث » .

وأخرج أبو عبيد عن مُعاذ بن جبل أنه كان يكره أن يُقرأ القرآن في أقل من ثلاث .
وأخرج أحمد وأبو عبيد عن سعيد بن المنذر — وليس له غيره — قال : قلت : يا رسول
الله ، أقرأ القرآن في ثلاث ؟ قال : نعم ، إن استطعت .

وبليه: مَنْ ختم في أربع ، ثم في خمس ، ثم في ست ، ثم في سبع ، وهذا أوسط الأمور وأحسنها ، وهو فعل الأكثرين من الصحابة وغيرهم .

أخرج الشيخان عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اقرأ القرآن في شهر» ، قلت : إني أجد قوّة ، قال : اقرأه في عشر ، قلت : إني أجد قوّة ، قال : اقرأه في سبع ، ولا تزد على ذلك .

وأخرج أبو عبيد وغيره من طريق واسع بن حبان ، عن قيس بن أبي صعصعة — وليس له غيره — أنه قال : يا رسول الله ، في كم اقرأ القرآن ؟ قال : في خمسة عشر ، قلت : إني أجدني أقوى من ذلك ، قال : اقرأه في جمعة .

وبلى ذلك: مَنْ ختم في ثمان ، ثم في عشر ، ثم في شهر ، ثم في شهرين .

أخرج ابن أبي داود ، عن مكحول ، قال : كان أقوياء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرءون القرآن في سبع ، وبعضهم في شهر ، وبعضهم في شهرين ، وبعضهم في أكثر من ذلك .

وقال أبو الليث في البستان : ينبغي للقارىء أن يختم في السنة مرتين ، إن لم يقدر على الزيادة .

وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة ، أنه قال : مَنْ قرأ القرآن في كل سنة مرتين ، فقد أدى حقّه ؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم عرض على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين .

وقال غيره : يُكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يوماً بلا عذر ، نص عليه أحمد ، لأنّ عبد الله بن عمر سأل النبي صلى الله عليه وسلم : في كم نختم القرآن ؟ قال : في أربعين يوماً ، رواه أبو داود .

وقال النووي في الأذكار : المختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص ، فمن كان يظمر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف ، فليقتصر على قدرٍ يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ ، وكذلك

مَنْ كَانَ مَشْغُولًا بِبَشْرِ الْعِلْمِ ، أَوْ فَضْلِ الْحُكُومَاتِ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مِهْمَاتِ الدِّينِ وَالْمَصَالِحِ الْعَامَةِ ، فَلْيَقْتَصِرْ عَلَى قَدْرٍ لَا يَعْصِلُ بِسَبَبِهِ إِخْلَالَ مَا هُوَ مُرْصَدٌ لَهُ ، وَلَا فَوَاتَ كَمَالِهِ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ فَلْيَسْتَكْثِرْ مَا أَمَكْنَهُ ، مِنْ غَيْرِ خُرُوجٍ إِلَى حَدِّ الْمَلَلِ أَوْ الْهَذْرَةِ فِي الْقِرَاءَةِ (١) .

* * *

مسألة

نسيانه كبيرة ، صرح به النووي في الروضة وغيرها ، لحديث أبي داود وغيره : « عَرَضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي فَلَمْ أَرْ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ ، أَوْ تَهَارُجِلٍ ثُمَّ نَسِيَهَا » .

وروى أيضا حديث : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَ لِقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُجْزِمَ » .
وفي الصحيحين : « تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، هُوَ أَشَدُّ تَعَلُّقًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا » (٢) .

* * *

مسألة

يستحبُّ الوضوء لقراءة القرآن لأنه أفضل الأذكار ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يكره إن يذكر الله إلا على طهر ، كما ثبت في الحديث .

قال إمام الحرمين : ولا تكرر القراءة للمحدث ، لأنه صحح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ مع الحدث . قال في شرح المهذب : وإذا كان يقرأ فعرضت له ريح أمسك عن القراءة حتى يستقيم خروجها . وأما الجنب والحائض فتحرم عليهما القراءة ، نعم يجوز لهما النظر في المصحف وإمراره على القلب ، وأما متنجس الفم فتكره له القراءة .
وقيل : تحرم كس المصحف باليد النجسة .

(١) الهذرة : السرعة في القراءة . (٢) صحيح مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ولفظه : « في عقالها » . وتعاهدوا القرآن ، أي جددوا عهداً بملزمة تلاوته .

مسألة

وتسنّ القراءة في مكان نظيف ، وأفضله المسجد ، وكره قوم القراءة في الحمام والطريق ؛ قال النووي : ومذهبنا لا نكره فيهما . قال : وكرهها الشعبي في الحش^(١) ، وببيت الرّاحا وهي تدوير ، قال : وهو مقتضى مذهبنا .

* * *

مسألة

ويستحب أن يجلس مستقبلا متخشّعا بسكينة ووقار ، مطرِقا رأسه .

* * *

مسألة

ويسنّ أن يستاك تعظيما وتطهيرا ، وقدروى ابن ماجه عن عليّ موقوفا والبزار بسند جيد عنه مرفوعا : « إن أفواهكم طرق للقرآن ، فطيبوها بالسواك » . قلت : ولو قطع القراءة وعاد عن قرب ، فمقتضى استحباب التعموذ إعادة السواك أيضا .

* * *

مسألة

ويسنّ التعموذ قبل القراءة ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(٢) ، أي أردت قراءته .

وذهب قوم إلى أنه يتعموذ بعدها لظاهر الآية ، وقوم إلى وجوبها لظاهر الأمر .

قال النووي : فلو مرّ على قوم سلم عليهم وعاد إلى القراءة ، فإن أعاد التعموذ كان حسنا . قال : وصفته المختارة : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ؛ وكان جماعة من الساف يزيدون : « السميع العليم » . انتهى .

وعن حمزة : أستميد ونستميد واستمعت ، واختاره صاحب الهداية من الحنفية لمطابقة لفظ القرآن .

وعن حميد بن قيس : « أعوذ بالله القادر ، من الشيطان الغادر » .
وعن أبي السّمال : « أعوذ بالله القويّ ، من الشيطان الغويّ » .
وعن قوم : « أعوذ بالله العظيم ، من الشيطان الرجيم » :
وعن آخرين : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، إن الله هو السميع العليم » .
وفيها ألفاظ أخر .

قال الحلواني في جامعه : ليس للاستعاذة حدّ يُتَمهى إليه ، من شاء زاد ومن شاء نقص .
وفي النشر لابن الجزريّ : المختار عند أئمة القراءة الجهر بها ، وقيل : يُسرّ مطاقاً ،
وقيل : فيما عدا الفاتحة . قال : وقد أطلقوا اختيار الجهر . وقيدّه أبو شامة بقيد لا بدّ منه ،
وهو أن يكون بحضرة من يسمعه . قال : لأن الجهر بالتعموذ إظهار شعار القراءة كالجهر
بالتلبية وتسكيرات العيد . ومن فوائده أن السامع ينصت للقراءة من أولها ، لا يفوته منها
شيء ، وإذا أخفى التعموذ لم يعلم السامع بها إلا بعد أن فاته من المقرؤه شيء ، وهذا المعنى
هو الفارق بين القراءة في الصلاة وخارجها .

قال : واختلف المتأخرون في المراد بإخفائها ، فالجمهور على أن المراد به الإسرار ،
فلا بدّ من التلقظ وإسماع نفسه ، وقيل : السكتان بأن يذكرها بقلبه بلا تلقظ .
قال : وإذا قطع القراءة إعراضاً أو بكلام أجنبيّ — ولورد السلام — استأنفها
أوتعلّق بالقراءة فلا^(١) . قال : وهل هي سنة كفاية أو عين حتى لو قرأ جماعة جملة ، فهل يكفي
استعاذة واحد منهم كالتسمية على الأكل أولاً ؟ لم أرفيه نصّاً ، والظاهر الثاني ، لأن
المقصود اعتصام القارئ والتجاؤه بالله من شرّ الشيطان ، فلا يكون تعموذ واحد كافياً عن
آخر . انتهى كلام ابن الجزري^(٢) .

مسألة

وليحافظ على قراءة البسملة أول كلّ سورة غير براءة ، لأن أكثر العلماء على أنها آية

(١) كذا في الأصل ، وفي النشر : « أو كلام يتعلّق بالقراءة لم يعد الاستعاذة »

(٢) انظر النشر ١ : ٢٥٢ وما بعدها ، نقله بنصرف .

فإذا أخلّ بها كان تاركاً لبعض الختمة عند الأكثرين ، فإن قرأ من أثناء سورة استُجبت له أيضاً ، نصّ عليه الشافعيّ فيما نقله العباديّ ، قال القراء : وبتأ كد عند قراءة نحو ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ ^(١) ، و﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾ ^(٢) لما في ذكر ذلك بعد الاستعاذة من البشاعة ، وإيهام رجوع الضمير إلى الشيطان .

قال ابن الجزريّ : الابتداء بالآي وسط براءة ، قلّ مَنْ تعرّض له ، وقد صرح بالبسملة فيه أبو الحسن السخاويّ ، وردّ عليه الجعبري ^(٣) .

* * *

مسألة

لا تحتاج قراءة القرآن إلى نيّة كسائر الأذكار ، إلا إذا نذر ها خارج الصلاة ، فلا بدّ من نيّة التذّكر أو الفرض ؛ ولو عين الزمان ، فلو تركها لم تجز . نقله القمولىّ في الجواهر .

* * *

مسألة

يسنّ الترتيل في قراءة القرآن ، قال تعالى : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ .

وروى أبو داود وغيره عن أمّ سلمة ، أنّها نعمت قراءة النبيّ صلى الله عليه وسلم : «قراءة مفسّرة ، حرفاً حرفاً» .

وفي البخاريّ عن أنس ، أنه سُئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كانت مدّاً ، ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، يمدّ «الله» ، ويمدّ «الرحمن» ، ويمدّ «الرحيم» .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود ، أنّ رجلاً قال له : إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة ، فقال : «هذا كهذا الشعر ، إنّ قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، ولكن إذا وقع في القلب ، فرسخ فيه نفع» ^(٤) .

(٢) سورة الأنعام ١٤١

(٤) صحيح مسلم ٥٦٣

(١) سورة فصات ٤٧

(٣) النشر ١ : ٢٦٦ يتصرف

وأخرج الأجرى في حمة القرآن ، عن ابن مسعود قال : « لا تنثروه نثر الدقل ^(١) ، ولا تهذوه هذا الشعر ، قفوا عند معجائبه ، وخرّكوا به القلوب ، ولا يكون هم أحدكم آخر السورة » .

وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعاً : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارقي في الدرجات ، ورتّل كما كنت ترتّل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها » .
قال في شرح في المذهب : واتفقوا على كراهة الإفراط في الإسراع .

قالوا : وقراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزئين في قدر ذلك الزمان بلا ترتيل .
قالوا : واستحب الترتيل للتدبر ، ولأنه أقرب إلى الإجلال والتوقير ، وأشد تأثيراً في القلب ، ولهذا يستحب للأعجمي الذي لا يفهم معناه . انتهى

وفي النشر : اختلف ؛ هل الأفضل الترتيل وقلة القراءة أو السرعة مع كثرتها ؛ وأحسن بعض أئمتنا ، فقال : إن ثواب قراءة الترتيل أجلّ قدرًا ، وثواب الكثرة أكثر عددًا لأن بكل حرف عشر حسنات ^(٢) .

وفي البرهان للزركشي : كمال الترتيل تفخيم ألفاظه والإبانة عن حروفه ، وألا يدغم حرف في حرف . وقيل : هذا أقله وأكمله أن يقرأه على منازله ، فإن قرأ تهديدًا لفظ به لفظ التهديد ، أو تعظيمًا لفظ به على التعظيم ^(٣) .

* * *

مسألة

وتسن القراءة بالتدبر والنهيم ، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم ، وبه تنشرح الصدور ، وتستنير القلوب ، قال تعالى : ﴿ كتاب أنزلنا إليك مبارك ليدبروا آياته ﴾ ^(٤) ،

(٢) النشر ١ : ٢٠٨

(٤) سورة ص ٢٩

(١) الدقل : ررى التمر . واضر اللسان

(٣) البرهان ١ : ٥٠

وقال ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ ^(١) وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظ به ، فيعرف معنى كل آية ، ويتأمل الأوامر والنواهي ، ويعتقد قبول ذلك ؛ فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر ، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل ، أو عذاب أشفق وتعوّذ ، أو تنزية نزّه وعظّم ، أو دعاء تضرّع وطلب .

أخرج مسلم عن حذيفة ، قال : صلّيتُ مع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ذاتَ ليلةٍ ، فافتتح البقرة ، ثم النساء ، فقرأها ، ثم آل عمران فقرأها ، بقرأ مترسّلاً ، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مرّ بسؤال سأل ، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ .

وروى أبو داود والنسائي وغيرهما ، عن عوف بن مالك ، قال : قلت مع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ليلةً ، فقام فقرأ سورة البقرة ، لا يمرّ بآية رحمة إلا وقف وسأل ، ولا يمرّ بآية عذاب إلا وقف وتعوّذ .

وأخرج أبو داود والترمذى حديث : « من قرأ والتين والزيتون ، فانتهى إلى آخرها ، فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . ، ومن قرأ لأقسم بيوم القيامة ، فانتهى إلى آخرها ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يُحيي الموتى ﴾ ، فليقل : بلى ، ومن قرأ والمرسلات ، فبلغ ﴿ فبأى حديث بعده يؤمنون ﴾ ، فليقل : آمنا بالله .

وأخرج أحمد وأبو داود عن ابن عباس ، أن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم كان ، إذا قرأ سبح اسم ربك الأعلى ، قال : سبحان ربّي الأعلى .

وأخرج الترمذى والحاكم ، عن جابر ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه ، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها ، فسكتوا ، فقال : لقد قرأها على الجنّ ، فكانوا أحسن مردوداً منكم ، كنتُ كلما أتيتُ على قوله : « فبأى آلاء ربك تكذبان » قالوا : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب : فلك الحمد .

وأخرج ابن مردويه والديلميّ وابن أبي الدنيا في الدعاء وغيرهم بسند ضعيف جداً ،

عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ...﴾^(١) الآية، فقال: اللهم أمرت بالدعاء، وتكفلت بالإجابة، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والمثل لا شريك لك، أشهد أنك فرد أحد صمد، لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفؤاً أحد، وأشهد أن وعدك حق، ولقاءك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنت تبعث من في القبور. وأخرج أبو داود وغيره عن وائل بن حجر، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قرأ: ﴿وَالضَّالِّينَ﴾، فقال: «آمين» يمد بها صوته.

وأخرجه الطبراني بلفظ قال: «آمين» ثلاث مرات، وأخرجه البيهقي بلفظ: قال: «رب اغفر لي آمين».

وأخرج أبو عبيد، عن أبي ميسرة، أن جبريل لقن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند خاتمة البقرة «آمين».

وأخرج عن معاذ بن جبل أنه كان إذا ختم سورة البقرة قال: آمين. قال النووي: ومن الآداب إذا قرأ نحو ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٢)، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَهُودِيًّا مَفْلُوحًا﴾^(٣)، أن يخفض بها صوته. كذا كان النخعي يفعل.

مسألة

لابس بتكرير الآية وترديدها، روى النسائي وغيره عن أبي ذر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بآية يرددها حتى أصبح: ﴿إِن تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكُمْ...﴾^(٤) الآية.

مسألة

يستحب البكاء عند قراءة القرآن والتباكى لمن لا يقدر عليه، والحزن والخشوع قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾^(٥).

(٣) سورة المائدة ٦٤

(٢) سورة التوبة ٣٠

(٥) سورة الإسراء ١٠٩

(١) سورة البقرة ١٨٦

(٤) سورة المائدة ١١٨

وفي الصحيحين حديث قراءة ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه « فإذا عينا تذر فان » .

وفي الشعب للبيهقي عن سعد بن مالك مرفوعا: « إن هذا القرآن نزل بحزن وكآبة فإذا قرأ عموه فابكوا ، فإن لم تبكوا فتبا كوا » .

وفيه من مرسل عبد الملك بن عمير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنني قارى عليكم سورة ، فمن بكى فله الجنة ، فإن لم تبكوا فتبا كوا » .

وفي مسند أبي يعلى حديث : « اقرءوا القرآن بالحزن فإنه نزل بالحزن » .
وعند الطبراني : « أحسن الناس قراءة من إذا قرأ القرآن يتحزن به » .

قال في شرح المهدب : وطريقه في تحصيل البكاء أن يتأمل ما يقرأ من التهديد والوعيد الشديد ، والمواثيق والعهود ، ثم يفكر في تقصيره فيها ، فإن لم يحضره عند ذلك حزن وبكاء فليبك على فقد ذلك ، فإنه من المصائب .

* * *

مسألة

يسن تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها لحديث ابن حبان وغيره : « زينوا القرآن بأصواتكم » . وفي لفظ عند الدارمي : « حسنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا » .

وأخرج البزار وغيره حديث : « حُسنُ الصوت زينة القرآن » .

وفيه أحاديث صحيحة كثيرة ، فإن لم يكن حسن الصوت حسنه ما استطاع ، بحيث لا يخرج إلى حد التمطيط .

وأما القراءة بالألحان ، فنص الشافعي في المختصر أنه لا بأس بها . وعن رواية الربيع الجيزي أنها مكروهة .

قال الراجزي: قال الجمهور ليست على قولين ، بل المكروه أن يُفْرِطَ في المدِّ ، وفي إشباع الحركات ، حتى يتولد من الفتحة ألف ، ومن الضمة واو ، ومن الكسرة ياء ، أو يدغم في غير موضع الإدغام ، فإن لم ينته إلى هذا الحدِّ فلا كراهة .

قال في زوائد الروضة : والصحيح أن الإفراط على الوجه المذكور حرام يفسق به القارئ ويأثم المستمع ؛ لأنه عدل به عن نهجه القويم . قال : وهذا مراد الشافعي بالكراهة .

قلت : وفيه حديث : «اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق ، فإنه سيجيء أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم » . أخرجه الطبراني والبيهقي .

قال النووي : ويستحب طلب القراءة من حسن الصوت والإصغاء إليها ، للحديث الصحيح ، ولا بأس باجتماع الجماعة في القراءة ولا بإدارتها ، وهي أن يقرأ بعض الجماعة قطعة ثم البعض قطعة بعدها .

مسألة

يستحب قراءته بالتفخيم لحديث الحاكم : «نزل القرآن بالتفخيم» ، قال الحلبي : ومعناه أنه يقرأه على قراءة الرجال ، ولا يخضع الصوت فيه كلام النساء . قال : ولا يدخل في هذا كراهة الإمالة التي هي اختيار بعض القراء . وقد يجوز أن يكون القرآن نزل بالتفخيم فرخص مع ذلك في إمالة ما يحسن إمالاته .

مسألة

وردت أحاديث تقتضي استحباب رفع الصوت بالترناة ، وأحاديث تقتضي الإسرار

وخفض الصوت ، فمن الأول حديث الصحيحين : «مأذن الله لشيء مأذن لنبيِّ حسن الصوت ، يتغنّى بالقرآن ، يجهر به » .

ومن الثاني حديث أبي داود والترمذى والنسائى : «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ، والمسرّ بالقرآن كالسرّ بالصدقة » .

قال النووى : والجمع بينهما أن الإخفاء أفضل ، حيث خاف الرؤيا ، أو تأذى مصلون أو نيام مجهره ، والجهر أفضل فى غير ذلك ، لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته تتمدى إلى السامعين ، ولأنه يوقظ قلب القارئ ، ويجمع همّه إلى الفكر ، ويصرف سمعه إليه ، ويطرد النوم ويزيد فى النشاط . ويدلّ لهذا الجمع حديث أبى داود بسند صحيح ، عن أبى سعيد : اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فسمعهم يجهرون بالقراءة ، فكشف السّتر ، وقال : «ألا إن كلكم مناجى لربّه ، فلا يؤذّن بعضهم بعضاً ، ولا يرفع بعضهم على بعضهم فى القراءة » .

وقال بعضهم : يستحبّ الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها ، لأن المسرّ قد يملّ فيأنس بالجهر ، والجاهر قد يكلّ فيستريح بالإسرار » .

* * *

مسألة

القراءة فى المصحف أفضل من القراءة من حفظه ، لأنّ النظر فيه عبادة مطلوبة ، قال النووى : هكذا قاله أصحابنا والسلف أيضاً ، ولم أر فيه خلافاً . قال : ولو قيل إنه يختلف باختلاف الأشخاص فيختار القراءة فيه لمن استوى خشوعه وتدبره فى حالتي القراءة فيه ومن الحفظ ، ويختار القراءة من الحفظ لمن يكمل بذلك خشوعه ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف ؛ لكان هذا قولاً حسناً .

قلت : ومن أدلة القراءة فى المصحف ما أخرجه الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث أوس الثقفى مرفوعاً : «قراءة الرجل فى غير المصحف ألف درجة ، وقراءته فى المصحف تضاعف ألفي درجة » .

وأخرج أبو عبيد بسند ضعيف: « فضل قراءة القرآن نظراً، على من يقرؤه ظاهراً كفضل الفريضة على النافلة ».

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود مرفوعاً: « من سره أن يحب الله ورسوله ؛ فليقرأ في المصحف »، وقال: إنه منكر.

وأخرج بسند حسن موقوفاً: « أديبوا النظر في المصحف ». وحكى الزركشي في البرهان ما بحثه النووي قولاً، وحكى معه قولاً ثالثاً: إن القراءة من الحفظ أفضل مطلقاً، وإن ابن عبد السلام اختاره، لأن فيه من التدبر ما لا يحصل بالقراءة في المصحف^(١).

• • •

مسألة

قال في التبيان^(٢): إذا أرتجح على القارئ فلم يدر ما بعد الموضوع الذي انتهى إليه، فسأل عنه غيره، فينبغي أن يتأدب بما جاء عن ابن مسعود والنخعي وبشير بن أبي مسعود قالوا: إذا سأل أحدكم أخاه عن آية، فليقرأ ما قبلها ثم يسكت، ولا يقول كيف كذا وكذا، فإنه يلبس عليه. انتهى.

وقال ابن مجاهد: إذا شك القارئ في حرف: هل بالتاء أو بالياء؟ فليقرأ بالياء فإن القرآن مذكر، وإن شك في حرف: هل هو مهموز أو غير مهموز؟ فليترك الهمز، وإن شك في حرف: هل يكون موصولاً أو مقطوعاً؟ فليقرأ بالوصل، وإن شك في حرف: هل هو ممدود أو مقصور؟ فليقرأ بالقصر، وإن شك في حرف: هل هو مفتوح أو مكسور؟ فليقرأ بالفتح؛ لأن الأول غير لحن في موضع، والثاني لحن في بعض المواضع.

(١) البرهان ١: ٤٦٣، وهو الإمام أبو محمد عز الدين بن عبد السلام الشافعي شيخ الإسلام، المتوفى سنة ٦٦٠.

(٢) كتاب التبيان في آداب حملة القرآن، للإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي، المتوفى

سنة ٦٧٦، ذكره في كشف الظنون ٣٤٠

قلت: أخرج عبدُ الرزاق عن ابن مسعود، قال: إذا اختلفتم في باء وتاء، فاجعلوا بياها، ذكروا القرآن. ففهم منه ثعلب أن ما احتمل تذكيره وتأنينه كان تذكيره أجود. وردَّ بأنه يمتنع إرادة تذكير غير الحقيقي التأنيث لكثرة ما في القرآن منه بالتأنيث نحو ﴿النارُ وعدها الله﴾^(١)، ﴿التفتِ الساقِ بالساقِ﴾^(٢)، ﴿قالت لهم سلِّم﴾^(٣)، وإذا امتنع إرادة غير الحقيقي فالحقيقي أولى، قالوا: ولا يستقيم إرادة أن ما احتمل التذكير والتأنيث غلب فيه التذكير، كقوله تعالى: ﴿والنخلِ باسقاتٍ﴾^(٤)، ﴿أعجازُ نخلٍ خاويةٍ﴾^(٥)، فأنت مع جواز التذكير، قال تعالى: ﴿أعجازُ نخلٍ منقورٍ﴾^(٦)، ﴿من الشجرِ الأخضرِ﴾^(٧).

قالوا: فليس المراد ما فهم «ذكروا» للموعظة والدعاء كما قال تعالى: ﴿فذكروا بالقرآن﴾^(٨) إلا أنه حذف الجار، والمقصود: ذكروا الناس بالقرآن، أي ابعثوهم على حفظه كيلا ينسوه.

قلت: أوّل الأثر بابي هذا الحمل.

وقال الواحدى: الأمر ما ذهب إليه ثعلب، والمراد أنه إذا احتمل اللفظ التذكير والتأنيث ولم يحتج في التذكير إلى مخالفة المصحف ذكر، نحو ﴿ولا يقبل منها شفاعة﴾^(٩) قال: ويدل على إرادة هذا أن أصحاب عبد الله من قراء الكوفة كحمزة والكسائي، ذهبوا إلى هذا فقرأوا ما كان من هذا القبيل، بالتذكير نحو ﴿يومَ تشهد عليهم ألسنتهم﴾^(١٠) وهذا في غير الحقيقي.

* * *

مسألة

يكره قطع القراءة لكاملة أحد، قال: الحلیمی: لأن كلام الله لا ينبغي أن يؤثر عليه

كلام غيره.

- (٢) سورة القيامة ٢٩
(٤) سورة ق ١٠
(٦) سورة القمر ٢٠
(٨) سورة ق ٥٥
(١٠) سورة النور ٢٤

- (١) سورة الحج ٧٢
(٣) سورة إبراهيم ١١
(٥) سورة الحاقة ٧
(٧) سورة يس ٨٠
(٩) سورة البقرة ٨

وأبدّه البيهقي بما في الصحيح : كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه .

ويكره أيضا الضحك والعبث والنظر إلى ما يليه

مسألة

ولا يجوز قراءة القرآن بالعجمية مطلقاً، سواء أحسن العربية أم لا ، في الصلاة أم خارجها . وعن أبي حنيفة أنه يجوز مطلقاً، وعن أبي يوسف ومحمد لمن لا يحسن العربية ، لكن في شارح البزدوي أن أبا حنيفة رجع عن ذلك ، ووجه النع أنه يُذهبُ إيجازه المقصود منه .

وعن القفال^(١) من أصحابنا: إن القراءة بالفارسية لا تتصور ، قيل له : فإذن لا يقدر أحد أن يفسر القرآن ، قال : ليس كذلك ، لأن هناك يجوز أن يأتي ببعض مراد الله ويعجز عن البعض ، أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتي بجميع مراد الله تعالى ، لأن الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها ، وذلك غير ممكن ، بخلاف التفسير .

مسألة

لا تجوز القراءة بالشاذ : نقل ابن عبد البر الإجماع على ذلك ، لكن ذكر موهوب الجزري جوازها في غير الصلاة ، قياساً على رواية الحديث بالمعنى .

مسألة

الأولى أن يقرأ على ترتيب المصحف ، قال في شرح الهذب : لأن ترتيبه لحكمة ، فلا يتركها إلا فيما ورد فيه الشرع ، كصلاة صبح يوم الجمعة بألم تنزيل وهل أتى ونظائره ، فلو فرق السور أو عكسها جاز وترك الأفضل . قال : وأما قراءة السورة من

(١) هو أبو بكر محمد بن إسماعيل الفقيه الشافعي الناشئ المعروف بالفعال الكبير ، صاحب المصنفات في الفقه والأصول والتفسير والحديث والادب ، توفي سنة ٣١٥ . ضنرات الذهب ٣ : ٥٢ .

آخرها إلى أولها فتتفق على منعه، لأنه يذهب بعض نوع الإعجاز، ويزيل حكمة الترتيب.
قلت: وفيه أثر، أخرج الطبراني بسند جيد، عن ابن مسعود، أنه سئل عن رجل يقرأ
القرآن منكوساً، قال: ذلك منكوس القلب.

* * *

وأما خلط سورة بسورة، فقد الحامبي تركه من الآداب، لما أخرجه أبو عبيد عن
سعيد بن المسيب؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ ببلال وهو يقرأ من هذه السورة
ومن هذه السورة، فقال: يا بلال، مررت بك وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه
السورة، قال: الطيب بالطيب، فقال: «اقرأ السورة على وجهها - أو قال - على نحوها».
مرسل صحيح، وهو عند أبي داود موصول عن أبي هريرة بدون آخره.

وأخرجه أبو عبيد من وجه آخر، عن عمر مولى غفيرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لبلال: «إذا قرأت السورة فانفذا».

وقال: حدثنا معاذ عن ابن عون، قال: سألت ابن سيرين عن الرجل يقرأ من
السورة آيتين ثم يدعها، ويأخذ في غيرها، وقال: ليتق أحدكم أن يأنم إنما كبيراً
وهو لا يشعر.

وأخرج عن ابن مسعود، قال: إذا ابتدأت في سورة، فأردت تتحول منها إلى
غيرها فتحول إلى «قل هو الله أحد»، فإذا ابتدأت فيها فلا تتحول منها حتى تحتمها.
وأخرج عن ابن أبي الهذيل. قال: كانوا يكرهون أن يقرءوا بعض الآية
ويدعوا بعضها.

قال أبو عبيد: الأمر عندنا على كراهة قراءة الآيات المختلفة، كما أنكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم على بلال، وكما كرهه ابن سيرين.

وأما حديث عبد الله، فوجهه عندي أن يبتدئ الرجل في السورة يريد إتمامها، ثم
يبدوله في أخرى؛ فأما من ابتدأ القراءة وهو يريد التنقل من آية إلى آية، وترك

التأليف لآى القرآن ، وإنما يفعله من لاعلم له ، لأن الله لو شاء لأنزله على ذلك . انتهى .
وقد نقل القاضى أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة .
قال البيهقى : وأحسن ما يحتج به أن يقال : إن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ
من جهة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخذه عن جبريل ، فالأولى للقارى أن يقرأه على
التأليف المنقول ، وقد قال ابن سيرين : تأليف الله خير من تأليفكم .

مسألة

قال الحلبي : يسن استيفاء كل حرف أثبتته قارى ليكون قد أتى على جميع ما هو
قرآن . وقال ابن الصلاح والنووى ، إذا ابتداء بقراءة أحد من القراء فينبغى ألا يزال
على تلك القراءة مادام الكلام مرتبطاً ، فإذا انقضى ارتباطه ، فهان يقرأ بقراءة أخرى .
والأولى دوامه على الأولى في هذا المجلس .

وقال غيرهما بالمنع مطلقاً .

قال ابن الجزرى : والصواب أن يقال : إن كانت إحدى القراءتين مرتبة على
الأخرى مننع ذلك مننع تحريم ، كمن يقرأ : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ برفعهما
أو نصبهما ، أخذ رفع « آدم » من قراءة غير ابن كثير ورفع « كلمات » من قراءته ،
ونحو ذلك مما لا يجوز في العربية واللغة ، ومالم يكن كذلك فترق فيه بين مقام الرواية
وغيرها ، فإن كان على سبيل الرواية حرّم أيضاً ، لأنه كذب في الرواية وتخليط ، وإن
كان على سبيل التلاوة جاز .

مسألة

يسن الاستماع لقراءة القرآن وترك اللفظ والحديث بحضور القراءة ، قال تعالى :

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١).

* * *

مسألة

يسنّ السجود عند قراءة آية السجدة ، وهي أربع عشرة : في الأعراف والرعد ، والنحل ، والإسراء ، وصريم ، وفي الحجّ سجدتان ، والفرقان ، والنمل ، وآلم تنزيل ، وفُصّات ، والنجم ، وإذا السماء انشقت ، وقرأ باسم ربك ، وأماصّ فستجبّة . وليست من عزائم السجود ؛ أي متأكّداته . وزاد بعضهم آخر الحجر . نقله ابن الفرس في أحكامه .

* * *

مسألة

قال النووي : الأوقات المختارة للقراءة ، أفضلها ما كان في الصلاة ثم الليل ، ثم نصفه الأخير ، وهي بين المغرب والشاء محبوبة . وأفضل النهار بعد الصبح . ولا تُكره في شيء من الأوقات لمعنى فيه ، وأما مارواه ابن أبي داود عن مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ ، عن مشايخه أنهم كرهوا القراءة بعد العصر — وقالوا : هو دراسة يهود — فقير مقبول ، ولأصل له . ويُختار من الأيام يوم عرفة ثم الجمعة ، ثم الاثنين ، والخميس . ومن الأعشار العشر الأخير من رمضان والأول من ذي الحجة ، ومن الشهور رمضان . ويُختار لابتدائه ليلة الجمعة ، وختمه ليلة الخميس ، فقد روى ابنُ أَبِي دَاوُدَ ، عن عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ، أنه كان يفعل ذلك .

والأفضل الختم أول النهار أو أول الليل ؛ لما رواه الدارميّ بسند حسن عن سعد بن أبي وقاص ، قال : إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلّت عليه الملائكة حتى يصبح ، وإن وافق ختمه أول النهار صلّت عليه الملائكة حتى يمسي . قال في الإحياء : ويكون الختم أول النهار في ركعتي الفجر ، وأول الليل في ركعتي سنة المغرب .

مسألة

وعن ابن المبارك ، يستحب الختم في الشتاء أول الليل ، وفي الصيف أول النهار .

مسألة

يسنّ صوم يوم الختم ، أخرجه ابن أبي داود عن جماعة من التابعين ، وأن محضر أهله وأصدقائه . أخرج الطبراني ، عن أنس ، أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا . وأخرج ابن أبي داود عن الحكم بن عتيبة ، قال : أرسل إلى مجاهد وعنده ابن أبي أمية ، وقال : إنا أرسلنا إليك لأننا أردنا أن نختم القرآن ، والدعاء يستجاب عند ختم القرآن .

وأخرج عن مجاهد ، قال : كانوا يجتمعون عند ختم القرآن ويقولون : عنده تنزل الرحمة .

* * *

مسألة

يستحب التكبير من الضحى إلى آخر القرآن ، وهي قراءة المسكتين . أخرج البيهقي في الشعب وابن خزيمة من طريق ابن أبي بزة ، سمعت عكرمة بن سليمان قال : قرأت على إسماعيل بن عبد الله المكي ، فلما بلغت الضحى ، قال : كبر حتى تحتم ، فإني قرأت على عبد الله بن كثير ، فأمرني بذلك وقال : قرأت على مجاهد فأمرني بذلك . وأخبر مجاهد ، أنه قرأ على ابن عباس ، فأمره بذلك .

وأخبر ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب ، فأمره بذلك . كذا أخرجه موقوفا . ثم أخرجه البيهقي من وجه آخر عن ابن بزة مرفوعا .

وأخرجه من هذا الوجه - أعنى الرفوع - الحاكم في مستدركه ، وصححه ، وله طرق كثيرة عن البرزى .

وعن موسى بن هارون قال : قال لي البرزى : قال لي محمد بن إدريس الشافعي : إن تركت التكبير فقدت سنة من سنن نبيك ، قال الحافظ عماد الدين بن كثير : وهذا يقتضى تصحيحه للحديث .

وروى أبو العلاء الهمداني، عن البرقي أن الأصل في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم انقطع عنه الوحي، فقال المشركون: قلا محمدًا ربّه، فنزلت سورة الضحى، فكبر النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن كثير: ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف. وقال الحلبي: نكتة التكبير التشبيه للقراءة بصوم رمضان إذا أكل عدته يكبر، فكذا هنا يكبر إذا أكل عدة السورة. قال: وصفته أن يقف بعد كل سورة وقفة، ويقول: الله أكبر.

وكذا قال سليم الرازي من أصحابنا في تفسيره: يكبر بين كل سورتين تكبيرة، ولا يصل آخر السورة بالتكبير، بل يفصل بينهما بسكتة. قال: ومن لا يكبر من القراء، حججهم أن في ذلك ذريعة إلى الزيادة في القرآن بأن يداوم عليه فتوهم أنه منه. وفي النشر: اختلف القراء في ابتدائه، هل هو من أول الضحى أو من آخرها؟ وفي انتهائه: هل هو أول سورة الناس أو آخرها؟ وفي وصله بأولها أو آخرها وقطعه، والخلاف في الكل مبنى على أصل، وهو أنه: هل هو لأول السورة أو لآخرها، وفي لفظه فقيل: الله أكبر، وقيل: لا إله إلا الله والله أكبر: وسواء في التكبير في الصلاة وخارجها - صرح به السخاوي وأبو شامة.

* * *

مسألة

يسن الدعاء عقب الختم، لحديث الطبراني وغيره عن العرياض بن سارية مرفوعا: «مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فَلَهُ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ».

وفي الشعب من حديث أنس مرفوعا: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَحَمَدَ الرَّبَّ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَفْفَرَ رَبَّهُ، فَقَدْ طَلَبَ الْخَيْرَ مَكَانَهُ».

مسألة

يسنّ إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى عقب الختم ، لحديث الترمذى وغيره: «أحبُّ الأعمال إلى الله الحالُّ المرتحلُّ ، الذي يضرب من أوّل القرآن إلى آخره ، كلّما حلَّ ارتحلَّ» .

وأخرج الدارمى بسند حسن ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ : «قل أعوذ برب الناس» افتتح من الحمد ، ثم قرأ من البقرة إلى : «أولئك هم المفلحون» ، ثم دعا بدعاء الختمة ، ثم قام .

مسألة

عن الإمام أحمد ، أنه منع من تكرير سورة الإخلاص عند الختم ، لكن عمل الناس على خلافه . قال بعضهم : والحكمة فيه ماورد أنها تعدل ثلث القرآن ، فيحصل بذلك ختمة .

فإن قيل : فكان ينبغي أن تقرأ أربعا ليحصل له ختمتان !

قلنا : المقصود أن يكون على يقين من حصول ختمة ، إيا التي قرأها ، وإيا التي حصل ثوابها بتكرير السورة . انتهى .

قلت : وحاصل ذلك يرجع إلى جبر ماله حصل في القراءة من خلال ، وكما قاس الحلبيّ التكبير عند الختم على التكبير عند إكمال رمضان ، فينبغي أن يقاس تكرير سورة الإخلاص على إتباع رمضان بست من شوال .

مسألة

بكره أخذ القرآن معيشة يتكسب بها . وأخرج الأجرى من حديث عمران بن الحصين مرفوعا : « مَنْ قرأ القرآن ، فليسأل الله به ، فإنه سيأتي قوم يقرءون القرآن يسألون الناس به » .

وروى البخاريّ في تاريخه الكبير بسند صالح حديث : « من قرأ القرآن عند ظالم ليرفع منه ، لُعنَ بكل حرف عشر لعنات » .

* * *

مسألة

يسكره أن يقول : نيت آية كذا ، بل أنسيتها ، لحديث الصحيحين في النهي عن ذلك .

* * *

مسألة

الأئمة الثلاثة على وصول ثواب القراءة للعتّ ، ومذهبنا خلافه ، لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ الْأَمْسَى ﴾ (١) .

* * *

فصل في الاقتباس وما جرى مجراه

الاقتباس تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن ، لاعلى أنه منه ، بالأّ يقال فيه قال الله تعالى ونحوه ، فإن ذلك حينئذ لا يكون اقتباسا . وقد اشتهر عن المالكية تحريمه وتشديد النكير على فاعله ، وأما أهل مذهبنا فلم يتعرّض له المتقدمون ولا أكثر المتأخرين ، مع شيوع الاقتباس في أعصارهم واستعمال الشعراء له قديما وحديثا . وقد تعرّض له جماعة من المتأخرين ؛ فسئل عنه الشيخ عز الدين عبد السلام ، فأجازه ، واستدل له بما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من قوله في الصلاة وغيرها : « وجهت وجهي : » إلى آخره وقوله : « اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ، اقض عني الدين ، واغنني من الفقر » .

وفي سياق كلام لأبي بكر : ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون ﴾ .

وفي آخر حديث لابن عمر : قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة . انتهى .
وهذا كله إنما يدل على جوازه في مقام الموعظ والثناء والدعاء ، وفي النثر لادلالة
فيه على جوازه في الشعر ، وبينهما فرق ، فإن القاضي أبابكر من المالكية صرح
بأن تضمينه في الشعر مكروه وفي النثر جائز .

واستعمله أيضا في النثر القاضي عياض في مواضع من خطبة الشفا .

وقال الشرف إسماعيل بن المقرئ اليميني صاحب مختصر الروضة في شرح بديعيته :
ما كان منه في الخطب والمواعظ ومدحه صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه ولو في النظم فهو
مقبول ؟ وغيره مردود .

وفي شرح بديعية ابن حجة : الاقتباس ثلاثة أقسام : مقبول ، ومباح ، ومردود

فالأول : ما كان في الخطب والمواعظ والعهود .

والثاني : ما كان في القول والرسائل والقصص .

والثالث : على ضربين : أحدهما منسبه الله إلى نفسه - ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه ،
قيل عن أحد بني مروان أنه وقع على مطالعة فيها شكايه عماله : « إن الينا إياهم ،
إن علينا حسابهم » - والآخر تضمنين آية في معنى هزل ، ونعوذ بالله من ذلك ، كقول

أوحى إلى عشاقه طرفه هيات هيات لما تواعدون

ورده ينطق من خلفه لئلا فليعمل العاملون

قلت : وهذا التقسيم حسن جدا ، وبه أقول .

وذكر الشيخ تاج الدين بن السبكي في طبقاته في ترجمة الإمام أبي منصور
القاهر بن الطاهر التميمي البغدادي من كبار الشافعية وإجلالهم أن من شعره قوله

يا من عددي ثم اعتدي ثم اعترف ثم انتهى ثم ارعوي ثم اعترف

أبشر بقول الله في آياته : إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وقال : استعمال مثل الأستاذ أبي منصور مثل هذا الاقتباس في شعره له فائدة ، فإنه جليل القدر ، والناس ينهون عن هذا ، وربما أدى بحث بمضمونهم إلى أنه يجوز . وقيل إن ذلك إنما يفعله من الشعراء الذين هم في كلِّ وادٍ يهيمون ، ويثبون على الألفاظ وثبة من لا يبالي ، وهذا الأستاذ أبو منصور من أئمة الدين ، وقد فعل هذا وأسند عنه هذين البيتين الأستاذ أبو القاسم بن عساكر .

قلت : ليس هذان البيتان من الاقتباس لتصريحه بقول الله ، وقد قدمنا أن ذلك خارج عنه .

وأما أخوه الشيخ بهاء الدين ، فقال في عروس الأفراح : الورع اجتناب ذلك كله ، وأن ينزه عن مثله كلام الله ورسوله .

قلت : رأيت استعمال الاقتباس لأئمة أجلاء ، منهم الإمام أبو القاسم الراقعي ، قال : وأنشده في أماليه ، ورواه عنه أئمة كبار :

الملكُ اللهُ الَّذِي عَنَتِ الوجوه له وذاتٌ عنده الأربابُ
متفردًا بالملك والسلطان قد خسر الذين تجاذبوه وخابوا
دعهم وزعم الملك يوم غرورهم فسيعلمون غدًا من الكذاب!

وروى البيهقي في شعب الإيمان ، عن شيخه أبي عبد الرحمن السلمى ، قال : أنشدنا أحمد بن محمد بن يزيد لنفسه :

سَلِّ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَتَّقْهُ فَإِنَّ التَّقَى خَيْرُ مَا تَكْتَسِبُ
وَمَنْ يَتَّقِ اللهُ يَصْنَعُ لَهُ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ

ويقرب من الاقتباس شئبان :

أحدهما : قراءة القرآن يراد بها الكلام . قال النووي في التبيان : ذكر ابن أبي داود في هذا اختلافًا ، فروى عن النخعي ، أنه كان يكره أن يتأول القرآن لشيء يعرض من أمر الدنيا .

وأخرج عن عمر بن الخطاب ، أنه قرأ في صلاة المغرب بمكة : ﴿والتين والزيتون وطور سينين﴾ ، ثم رفع صوته ، فقال : ﴿وهدد البليد الأمين﴾ . وأخرج عن حكيم ابن سعيد أن رجلا من المحكّمة أتى عليّا وهو في صلاة الصبح ، فقال : ﴿أتئن أشركت ليحبطن عملك﴾ ^(١) ، فأجابته في الصلاة : ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ ^(٢) . انتهى . وقال غيره : يكره ضرب الامثال من القرآن ، صرح به من أصحابنا العمد البيهقي تلميذ البغوي ، كما نقله الصلاح في فوائد رحلته .

الثاني : التوجيه بالألفاظ القرآنية في الشعر وغيره ، وهو جائز بلاشك ، وروينا عن الشريف تقي الدين الحسيني أنه لما نظم قوله :

مجازٌ حقيقتها فاعبروا ولا تعمروا هونوها تنهن
وما حُسنُ بيتٍ له زخرفٌ تراه إذا زلزلت لم يكن!

خشي أن يكون ارتكب حراماً ، لاستعماله هذه الألفاظ القرآنية في الشعر ، فحجّاه إلى شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق يسأله عن ذلك ، فأنشده إياهما ، فقال له : قل : «وما حسن كفٍ» ، فقال : باستبدل أفدتني وأفتيتني .



خاتمة

قال الزركشي في البرهان : لا يجوز تعدّي أمثلة القرآن ؛ ولذلك أنكر على الحريري قوله ^(٣) : « فأدخلني بيتاً أخرج ^(٤) من التابوت ، وأوهى من بيت المنكبوت » . وأى معنى أبلغ من معنى أكده الله من ستة أوجه ؛ حيث قال : ﴿وإن أوهن

(٢) سورة الروم ٦٠

(١) سورة الزمر ٦٥

(٣) في مقامه الفرضية ، وهي الخامسة عشرة ١ : ٢٣ - بشرح الشريشي .

(٤) أخرج : أصيب .

البيوت لبيت العنكبوت ﴿^(١)، فأدخل «إن» ، وبنى أفعال التفضيل ، وبناه من الوهن ، وأضافه إلى الجمع ، وعرف الجمع باللام ، وآتى في خبر «إن» باللام ^(٢) .

لكن إستشكل هذا بقوله تعالى : ﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها﴾ ^(٣) ، وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بما دون البعوضة ، فقال : «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ^(٤) ...» .

قلت : قد قال قوم في الآية : إن معنى قوله : ﴿فما فوقها﴾ في الحسنة ، وغير بعضهم عن هذا بقوله : معناه : «فما دونها» ، فزال الإشكال ^(٥) .

* * *

تمّ الجزء الأول من كتاب الإتيان في علوم القرآن
للإمام السيوطي ويليهِ الجزء الثاني وأوله : الباب
السادس والثلاثون في معرفة غريبة ؟

* * *

*

(١) سورة العنكبوت ٤٦

(٢) بعدها في البرهان : وقد قال الله تعالى : « وإذا قلتم فاعدلوا » وكان اللائق بالحري ألا يتجاوز هذه المبالغة ، وما بعد تمثيل الله تمثيل وقول الله أقوم قبل ، وأوضح سبيل . . . »

(٣) سورة البقرة ٢٦

(٤) نقله السيوطي في الجامع الصغير ١ : ٢٢١ عن الترمذي ، ونقله فيه : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء » .

(٥) البرهان ١ : ٤٨٤

فهرس الموضوعات

الصفحة	
١ - ١١ *	تصدير
	* * *
٣ - ٢١	مقدمة المؤلف :
٤	الكلام على كتاب محي الدين الكافيجي في علوم القرآن
٤ ، ٥	كتاب مواقع العلوم من مواقع النجوم لجلال الدين البلقيني
٦ - ١٠	كتاب التحبير في علوم التفسير للمؤلف
١١ - ١٣	كتاب البرهان في علوم القرآن للزر كشي
	شروع المؤلف في تأليف كتاب الإتيقان ، ثم ذكر ثبت
١٤ - ١٧	لأبوابه الثمانين
١٨	مراجع المؤلف من الكتب النقلية
١٨	من جوامع الحديث والمسائيد
١٨ ، ١٩	من كتب القراءات
١٩	من كتب الأحكام وتعلقاتها
١٩	من الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة
٢٠	من الكتب المتعلقة بالقرآن
٢٠	من كتب الرسم
٢٠	من الكتب الجامعة
٢١	من كتب التفاسير لغير المحدثين

صفحة

النوع الأول

- ٢٢ — ٥٠ في معرفة المكي والمدني
٢٣ اصطلاحات العلماء في المكي والمدني
قصيدة ابن الحصّار في أسماء السور المكية وأسماء السور
المدنية .
٢٨
٣٠ فصل في تحرير السور المختلف فيها
٣٨ فصل في ذكر بعض الشور التي تضمنت آيات من المكي والمدني
٣٨ فصل في ذكر ما استثنى من المكي والمدني
٤٧ ذكر ضوابط في المكي والمدني
٤٩ — ٥٠ فائدة في ذكر ما نزل من المفصل بمكة
٤٩ تنبيه بذكر مسائل أخرى تتعلق بالمكي والمدني

النوع الثاني

- ٥١ — ٥٧ في معرفة الحضري والسفري
٥٧ — ٥١ إيراد أمثلة متنوعة لكل منهما

النوع الثالث

- ٦٠ — ٦٢ معرفة النهاري والليلي
٦٠ — ٦١ أمثلة لكل منهما
٦١ ، ٦٢ فرع في ذكر ما نزل بين الليل والنهار
٦٢ تنبيه في السكّلام على الرؤيا النهارية

صفحة

النوع الرابع
ذكر الصيف والشتاء

٦٤ - ٦٣

٦٤ ، ٦٣

ذكر آيات لكل منها

* * *

النوع الخامس
الفراشي والنومي

٦٦ ، ٦٥

٦٦ ، ٦٥

ذكر آيات لكل منهما

* * *

النوع السادس
الأرضي والسماوي

٦٧

٦٧

ذكر آيات لكل منهما

* * *

النوع السابع
معرفة أول ما نزل

٧٦ - ٦٨

٧١ - ٦٨

٧٣ ، ٧٢

٧٤ ، ٧٣

٧٦ - ٧٤

ذكر الأقوال المختلفة في ذلك

فرع في ترتيب ما نزل من السور

قصيدة البرهان الجعبري في هذا الشأن

فرع في ذكر أوائل مخصوصة

* * *

النوع الثامن
معرفة آخر ما نزل

٨١ - ٧٧

٨١ - ٧٧

الأقوال المختلفة في الآيات التي تتصل بذلك

الصفحة

٨١

تنبيه في ذكر المشكل في هذا الشأن

* * *

النوع التاسع

٩٨ — ٨٢

معرفة سبب النزول

٨٢

ذكر الكتب المؤلفة في هذا الموضوع

تقسيم نزول القرآن إلى قسمين : قسم نزل ابتداء وقسم نزل عقب واقعة

٨٥ — ٨٢

أو سؤال ، وذكر مسائل في هذا الشأن :

المسألة الأولى : الفوائد المترتبة على معرفة أسباب النزول

المسألة الثانية : في الخلاف بين الأصوليين : هل العبرة بعموم اللفظ

٨٧ — ٨٥

أو بخصوص السبب ؟

٨٨ ، ٨٧

المسألة الثالثة : قد تنزل الآيات على الأسباب الخاصة

المسألة الرابعة : في أن أسباب النزول لا يمكن معرفتها إلا بالرواية والسمع

٩٠ ، ٨٩

من النقائ .

٩٦ — ٩١

المسألة الخامسة : في ذكر أسباب النزول المتعددة للآية الواحدة .

٩٨ ، ٩٧

تنبيه في ذكر سبب واحد لنزول آيات متعددة

* * *

النوع العاشر

١٠١ — ٩٩

فيما أنزل من القرآن على لسان بعض الصحابة

١٠٠ ، ٩٩

ذكر آيات من ذلك

تذنيب في ذكر ما ورد من القرآن على لسان غير الله سبحانه كالنبي عليه

١٠١

السلام وجبريل من الملائكة

صفحة

النوع الحادى عشر

ماتسكرر نزوله

١٠٣-١٠٢

١٠٢

ذكر طائفة من الآيات في هذا الشأن

١٠٣

تنبية في ذكر ما يقرأ على وجهين فأكثر من هذا الباب

١٠٣

تنبية بذكر قول مَنْ ينكر تكرار النزول للآية الواحدة .

* * *

النوع الثانى عشر

ماتأخر حكمه عن نزوله وماتأخر نزوله عن حكمه

١٠٦-١٠٤

* * *

النوع الثالث عشر

مازل مفروقاً ومازل جمعا

١٠٨ ، ١٠٧

١٠٨ ، ١٠٧

ذكر طائفة من الآيات الواردة في ذلك

* * *

النوع الرابع عشر

مازل مشيعا ومازل مفرداً

١١١-١٠

١١٠ ، ١٠٩

ذكر طائفة من الآيات الواردة في ذلك

١١١ ، ١١٠

فائدة في ذكر بعض الأحاديث الواردة في هذا الشأن

* * *

النوع الخامس عشر

ما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحدٍ قبل

١١٥-١١٢

النبي صلى الله عليه وسلم

١١٣ ، ١١٢

ذكر طائفة من الآيات الواردة في هذا الشأن

فائدة في ذكر الآيات التي كانت البرهان الذي أرى به يوسف عليه السلام ١١٥

١٤٢ - ١١٨	النوع السادس عشر في كيفية إنزاله
١١٩ - ١١٦	في كيفية إنزال القرآن من اللوح المحفوظ
١٤٢ - ١٢٥	السرّ في إنزاله جملة إلى السماء الدنيا
١٢٣	تذييب
١٢٤	فروع
١٢٩ - ١٢٥	كيفية الإنزال والوحي
١٣١ - ١٤٩	فوائد متفرقة
١٤١ - ١٣١	اختلاف الأقوال في نزول القرآن على سبعة أحرف
١٤٢ ، ١٤١	أقوال العلماء في اشتغال المصاحف العثمانيّة على الأحرف السبعة.
	* * *
	النوع السابع عشر
١١٣ - ١٤٣	في معرفة أسمائه وأسماء سورته
١٤٦ - ١٤٣	ذكر ما أورده أبو المعالي عزيزي في هذا الشأن
١٤٨ - ١٤٦	ذكر تعليل أسماء السور
١٤٩	ذكر سبب تسمية ما جمع من القرآن بالمصحف
١٤٩	فصل في إيراد قول من أطلق اسم التوراة أو الإنجيل على القرآن
١٥١ ، ١٥٠	فصل في أسماء السور
١٥٩ - ١٥١	فصل في إيراد أسماء متعددة لبعض السور
	تنبيه: هل تمداد الأسمى توقيفي أو بما يظهر من المناسبات ، وأقوال
١٦١ - ١٥٩	العلماء في ذلك ؟
١٦١	فصل في إطلاق اسم واحد على طائفة من السور
٣ ، ١٦٢	فائدة في إعراب أسماء السور

صفحة

فائدة في تقسيم القرآن إلى أربعة أقسام : السبع الطول ، والمئين
والثاني ، والفصل .

١٦٣-١٨٣

* * *

النوع الثامن عشر

١٦٤-١٨٣

في جمعه وترتيبه

١٦٤-١٧٢

القول في جمع القرآن ثلاث مرات

١٧٢

فائدة في ذكر عدة المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى سائر الآفاق

١٧٢-١٧٦

فصل في ذكر الإجماع على أن ترتيب الآيات توقيفي

فصل في اختلاف أقوال العلماء في ترتيب السور، هو توفيقى أو

١٧٦-١٧٩

أو باجتهاد الصحابة؟

١٧٩-١٨٠

السبع الطول ، وسور المئين ، وسور المثاني ، وسور المفصل

١٨١

فائدة في أنواع المفصل

١٨١ ١٨٣

فائدة في ترتيب مصحف أبيّ وابن مسعود

* * *

النوع التاسع عشر

١٨٤-١٩٩

في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه

١٨٦

تبيينه بذكر عدد سور مصحف أبيّ

١٨٦ ١٨٧

فائدة في ذكر الحكمة في تسوير القرآن سوراً

١٨٧ ١٩٥

فصل في عدد الآي

١٩٥

ذكر ضوابط في هذا الشأن

١٩٥

ذكر الكلام على منظومة عليّ بن محمد الفالى في عدد الآي

١٩٦

فائدة في ذكر الفوائد المترتبة على معرفة عدد الآي .

صفحة

- ١٩٧٦ ١٩٦ فائدة أخرى في ذكر الأحاديث الواردة في هذا الشأن
١٩٧ فصل في عدد كلمات القرآن .
١٩٨٦ ١٩٧ فصلي في عدد حروف القرآن .
فائدة في الكلام على موضع نصف القرآن باعتبار الحروف والكلمات
١٩٨ والآيات والسور

النوع العشرون

- ٢٠٣-١٩٩ في معرفة حفاظه ورواياته
٢٠١ تنبيه في تحقيق اسم أبي زيد أحد الصحابة من الأنصار الذين جمعوا القرآن
٢٠٤ ، ٢٠٣ ذكر المرأة الصحابية التي اشتركت في جمع القرآن
٢٠٦-٢٠٤ فصل في ذكر المشتهرين بالإقراء

* * *

النوع الحادي والعشرون

- ٢٠٩-٢٠٧ معرفة العالی والنازل من أسانيده
٢٠٩-٢٠٧ أقسام العالی منه

* * *

النوع الثاني والثالث والرابع والخامس

والسادس والسابع والعشرون

- ٢٢٩-٢١٠ معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج
٢١٥-٢١٠ ذكر أقوال العلماء في ذلك
٢١٦-٢١٥ ذكر ما نقله المؤلف عن ابن الجزري في أنواع القراءات
٢٢٢ ، ٢١٧ القول في المتواتر
٢٢٣ ، ٢٢٢ الفرق بين القرآن والقراءات
٢٢٦-٢٢٣ ذكر القراءات المرادة بالحديث : « نزل القرآن على سبعة أحرف »

صفحة

٢٢٨—٢٢٦

ذكر الأحكام المترتبة على اختلافات القراءات .

٢٢٨

اختلاف العلماء في العمل بالقراءة الشاذة

٢٢٩ ، ٢٢٨

الكلام في توجيهات القراءات وما أُلّف من الكتب في هذا الشأن

* * *

النوع الثامن والعشرون

٢٥١—٢٣٠

في معرفة الوقف والابتداء

٢٣٩—٢٣١

فصل في أنواع الوقف

٢٤٤—٢٣٩

ذكر مسائل مختلفة تتعلق بالوقف

ضوابط :

٢٤٥ ، ٢٤٤

كل ما في القرآن من «الذى» و«الذين»

٢٤٦ ، ٢٤٥

حكم الوقف على المستثنى منه دون المستثنى

٢٤٧ ، ٢٤٦

كلاماً في القرآن

٢٤٧ ، ٢٤٧

بلى في القرآن

٢٤٨

نعم في القرآن

٢٥٠—٢٤٨

فصل في كيفية الوقف في أواخر الكلم .

فائده في ذكر إجماع العلماء على لزوم اتباع رسم المصاحف العثمانية إبدالاً

٢٥١ ، ٢٥٠

وإثباتاً وحذفاً ووضلاً وقطماً

* * *

النوع التاسع والعشرون

٢٥٤—٢٥٢

في بيان الموصول لفظاً المفصول معنى

* * *

النوع الثلاثون

٢٦٢—٢٥٥

في الإمالة والفتح وما بينهما

صفحة	
٢٥٦ ، ٢٥٥	ذكر المصنفات المؤلفة في ذلك وأقوال العلماء في هذا الشأن
٢٥٧ ، ٢٥٦	حقيقة الإمالة
٢٥٨ ، ٢٥٧	أسباب الإمالة
٢٥٩ ، ٢٥٨	وجوه الإمالة
٢٥٩	فائدة الإمالة
٢٥٩	من أمال
٢٥٩	ما يُمال
٢٦٢ ، ٢٦١	فائدة في الكلام على حديث: « نزل القرآن بالتفخيم »

* * *

النوع الحادى والثلاثون

٢٦٣—٢٦٠	في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب
٢٦٣--٢٦٧	الإدغام الكبير
٢٦٢-٢٦٨	الإدغام الصغير
٢٦٩	فائدة في إدغام الحرفين المتلين
٢٦٩	تذنيب في أحكام الذون الساكنة والتنوين
٢٧٠	الإقلاب
٢٧٠	الإخفاء

* * *

النوع الثانى والثلاثون

٢٧١ ٢٧٦	في المدّ والقصر
٢٧١	الأصل في المدّ
٢٧١	حقيقة القصر

صفحة	
٢٧١	حروف المدّ
٢٧١	أسباب المدّ
٢٧٢	أنواع المدّ
٢٧٣ ، ٢٧٢	مراتب المدّ
٢٧٤	حكم المدّ إذا تغيّر سببه
٢٧٥	حكم المدّ عند اجتماع سببين قوى وضعيف
٢٧٦ ، ٢٧٥	مدّات القرآن

* * *

النوع الثالث والثلاثون

٢٧٨ ، ٢٧٧	في تخفيف الهمز
٢٧٧	الكلام على الهمز
٢٧٧-٢٧٧	أحكام الهمز

* * *

النوع الرابع والثلاثون

٢٧٩-٢٩٠	في كيفية تحمّله
٢٨٠ ، ٢٧٩	أقوال العلماء في الحفظ والقراءة والسمع
٢٨١ ٢٨٠	فصل في كيفية القراءة
٢٨١	تنبيه في الفرق بين الترتيل والتحقيق
٢٨٥-٢٨١	فصل في الكلام على تجويد القرآن ومخارج الحروف
٢٨٦-٢٨٥	فائدة في حكم القراءة بأصوات الغناء
٢٨٨-٢٨٦	فصل في كيفية الأخذ بأفراد القراءات وجمعها

صفحة	
٢٨٩	فائدة في شرط تحمل القرآن
٢٨٩	فائدة ثانية في حُكْم الإجازة عن الشيخ
٢٩٠ ، ٢٧٩	فائدة ثالثة في حُكْم أخذ الأموال عن الإجازة
٢٩٠	فائدة رابعة عن ابن بصحان في ردّ القارئ عند ما يخطئ النوع الخامس والثلاثون
٢٩٢—٣١٨	في آداب تلاوته وتاليه
٢٩٢	ذكر المصنفات التي وضعت في هذا الشأن
٢٩٢—٢٩٥	ذكر فضل قراءة القرآن وتلاوته
٢٩٥	حُكْم نسيان القرآن
٢٩٥	استحباب الوضوء لقراءة القرآن
٢٩٦	سُنن قراءة القرآن في مكان نظيف
٢٩٦	الاستيلاء عند قراءته
٢٩٦ ، ٢٩٧	حكم التعمُّد عند قراءة القرآن
٢٩٧	حكم البسملة في قراءة القرآن
٢٩٨	حكم النية عند قراءة القرآن
٢٩٨ ، ٢٩٩	الترتيل في التلاوة
٢٩٩ ، ٣٠١	وجوب التدبر والفهم عند القراءة
٣٠١	تكرار تلاوة الآية
٣٠١ ، ٣٠٢	استحباب البكاء أو التباكى عند القراءة
٣٠٢ ، ٣٠٣	تحسين الصَّوت بالقراءة وتزيينها
٣٠٣	استحباب تفخيم القراءة دون تخضيع الصوت
٣٠٣ ، ٣٠٤	ذكر الأحاديث الواردة في رفع الصوت عند القراءة

صفحة

٣٠٤	القراءة في المصحف والقراءة من الحفظ
٣٠٦ ٣٠٥	الحكم عند الإرتاح على القارئ
٣٠٦	كراهة قطع القراءة بالكلام
٣٠٧	عدم جواز قراءة القرآن بالأعجمية
٣٠٧	حكم القراءة بالشاذ
٣٠٩-٣٠٧	الأولى القراءة بترتيب المصحف
٣٠٩	وجوب استيفاء القراءة بالحرف عند الابتداء به
٣٠٩	وجوب الاستماع عند تلاوة القرآن
٣١٠	يسنُّ السجود عند قراءة آية السجدة
٣١٠	الأوقات المختارة للقراءة
٣١١	يسنُّ الصوم عند الختم
٣١١	يستحبُّ التكبير من الضحى إلى آخر القرآن
٣١٢	الدعاء عقب الختم
٣١٣	ما يقرأ عقب الختم
٣١٣	حكم تكرار سورة الإخلاص
٣١٣	حكم التكسب بالقرآن
٣١٤	حكم القراءة الميت
٣١٧-٣١٤	فصل في الاقتباس وما جرى مجراه
٣١٨ ٣١٧	عدم جواز تمدد أمثلة القرآن

تنبيه

وقع بعض الأخطاء المطبعية في بعض آيات القرآن الكريم نذكر صوابها فيما يلي ،
وبقية الاستدراكات والتصحيحات نذكرها في آخر الكتاب إن شاء الله .

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
لأزواجك	لِأَزْوَاجِكَ	١٠	٦٠
الَّذِينَ	الَّذِينَ	١٥	٦١
لِحَافِظِينَ	الْحَافِظِينَ	٥	١١٥
لَيْلَةَ الْقَدْرِ	لَيْلَةَ الْقَدْرِ	٥	١١٦
فَوَإِذْكَ	فَوَإِذْكَ	٥	١٢١
الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ	الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ	١٢	٢٢٧
نَسْتَمِينُ	نَسْتَمِينُ	٤	١٥٥
لِبَدًّا	لِبَدًّا	١٣	٢٤٠